956.9405
N127mA
1970

تحطمت الطائرات عند الفجر

باروخ نادل

الطبعة الأولى

هذا الكتاب

بسم الله والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه وبعد،

فقد جرت عادة الكتّاب والقادة والمفكرين أن يطالبوا بنشر ما يعرّفهم بعدوهم . ونشر بالفعل عدد كبير من الكتب في سلسلة « أعرف عدوك » . ولم نعرف ــ الا نادرا ــ أن طالب احد بنشر ما يعرّف العرب بأنفسهم . ومعرفة النفس واجبة قبل معرفة العدو . وقلّما وجد كتاب يعرّفنا بالعدو كما يعرفنا بأنفسنا كهذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء العربي . فهو بالاضافة الى أنه دليل قاطع على خسة اليهود وغدرهم ومكرهم ودهائهم ، دليل كذلك على بلاهة العرب في سذاجتهم والفساد الذي عم مجتمعهم بعد أن أخذ بأسباب الانحطاط والدمار التي نشرها اليهود أنفسهم .

وتذكر أيها القارىء قصة الجاسوس اليهودي كوهين وما انطوت عليه من أسرار عجيبة ووقائع غريبة . ان تلك القصة لا تساوي قطرة في بحر قصة الجاسوس اليهودي (باروخ نادل) الذي استطاع ان يخدع دولتين عربيتين (الجزائر ومصر) طوال عشر سنوات كاملة انتهت فجر يوم عدوان الخامس من جوان (حزيران) ١٩٦٧ حين استطاع باروخ ان يتسلل من القاهرة عائدا الى تركيا ومنها الى اسرائيل .

لقد نشر باروخ نادل مذكراته بالعبرية والانجليزية والفرنسية ، وهي تحمل في ثناياها اجزاء كثيرة من التهويل والغرور ، الا أنها تحمل كذلك أجزاء كثيرة من الصدق في تصوير الواقع العربي المهترىء الذي يمكن لجاسوس يهودي ان يرتع به ويعبث فيه افسادا وتخريبا .

ونحن على يقين من أن نشر هذا الكتاب بالعربية لا بد ان يفيد القارىء العربي ويبصّره بعيوب نفسه فيسعى الى اصلاحها والتخلص من أسباب انحطاط مجتمعنا الفاسد ، هذا المجتمع الذي حاول ان يقلد مدنية الغرب فلم يأخذ منها الا عوامل الفساد والانحلال ، وهي جميعها من صنع اليهود أعداء العروبة والاسلام .

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير

عبد الستار الشاذلي

تونس في غرة ماي 1970

يوم الثلاثاء

٣٠ مايو ١٩٦٧ ـ الساعة ٤٠ر٠٩ حتى ١٠ر١١

كان الرجل ذو البدلة السوداء يتكلم بدون توقف تقريبا، كان يعرف أن أقواله يجري تسجيلها على مسجل ، وأن الرجلين اللذين يجلسان أمامه يستطيعان أن يعودا الى التسجيل والاستماع اليه مرة أخرى عند الضرورة .

كان الوقت يمر بسرعة ، وهو يحاول أن يدلي بجميع أقواله بسرعة ، وبدقة وبصورة واضحة ، وبالرغم من استعجاله كان يبدو وكأنه يزن كل كلمة ، ويتأكد من أنه لم ينس شيئا وأن يتجنب المبالغة ، أو الاقلال من أهمية حدث ما .

كان الرجل ذو البدلة السوداء يعرف جيدا : بأن أقواله ستوضع فيما بعد أمام الامتحان والمقارنة بالمعلومات الكثيرة التي تصل من مصادر أخرى . وأن كل شيء يقوله سيقارن بآلاف المعلومات ويجري تفحصه وتحليله لمعرفة مدى الصحة فيه وكأنه سيمر تحت أشعة ـ رانتجن ـ .

الزعيم « ضابط برتبة زعيم » الذي يجلس على يساره سيطلب اعتبار أقواله مهمة وصحيحة في حالة عدم تناقضها مع المعلومات المؤكدة الاخرى . سكت فجأة : ثم عاد وبصوته بعض التردد .. يبدو أن الملك الصغير سيقوم بزيارتنا اليوم .. وهنا وجه القائد الكبير نظرة قاسية الى الزعيم ، الذي

قال بصوت هادىء : ممن سمعت ذلك ؟

ذكر الرجل ذو البدلة السوداء اسم الشخص الـذي سمع منه ذلك الكلام ، وعند ذلك قطب الرجل الجالس عـلى يمينه جبينه ـ هل سيوقع اتفاق ؟ قال الرجل الاسود (ذو البدلة السوداء) : نعم وسيعود الجنرال رياض معه ، وابتسم الزعيم من طرف فمه وكانت ابتسامته خليط من الاقتناع .. والمرارة . وقال الرجل الاسود في نفسه ، يبدو أنه كان يتنبأ بذلك وأنه لم يخطىء .

بالرغم من المفاجئات التي فاجأه بها الزعيم الا أن هـذا الرجل الاسود كان يعرف أنه يفهم هذا الانسان ، وأنه رجل صافي الذهن ، سريع في تحليل الامور ، يدرك بسهولة صحة أو كذب ما يسمع ، ولذلك فانـه قادر وبسرعة على أن يطلع بنتيجة واضحة من المعلومات ويميز الكذب والصدق فيها . كان يغربل المعلومات غربلة دقيقة ويستخرج حبات القمح من أكوام التبن . بينما الرجل الثاني الذي أمضى في هذه المقابلة ساعة ونصف ، ولا يبدو أن للزمن ثمن عنده ، بدا له غامض غير مفهوم ، فتعابير وجهه لم تكن لتكشف عن شيء ، جبهته العريضة وعيونه القابعة في جحريها ، وفمه الثقيل ، كل هذه جعلت منه ـ تقريبا ـ نجما سينمائيا تتجلى فيه علامات الرجولة ولكن اندماج هذه الصفات مع بعضها جعل من الرجل انسانا بعكس النجم السينمائي ، حتى أن البدلة الرسمية على جسده كانت تبدو أقل من لباس عادي .

دق جرس التلفون ، ومد الزعيم يده وسمع على الطرف الاخر صوت يقول : خمس دقائق ، ثم قال ، أرسل لنا ابريق قهوة مع عدد من الكؤوس ، ثم وضع سماعة التلفون وقال :

سيأتي بعد خمس دقائق ، وفي غضون ذلك سنشرب شيئا ما ، ثم قال موجها كلامه للرجل الاسود ، أنت متعـب

بالطبع ؟ كلا ، أجاب الاسود باختصار ولكنني أرغب القهوة ، واستطرد : ان الفرقة الرابعة المصفحة قد تمركزت أمس في مواقعها ، ثم انتظر قليلا ليرى رد فعل كلامه على سامعيـه ، ولكن الاثنين لم يحركا ساكنا . فقد كان عليهما أن لا يعترفا بشيء أمامه ، فان كل رد فعل معناه أن الرجل الاسودسيعرف أن هناك مصادر أخرى للمعلومات ، والمفروض أن لا يعـرف الرجل الاسود ذلك .

واستطرد الاسود قائلا :

ان الفرقة موجودة هنا ، وأشار الى نقطة في الخارطـة المفروشة على طاولة أمامه ، وأردف : هنا خلف التلال ،وسأله الزعيم بابتسامة يساورها الشك : هنا ؟ ولكن هذه المنطقـة عبارة عن صحراء مفتوحة . وأرسل الرجل الجالس في الجهة اليمنى نظرة قاسية الى الزعيم ثم هب الرجل الاسود لانقـاذ الزعيم من الموقف المحرج فقال : لقد أقيمت في المدة الاخيرة . نعم في المدة الاخيرة مواقع محصنة جدا وأقيم فيها مطار صغير في الوسط .

ثم سمعت طرقات على الباب ، ودخل ضابط برتبة رائد ووضع على الطاولة طبقا فيه ابريق قهوة كبـير وعدد مـن الكؤوس ، ووعاء للحليب وآخر للسكر ، وخلال ذلك أخرج الرجل الاسود منديلا من جيبه وطأطأ رأسه الى الاسفل والمنديل على فمه بحيث لا يستطيع الضابط الرائد من مشاهدة وجهه ، وسأله الزعيم : ألا تثق في الناس ؟ وهنا رفع الاسود رأسـه وصوّب نظرة الى الزعيم .

قبل سنوات بعيدة ، كان هذا الاسود يدرس في مدرسة زراعية ، بينما كان الزعيم يلعب التنس في مدرسة زراعيـة أخرى ، ومنذ ذلك الوقت استمرت طريق كل منهما بشكل متوازي . فالتحق الزعيم بالجيش البريطاني . بينما التحق

الاسود بمعسكر لكتائب المغاوير ٠ ثم انصرف الزعيم الى العمل
في هيئة تعنى باللاجئين في أوروبا ، وبنفس الوقت انصرف
الاسود الى معقل اللاجئين عبر الحدود الشمالية ٠

ثم قطع الاسود حبل ذكرياته هذا وقال محاولا الابتسام
٠٠ أعمل جهدي من أجل أن يثق الناس بي ، وشرب القهوة
الجميع ، وأدرك الاسود أن هذين الرجلين اللذين يجلسان
أمامه قد فهما وهضما المعلومات الجديدة ، وليس لها سوى
معنى واحد وهو الحرب ، فالعدو أصبح الآن يحيط بهم من كل
جانب ، ودفع الى الجبهة خيرة قواته ، وهكذا أصبحت الحرب
على الابواب ، حرب حياة أو موت ٠ ثم قال الاسود ببطء ، لقد
وصلوا الى نقطة اللاعودة ، فان كيرولوس السادس القى يوم
أمس الاول في الكنيسة القبطية بالقاهرة خطابا قال فيه : بأنه
حان الوقت لاستعادة فلسطين من أيدي من صلبوا المسيح ٠
واستطرد الاسود قائلا : تصوروا ما يقول العرب في المساجد ،
انني لا أصدق أن باستطاعتهم العودة ، فالجماهير العربية لأول
مرة في تاريخها التعيس تريد الحرب فعلا ٠

وقال الرجل الجالس على اليمين بشدة: سأخذوا الحرب٠٠
وأدرك الاسود أن محدثه غاضب ، كان الشرر يتطاير من
عينيه الغائرتين وشعره المشوط تناثر ، وفجأة انطلقت ضحكة
من الاسود وقال بصوت رقيق : لقد تذكرت ، وعند ذلك
سمعت طرقة على الباب ، الذي فتح بقوة ودخل ضابط برتبة
زعيم يرتدي لباس سلاح الجو ، وأدى التحية العسكرية بسرعة
وابتسم يمينا ويسارا ثم جلس على الكرسي الخالي على يمين
الرجل الاسود ٠ وقال الزعيم الجالس على اليسار باختصار ٠٠
سمعنا بعض المعلومات العامة التي تقول بأن قواتهم أصبح
عددها أكثر من ٨٠ ألف رجل ٠٠ وأضاف الاسود بصوت
هادىء (١٠٠ الف) ووجه زعيم الجو نظره اليه بدون أن يفهم

شيئا وأردف الاسود قائلا ، وحوالي ٨٠٠ ـ ٩٠٠ دبابة على
الاقل ، كما أن الفرقة المصفحة الرابعة تمركزت في خط دفاعي
جديد في الجبهة الوسطى ، وقيل انه ستوقع اليوم في القاهرة
اتفاقية دفاعية بينهم وبين الملك الصغير ٠ وعاود زعيم الجو
النظر الى هذا الرجل الغريب (الاسود) ثم استدار متسائلا
نحو الزعيم الآخر ، وقبل أن يرد الزعيم على استدارة زميله
قال الاسود بصوت هادىء :

نعم ستوقع اتفاقية الدفاع ، ثم دق القائد الكبير بأصبعه
على الطاولة وقال للاسود : والآن قص علينا بسرعة جميع
التغييرات التي حدثت عندكم في كل ما يتعلق بسلاح الجو ،
واذا كانت لدينا بعض الاسئلة فنتركها الى حين ٠ وعدل الاسود
جلسته وقال مركزا تفكيره :

نعم ، لقد وصلتنا في الايام الاخيرة قاذفات طويلة المدى
وخاصة قاذفات (طوبوليف ـ ١٦) وسأل الزعيم الجوي ، كم
عددها ؟ فأجاب الاسود : لدينا الآن حوالي ثلاثين قاذفة ٠
وسلاحنا الجوي يتطور جيدا ، ويقول عزيزي اللواء صدقي بأن
قواته الجوية ضعف قواتكم ٠ كذلك حصلنا على عدد كبير من
طائرات (سوخوي ـ ٧) ويقال بأن هذه الطائرة تتفوق على
أية طائرة لديكم ٠

ورد الزعيم الجوي غاضبا : ولكن الأمر يتوقف على من يقود
الطائرة٠٠ واستطرد الاسود : لا تزال طائرات الميج ٢١ تصل
باستمرار وعددها اليوم حوالي ١٠٠ طائرة تقريبا وهي تعمل
حاليا في التقاط الصور العسكرية لقواتكم في المنطقة الجنوبية
وتفيد التقارير بأنكم حشدتم هناك قوات مصفحة كبيرة ٠
واعترف الزعيم الجالس على اليسار بذلك قائلا ٠٠ نعم ٠٠ ثم
واصل الاسود : على أي حال هكذا تفيد الصور الجوية ، ويدل
ذلك على أنكم عازمون على القيام بهجوم مفاجىء على مطاراتنا

(المطارات العربية) ثم توقف الاسود قليلا ورأى أن وجوه الجالسين قد تجمدت دفعة واحدة ، ولكنه واصل الحديث بصوت هادىء وكأنه لم ير شيئا على الوجوه ٠

ولهذا أرسلت ٢٠ طائرة ميج الى مطار (الغردقة) فاذا قمتم بالهجوم من هناك ، ستقوم طائرات الميج بالهجوم على مؤخرتكم ٠ وسأله زعيم الجو بسرعة : كم من تلك الطائرات ميج ٢١ ؟ قال الاسود معظمها ميج ٢١ وواضح أن هجومكم سيبدأ مع الفجر في حوالي الساعة الخامسة صباحا حسب توقيتكم ٠ وفي كل صباح قبل الساعة الخامسة يقلع عدد من طائرات الميج للقيام بأعمال الدورية في جميع منطقة الدلتا والقناة ، وبنفس الوقت تكون ٧٢ طائرة ميج أخرى على أهبة الاستعداد عند أطراف المدرجات مع طياريها ، وفي خلال خمس دقائق فقط ، نستطيع أن ندفع الى الجو قوة جوية لا تقدرون على مواجهتها ، وعلى أي حال ، لن تتغلبوا عليها ٠ أما معظم طائرات (طوبوليف وأيليوشن ٢٨) فقد أبعدناها الى مطار الاقصر الموجود خارج مدى العمليات الحربية ٠ بعد أن تنهزم طائراتكم المقاتلة ، والطائرات المقاتلة القاذفة في معارك جوية تخوضها طائرات ميج ٢١ ، تنتقل القاذفات المقاتلة العربية الى المطارات الامامية في منطقة القناة وتنطلق لتدمير تل أبيب ٠ حتى أن طائرات (طوبوليف) لن تحتاج الى الانتقال الى المطارات الامامية ، فهي تستطيع من مطار الاقصر أن تقصف حتى قبرص وتعود بسلام ٠

وخيم الصمت على الغرفة ، وأدرك الاسود أن (الادمغة) الثلاثة الجالسة أمامه تسجل الحقائق بسرعة ، وتقوم بهضمها ، وترسم الخطة للتغلب عليها وكيف تناور وتضلل ، وكيف تجد الثغرات التي يمكن الافلات عبرها ٠

وسأل زعيم الجو : الى أي ساعة تستمر حالة الطوارىء

كل صباح ؟ قال الاسود : تستمر حالة الطوارىء في سلاحنا الجوي الى ما بعد الساعة السابعة صباحا بقليل (بتوقيتكم) وعند ذلك تعود الدوريات الجوية الى الاستراحة وفي الساعة ٧٫٣٠ يكون جميع الطيارين قد خلعوا ملابسهم الحربية وانصرفوا لتناول الطعام وبعد ذلك بنصف ساعة يعودون ٠

ونظر القائد الكبير الى الخارطة نظرة فاحصة ثاقبة ، يتطلع الى الصحراء وكأنه يريد استكشاف ما فيها ٠ ثم وجه سؤاله الى الاسود ٠٠ وأنت ، ماذا تستطيع أن تفعل ؟ قال الاسود : حفلة ، نعم حفلة لطياري النفاثات المصرية أبطال الامة ان عددهم حوالي ٦٠٠ طيار ٠٠ حفلة لهم فيها الشراب كما يجب بعكس ما ينص عليه دين محمد ، انها حفلة انتصار مع نجوم السينما والراقصات حتى الصباح ٠

ووجه القائد الكبير نظرة أخرى الى الصحراء ثم قال :

حفلة انتصار ؟ من أجل ماذا ؟ فرد الاسود ، من أجل ماذا ؟ ان ذلك يتوقف عليكم ، ونظر الى ساعته وقال : علي بالاسراع الى الطائرة فهي لن تتأخر ، وشيء آخر ، وهو أنني لن أستطيع أن أذيع لكم باللاسلكي في الايام القريبة ، فقد بدأوا يبحثون في المنطقة التي أسكنها عن جهاز ارسال سري يعمل على موجة مجهولة ٠ وسأكون مضطرا لوقف الارسال بعض الوقت ويهمني أن أعرف منكم الوقت الذي تفضلون فيه أن أقيم الحفلة للطيارين المصريين وليس أمامكم غير ذلك ، ولقد أصبح واضحا الآن بأن العميل الوحيد الذي يمكن أن يجعل النصر الى جانبكم هو احرازكم التفوق الجوي ، والتحركات العسكرية التي تقومون بها في الجنوب يمكن أن تخدع اللواء صدقي ولكنها لن تخدعني أنا ٠ وطالما أن هناك احتمال باصطدام طائراتكم في الجو بطائرات ميج ٢١ فلا فائدة من هجومكم ٠

وسأله زعيم الجو ، ولكن ماذا ستكون النتيجة اذا

اكتشفوا أمرك ؟ قال الاسود : سأذيع لكم مرة واحدة بعد غد ، بعد الظهر ، وأطلب الموافقة على الحفلة التي رمزها (كوثـر) فاذا وافقتم فأني سأقيم الحفلة في نفس الليلة والا سأحاول تأجيلها وأتصل بكم مرة أخرى مدة دقيقة واحدة فقط بعـد مرور ٢٤ ساعة .

ومرة أخرى سأله زعيم الجو : ولكن ، واذا اكتشفوا أمرك في اللحظة الاخيرة ؟ فهز الاسود رأسه ، وكشف عـن أسنانه وأشار الى سن في الفك السفلي وقال : هل تستطيع أن تفرق بين الطائرة وبين دمي ؟ عضتان وانتهى الامر .

وعندما قام لوداعهم سأله القائد الكبير : لماذا أجدك واثقا الى هذا الحد من انتصارنا ؟ قال الاسود : في سنة ١٩٣٩ كنت أنت في فريق كرة القدم بالمدرسة الزراعية الحكومية . صحيح ؟ قال القائد : ربمـا ، واستطرد الاسـود نحن كنا في فريق مدرسة زراعية أخرى ، وكنا نلعب ضدكم ، وقبل انتهاء الشوط الاخير بدقيقتين كانت النتيجة (لا تزال متعادلة) . كنت أنت تقف الى جانب المرمى ووصلت اليك الكرة من بعيد ولكنهـا كانت عالية جدا مما اضطرك للقفز وضربها برأسك نحو مرمانا ولكن ضربتك لم تكن نحو المرمى مباشرة . فقد تعمدت تغييـر اتجاه الكرة ، فدخلت الى المرمى في نقطة قريبة جدا مـن الطرف . وكان من المتعذر ايقاف الكرة ويومها كنت أنا أقف على باب المرمى ، وشاهدت عينيك وعزمهما الاكيد وعرفت بأنك ستتغلب علي ، ستلجأ الى الحيلة بحيث لا أستطيـع الصمود أمامـك .

وبعد برهة قصيرة واصل الاسود : هل تعرف ما قالـه المتفرجون حينما ذهبت لاحضار الكرة ؟ قالوا ، هل رأيتـم الضربة التي سددها هذا اللاعب الماهر انها حقا ضربة موفقة .

ومد الاسود يده مصافحا وخرج . وفي المطار كان مكبر

الصوت يعلن الرحلة (٣٢٠) الى بومبي التي تأجلت بسبـب عطل في الطائرة ستخرج في الساعة الحادية عشر وعشر دقائق الرحلة ٣٢٠ ستخرج الى بومبي بعد ثلاث دقائق ، شكرا .

أنهى المسافرون طعامهم الذي قدم لهم من الخطوط الجوية التركية وأسرعوا الى الطائرة ، كان واحدا منهم ذو سحنـة شرقية يرتدي بدلة سوداء ، وقد خرج لتوه من غرفة المغسلـة ورشف بقية فنجان قهوة بسرعة ، وغادر مطعم المطار ، يخطـو بخطى واسعة نحو الطائرة .

الجزء الاول

الاستعدادات

القسم الأول

بداية الرجل الأسود

٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ ـ الساعة ١٠٣٠ حتى الساعة ١١٠٠

الرسول الذي جاءني أمس ، قال لي جملة واحدة فقط : ان فيشل الطويل ، يريد مقابلتك ، ولكن هذه الجملة كان لها أثرها الكبير أكثر من الاحاديث التي تستغرق ساعات كثيرة ٠

مضت سنتان على تركي أعمالي السابقة التي كنت فيها التقي بفيشل الطويل من حين لآخر ٠ وكنت أرجو أن أنقطع عن لقائه ولا أحتاج اليه ، ولكن اذا كان فيشل الطويل يطلب منك الحضور فعليك أن تنفذ ٠ وليس السبب قوته ، مع أ فيشل لاندسبرغ الذي يدعى اليوم أساف ليفي ليست لهسوى قوة محدودة ، ولكنني لم أكن أخشى فيشل ، رجل المخابرات، الذي كان مجرد ذكر اسمه يلقي الرعب في قلب كل من يتصادم معه ٠ واذا كنت قد ذهبت لمقابلته فلأنني لن أدعوه باسم (أساف ليفي) لقد كان بنظري وسيظل فيشل الطويل الرجل الـذي أمرني بتشكيل محكمة ميدان داخل بيت مهجور ، ذلك الرجل

الذي دافع عني ، حينما جرت محاكمتنا بتهمة تشكيل محكمة الميدان وتحمل جميع المسؤوليات ، والاتهامات اذا كانت هناك اتهامات ٠

وبعد ذلك واصلت خدمته مدة أربع سنوات كاملـة ، حتى أقيمت جميع الدوائر ، وعندها أدركت أني رجل غريب ، فذهبت اليه وطلبت منه الاعفاء ، فوافق ٠

والآن عندي فتاة ، فتاة حقيقية ، ومنذ عدة أشهر نسكن معا في غرفة واحدة ، حتى لمح لي الاصدقاء أكثر من مرة بأنه لا يجوز في أيامنا أن يسكن انسان مع فتاة في غرفة واحدة بدون أن يتزوجها وهذه الليلة أخبرتني (نعومي) بأنها حامل ٠ يبدو أنها كتمت السر مدة طويلة حتى قررت الليلة الافصاح عنه ، وبعد الزيارة التي قام بها الرسول الي أدركت أن عالمي الصغير الذي شيدته بالجهد في نهاية المستعمرة والواقعة عند طرف السهل ، قد خرب وتلاشى ، وأحست نعومي بذلك بدون أن أخبرها بشيء ، فقررت أن تحاول وتجرب انقاذ عالمنا الصغير ٠

ان فيشل لم يتغير طوال المدة التي انقطعنا فيها عـن بعض ٠ بل انه لم يتغير به شيء فقد كنت أعرفه ٠ ففي الماضي البعيد حينما كنا شبابا لم يكن يبدو الشباب على فيشل ، ومع ذلك فلم يكن يبدو عليه الكبر ، وأعتقد أنه لن يبدو عليه العجز حينما نصبح نحن في سن العجز ٠ فان جسمه الطويل المنحني قليلا ووجهه النحيل وعن فوهة أنفه الكبـير ، كل هذه كانت تعطيه منظر طير جارح من تلك الطيور الجارحة التي ليست للايام حكم عليها ٠

والحقيقة كان فيشل طيرا جارحا ، طير لم يعرف منقاره الشبع ولا الرحمة ، في كل ما يتعلق بذلك المجال الغامـض السري الذي يطلق عليه بشكل عام (الامن) واذا شم فيشل

بمنقاره رائحة عفونة ، لن يتركها الا بعد أن يقضي عليها ويعرف أسبابها ٠

وعند مقابلته ، نهض من مكانه واستدار من وراء مكتبه وشد على يدي مصافحا محييا ٠ ثم سألني عن (نعومي)فأخبرته أنها بخير ٠ تفحصني فيشل بعينيه مليا ، وحينما أدرك أنني لن أدخل معه في حديث ودي ، فتح الدرج الاوسط في مكتبه وألقى الي بقصاصة ورق ، كانت قصاصة من صحيفة يومية ٠ وقال لي : اقرأ بصوت مرتفع ٠ قرأت : شخص مجهول ، حاول أمس السطو على بنك الاعمار في شارع الملوك بتل أبيب ، لقي حتفه برصاصة من حارس البنك ٠ وقال الحارس انه في الساعة الواحدة ليلا سمع حركة مشبوهة باتجاه الصندوق ٠٠ الخ ، وانتهى الخبر بالجملة التالية ، لم يعثر بحوزة اللص على ما يكشف هويته ، وتتولى الشرطة التحقيق لمعرفة هويته ٠ أنهيت القراءة ، ووضعت قصاصة الجريدة على المكتب ،وتطلعت الى فيشل الطويل ، وقلت : أمر مثير للاهتمام حقا ، ولكن ما هي علاقة ذلك بي ؟ وضغط فيشل على جرس في مكتبه وفتح الباب ووقفت فيه شابة وقالت : نعم يا سيد ليفي ، قال : أخبريهم بأن يقدموا لنا شيئا للشراب وشيئا للاكل ، وقال لي والفتاة تدير ظهرها خارجة كيف تبدو لك هذه الفتاة ؟ قلت باستغراب : من ؟ وأشار فيشل برأسه الى ما ورائي ،فاستدرت وشاهدت الفتاة ٠ كانت جميلة ، مثيرة ، شهية ٠ وقلت بصدق: جميلة جدا ، فاحمر وجه الفتاة خجلا ، وغادرت مسرعة ٠ وسألني فيشل في موضوع آخر ، ما رأيك بغرفتي ؟ قلت : جميلة جدا ، ورائعة حقا ، ثم قال : ولكنها لم تعد مناسبة لي ولا أنا مناسب لها ، سأذهب قريبا ، فقد انقضى على ما يبدو عصر الاشخاص القدماء ، وأنا بدأت الوظيفة سنة ١٩٣٦ وقلت باقتضاب : كل انسان يعرف ذلك ٠

ان فيشل لم يستدعني من غرفتي الصغيرة الموجودة في

نهاية المستعمرة الواقعة عند أسفل جبال جلبواع لهذا الغرض ٠

قال فجأة : نحن نواجه وضعا خطيرا ، وتعلم ماذا أصابنا في القاهرة ، وقلت : العالم كله يعلم ذلك ، وجميع الصحف تكتب عنه ومن الضعف القول بأن ذلك سيجلب الشرف لمخابراتنا ، وسدد الي فيشل نظرة صارمة وكأني بمنقاره يريد أن ينقض علي وينقر وجهي وقال : وهل تعتقد أنت أنني موافق على ذلك العمل ؟ قلت كلا ، فحينما قرأت عن ذلك في الصحف كنت أتصور أنك لم تعد رئيسا للمخابرات ، ثم قلت بعد برهة من التفكير : يا فيشل ماذا بشأني أنا ٠

وهنا فتح الباب مرة أخرى ، ودخلت معه امرأة بمريول أبيض تدفع أمامها عجلة عليها أواني الشراب ، واقتربت بالعجلة الى الطاولة وبدأت تضع عليها الاواني بينما كانت هي نفسها محشورة بين العربة وبيني ، وكأنها تعطيني الفرصة لاحس بثنايا جسدها من تحت الفستان ٠ ثم دفعت العربة الى الوراء قليلا وراحت تسكب الشراب لنا ، وكانت تستغل لحظة تقديمها الشراب لي لتلقي بجسدها اللدن على كتفي ٠ ولم أشأ أن أحرك كتفي من تحتها ، وانما نظرت الى فيشل ، تاركا الفتاة تداعب ظهري قليلا ، وانتظرت حتى خرجت وأغلقت الباب ثم قلت : نعم وماذا بعد ؟ ومر فيشل بأصابعه على شعره ، ولكنه لم يكن لهذه الحركة أي معنى ذلك لانه لم يتبق له من الشعر شيئا ، وقال :

ان كل ما بنيناه هناك طوال سنوات عديدة ، قد انهار وتلاشى ، واضطررنا أن نبعد من هناك رجالنا حتى أولئك الذين لم تكن لهم صلة بتلك الشبكة ٠ وذلك لانه أصابهم الخوف ، وحينما يصاب العميل بالخوف من الافضل استبعاده قبل أن يسلم نفسه ويعترف ٠

وسدد فيشل الي نظرة تأملية ، ولكنني كنت أعرف أن فيشل لا يتأملني وانما يعد لي مفاجاة يريدها أن تقع علي كالصاعقة • وأردف : ان الرجل الذي قتل في البنك لم تستطع الشرطة التعرف عليه فلجأت الينا تطلب المساعدة ، وقمنا بالتحقيق في القضية بكاملها وصدفة أثار اهتمامي موضوع معين وعاد من جديد يفتح درج مكتبه وأخرج منه مجموعة من الصور ونثرها على المكتب أمامي ، وألقيت عليها نظرة خاطفة ، ثم بدأت أمعن النظر فيها • كانت صورا كبيرة فيها بعض الشطوب ، وعرفت أنها صور مكبرة عن صور صغيرة وصور بعض الاشخاص كانت مأخوذة عن صورة هوية أو أية وثيقة أخرى ، شاهدت بينها صورة رجل في حوالي الثلاثين من عمره ذو سحنة شرقية ، ولكنه ليس بعربي ، وكذلك ليس بيهودي • وصورة أخرى لنفس الشخص منفردا ، وصورة ثالثة له مع امرأة جميلة في وسط غابة •

قلت وأنا أحاول أن أبدو غير مكترث بالامر : وهل هذا هو اللص ؟ فأجاب فيشل مسلطا نظراته على عيني تماما : كان ذلك هو اللص ، ولكن منذ الغد صباحا ، ستكون أنت اللص •

القسم الثاني

متى تنزل الضربة الجوية

٣١ مايو ١٩٦٧ ـ الساعة ٢٠ر١٤ حتى الساعة ٣٠ر١٥

قال القائد الجالس على رأس الطاولة ، بصوت هادىء وكأنه يستعرض مشكلة يومية عادية : واضح لنا جميعا ، أن اتخاذ قرار ما سيعين بشكل أقرب ، ولذلك من المهم أن نتحرز من الاستعجال • والاوامر الحربية التي أعدت يمكن تغييرها وتغيير موعدها المقرر في الساعة ٣٠ر٤ الى الساعة ١٥ر٧ ، وهذه المسألة مسألة تنظيمية ولا يمكن أن تكون مبررا لالغاء الموعد المقرر (ساعة الصفر) الغاء نهائيا • ومن ناحية أخرى ، من المستحسن بالطبع أن يكون لدى الطيارين مجال ليناموا عدة ساعات ، ومع ذلك فهذا لا يمكن أن يكون مبررا مساعدا لتأجيل ساعة الصفر • واذا حاولنا تجريد المسألة من الامور القانونية ، تبقى أمامنا المشكلة الاساسية وهي ، في أية ساعة نستطيع أن نحصل على نتائج أولية ممتازة وأية ساعة يمكننا أن نستخدم فيها النتائج الاولية بشكل أفضل •

وبقدر ما كان هذا القائد يحاول أن يعطي صوته الهدوء كان يشعر بالتوتر يسود الغرفة الكبيرة التي غطت جدرانها خرائط كبيرة للدول المجاورة • وكانت على هذه الخرائط دبابيس ودوائر ملونة كبيرة وصغيرة تمثل المطارات العسكرية،

ومراكز الوحدات المصفحة والمشاة والمواقع المحصنة وحقول الالغام ..

ثم تحدث الزعيم الجالس بجانب القائد الكبير وقال : أنا أفضل أن تكون ساعة الصفر في وقت متأخر أي في الساعة ٧ر١٥ ذلك لان مصير الضربة الجوية يمكن ظهوره خلال العشرين دقيقة الاولى ، ومن هنا أرى بأن كل عامل يساعد في انجاح عنصر المفاجأة يكون مهما جدا . ففي الساعة الخامسة سيكونوا بانتظارنا وسيظلوا بانتظارنا حتى الساعة الثامنة الا ربع على أبعد تقدير . وكل ما تبقى هو ثانوي .

وعاد زعيم الجو الى ما سبق وأن قاله خلال الجلسة : لقد بينت لكم رأيي ، ان كل شيء جاهز لانزال الضربة القاضية في الساعة الخامسة صباحا . والعملية تستند في الاصل على عنصر المفاجأة بحيث لا يشعروا بقدومنا ، كما أن ساعة الفجر ملائمة للضربة . وعلى فرض أنهم شعروا بنا فلن يقيدنا في ذلك شيء . وستمر ساعتين أو ثلاث ساعات حتى نعرف بوضوح نتائج الضربة ، فاذا بدأنا الضربة في الساعة الثامنة مثلا ، فلن نستطيع اصدار الاوامر للقوات المصفحة لتبدأ الحركة قبل العاشرة أو الحادية عشر وبذلك ينقضي نصف يوم من الحرب هدرا .

وقال آخر .. اننا نعرف طيارينا جيدا . وسيؤدون المهمة بنجاح ، ولا أهمية كبيرة لعنصر المفاجأة . ويكفي فقط أن ندمر مدرجات المطارات . وبرأيي أن هجومنا في الساعة الخامسة مع الفجر هو أفضل حيث سيكون الطيارون المصريون داخل طائرات الميج وبذلك نقضي على الطائرات والطيارين . وهذا يعني أن لا تقوم قائمة لسلاحهم الجوي لعدة سنوات . ولكن اذا دمرنا الطائرات فقط فان باستطاعتهم الحصول على طائرات جديدة فورا . وهنا جاء دور الضابط الاخير الذي لم

يبد رأيه حتى الآن ، انه مدير الاستخبارات العسكرية . ابتسم هذا قبل أن يتكلم . – برأيي أنه من الافضل أن تؤجل ساعة الصفر والتقرير الذي سمعناه أمس يؤكد ذلك بصورة قاطعة ، وتعلمون ان ذلك التقرير كان من شخص في الداخل هناك ، وأقواله أكدت ما لدينا من معلومات ، ولكن حينما سمعت تقريره ارتسمت أمامي الصورة بوضوح أكبر وهي .. أن الطيارين يغادرون طائراتهم ويتجمعون في مجموعات ثم يتوجهون الى غرفة الطعام ، وارتسمت نفس تلك الصورة أمامي عن مطاراتهم في العريش وبير كفكفا ، وفايد ، والاقصر . وهنا قاطعه ضابط آخر ليقول – المسألة في غاية البساطة ، نحن واثقون من أننا نستطيع أن ندمر الطائرات مع من فيها من الطيارين . تصوروا ٢٠٠ أو ٣٠٠ طيار نفاث مدربين جيدا ، يقضي عليهم على المدرجات مع طائراتهم .. نحن واثقون من قدرتنا على تنفيذ ذلك . وهنا تساءل الضابط الكبير : ولكن كم طيارا سيكلفنا هذا العمل ؟ وكم طائرة سيكلفنا ؟ وماذا تكون النتيجة اذا استطاع عدد بسيط من طائرات الميج من الافلات والتحليق في السماء ؟ وهذا بالطبع أمر متوقع خاصة حينما نعلم أنهم ينتظرون ويتوقعون منا الهجوم . وأنا لست على استعداد للتضحية بطيار واحد مقابل عشرة طيارين منهم ، فاذا تمكنا من تدمير طائراتهم على الارض نكون قد حققنا كل ما هو لازم للنصر .

وساد الغرفة هدوء مطبق ، والجميع يفكرون بهذا القرار النهائي الذي لم يكن صريحا . ولكن زعيم الجو لم يكن على استعداد للقبول به بسهولة فقال : أرى أنكم تثقون كثيرا ، بل ثقة تامة في عميلكم بالقاهرة ؟ فرد عليه زعيم الاستخبارات : نعم ، أعتقد أنه خلال أل ١٢ سنة التي أمضاها هناك أثبت نفسه في أكثر من مرة واحدة . وعلاوة على ذلك فلم يحدث أبدا أن قدم لنا أية معلومات غير صحيحة بدون أن يذكر سلفا

أنه يشك في صحتها . ولكنه حينما يقدم لنا معلومات مؤكدة ، فانها تكون مؤكدة وصحيحة بالفعل ، وحينما يقدم تقديرات يقول سلفا انها تقديرات .

وانتصب القائد الكبير واقفا وقال مع حركة نهائية من يده :

أنا أعرف أنه تلميذ ممتاز لفيشل الكبير ، وتلاميذه لا يخطئون أبدا ، واستطرد القائد ، والآن وبعد أن اتضح كل شيء ماذا ننتظر ؟ هل ننتظر أن يشنوا علينا هجوما مفاجئا .

وحاول قائد سلاح الجو أن يعترض على الخطة ولكنه وجد أن الجميع متفقون عليها فاقتنع بها .

القسم الثالث

أنا أصبحت لص البنك

٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ ـ الساعة ١٠ر١١ حتى الساعة ٤٠ر١١

كانت أعضائي متجمدة ، كجسد ميت ، وكنت أعرف أنه ليس بوسعي أن أعارض (فيشل الطويل) ، هذا الرجل الذي لا تعرف الانسانية طريقة الى قلبه في العمل الرسمي ، ولم يكن يعرف سوى النصر ، النصر بأي ثمن في المعركة السرية الدائمة ـ المخابرات . وما كان ينتهي من نصر حتى ينتقل الى معركة أخرى لتحقيق نصر جديد وهكذا باستمرار . ولهذا كان فيشل يرى في الناس مجرد أدوات لتحقيق الاهداف .

أنظر في هذه المرآة قال فيشل مشيرا الى مرآة كبيرة معلقة على الحائط ، ونظرت ، رأيت وجهي بها يستطيل ، ويتضخم ، كان مخيف الشكل ، والان أنظر الى هذه المرآة ، قالها فيشل وهو يشير بيده الى مرآة أخرى بجانب المرآة المكبرة ، ومقابلها صورة لص البنك . وانتقلت بنظري بين المرآتين عيناي لا تصدقان ما تريان . كان فيشل يمسك بصورة اللص قريبا مني بحيث يتعذر علي أن أرى صورتي في المرآة العادية ، وانما لأرى صورة الرجل الغريب الميت ، اللص . كانت صورة وجهي في المرآة المكبرة ، تماما كصورة اللص .

قال فيشل : ان والده تركي ووالدته أرمنية ، ولهذا فان

اسمه آرام أنوير . انه اسم أرمني تقليدي . أب تركي وأم أرمنية . تزوجا سنة ١٩٢٣ . وهذا يذكرنا بآلاف النساء الارمنيات اللواتي اغتصبهن جنود الاتراك في زمن طرد الارمن ، قبل ثماني سنوات من زواجهما ، وربما كان هذا مجرد عملية اغتصاب .

واستطرد فيشل قائلا .. المفروض أن تكون أنت ابن لهما والمفروض أيضا أنهما افترقا عن بعض بينما كان عمرك عشر سنوات ، وبعدها أدخلت مدرسة داخلية قرب مدينة (ازمير) ، وستجد تفاصيل أخرى وافية عن حياتك في الاضبارة التي سأعطيها لك . المهم أن تعرف أن والدك مات قبل ٦ - ٧ سنوات ، تاركا لك أملاكا بسيطة . كان والدك تاجر مواد فنية ولكنك أنفقت جميع ما خلفه لك والدك وبدأت تعمل في أعمال مشبوهة .

ابتداء من يوم غد سنبدأ باعدادك بشكل عام لتظهر أول مرة على الناس ثم تختفي لمدة أسبوع وتدرس اللغة التركية وبعض كلمات من اللغة الارمنية وتتسلم عملك .

قلت لفيشل : وهل أستطيع خلال أسبوع واحد أن أدرس اللغة التركية وأسافر الى تركيا كرجل تركي ؟ قال فيشل : لن تسافر الى تركيا ، فان أذكى انسان لا يستطيع خلال أسبوع أن يدرس لغة غريبة ويظهر بمظهر أهلها .

قلت .. اذن الى أين سأسافر ؟

قال .. الى باريس ، وهناك تقيم اتصالات مع تجار الاسلحة ، وتتحول الى سمسار أسلحة ، سمسار كبير ، لأسلحة كبيرة ، مدافع ، أجهزة ، رادار ، طائرات .

قلت .. ولمن سأورد تلك الاسلحة ؟

قال فيشل بصوت صادق لاول مرة منذ بداية الحديث : آمل أن يكون (آرام أنوير) من النشاط والذكاء بحيث يصبح مورد سلاح لسلاح الجو المصري .

القسم الرابع

سلاح الجوّ العِراقي ينضمّ إلى المعركة

١ يونيو ١٩٦٧ - الساعة الحادية عشر (١١٫٠٠)

كانت الكتيبة موزعة على طول المنطقة الممتدة من مستعمرة (جؤليم) حتى الطريق الرئيسي . أما قيادة الكتيبة فكانت في مواقع في طرف المستعمرة ، بينما تتمركز السرايا بين الاحراش والبيارات وأشجار السرو التي غرست قبل ١٥ سنة حينما كانت الحاجة تدعو الى توفير العمل لمئات الالاف من المهاجرين اليهود الجدد . وكانت هذه المنطقة ممتازة بالنسبة للجنود حيث أن أشجارها تشكل تمويها ممتازا لهم ولسياراتهم وآلياتهم ، كما كانوا يستخدمون الغصون والاوراق الجافة في اشعال النار لتحضير الشراب الساخن وطهي الطعام ، وتسخين ماء الغسيل . وفي هذا اليوم قام أفراد الكتيبة جميعهم ، بغسيل ملابسهم فغدا ، السبت سيأخذ كل واحد من أربعة اجازة السبت ، بينما تقوم عائلات بقية الجنود بزيارتهم في المعسكر .

وفي الفئة الثانية من السرية الثانية كان قائد الفئة ومساعده يغسلان ملابسهما وينشرانها على حبل معدني مربوط بدبابات نصف مجنزرة مموهة ، ويمتد طرفه الآخر ويرتبط بجذع شجرة كبيرة . وبعد أن فرغا من نشر الغسيل جلسا

لاعداد القهوة والانتظار ٠

قال قائد الفئة : يبدو أن الطقس حار اليوم ولذلك أفكر بأن أعيد معطفي الى البيت ، فسيتلف هنا ، سأسلمه لك غدا لترسله الى البيت ٠ قال الجندي ، حسنا سأمر على بيتكم حال وصولي المدينة وسأخبر زوجتك بأن تزورك يوم السبت ، وتستطيع أن تسافر مع زوجة (روبين) ، فلديها سيارة لم تضع قيادة الجيش يدها عليها ، ولم تجندها لخدمة الجيش ٠

أنزل العريف ابريق القهوة عن النار ، ثم أعاده ليغلي قليلا ثم سكب منه في علبتين من الصفيح ، تستخدمان كفناجين للشراب ثم قال : آمل بأن يكون هذا السبت آخر سبت لنا في هذا المكان ، فأما أن تصدر لنا الاوامر بالحركة الى الامام أو يعيدونا الى دورنا ، أوكم من الوقت يمكننا البقاء هكذا على هذه الحال ؟ ٠

قال الجندي ٠٠ لقد تحدثت مع نائب الاستخبارات وقال لي : انه ترابط مقابلنا في خان يونس كتيبتان ٠ أعتقد أن أفرادهما من الفلسطينيين ، والجنود الفلسطينيين أمهر من المصريين ولن يكون من السهل علينا احتلال خان يونس ٠

ورد العريف بغضب ، ومن قال لك أننا سنذهب الى خان يونس ومن أين تعلم عدد قواتنا ؟ هل رأيت قواتنا المصفحة وقوات المدفعية المنتشرة في جميع أنحاء المنطقة ؟ فتحت كل شجرة دبابة أو مدفع ومع ذلك من المحتمل أن يبلغونا غدا بالعودة الى منازلنا ٠

هذا هو ، قالت المجندة النائبة بانفعال ، أنه نداء التوجيه اللاسلكي ، وحركت النائبة زرا على جهاز اللاسلكي وراحت ترسل بسرعة ، ثم انتهت وأعادت الزر الى مكانه على الجهاز ونظرت الى الاشارات الظاهرة على الورق ٠ ثم قطعت قصاصة الورق من الجهاز وسلمتها الى النائب الواقف خلفها

الذي قام بحل الرموز اللاسلكية وحولها الى حروف عادية وقال للضابط الواقف بجانب جهاز اللاسلكي ، انه يريد أن يعطي خبرا مهما ـ فقال الضابط للنائبة ـ هل هناك شيء غير هاتين الكلمتين ، قالت النائبة ، نعم وأشارت بيدها علامة البدء ٠ ثم الكلمتين ، وعلامة الانتهاء واستعدت لاستقبال الارسال اللاسلكي ، ثم سلمت ما استقبلته الى الضابط وأغلقت الجهاز وقرأ الضابط ، سربان من طائرات ميج ٢١ وسرب من طائرات طوبوليف ١٦ (تكرار) انتقلت الليلة من الحبانية في العراق الى (أش ٠ ثري) (٠) يجري تعزيز القوات الجوية في العريش جبل لبنة ، بين ثماده ، بير كفكفا (٠) دبابات من نوع تي ـ ٥٥ العدد غير معروف أرسلت الى سيناء ٠ انتهى ٠

القسم الخامس

رسالة وداع لنعّومي

٢٣ نوفمبر ١٩٥٤ الساعة ٤٠ر١١ حتى الساعة ٣٠ر١٢

أنا آسف ، قال فيشل ، وكأنه قادر بالفعل على الاسف ولكن (آرام أنوير) غائب عن الدنيا منذ اسبوعين ، أمامك أسبوع للاستعداد وسنحاول اعطائك خلال ذلك معلومات أخرى عن نفسك . وبعد أن تقيم شهرا في باريس آمل أن تتمكن من السفر الى تركيا لتنهي جميع أعمالك هناك .

قلت .. ولكن صديقتي نعومي حامل .

قال .. منك ؟

قلت .. نعم ، واننا نريد طفلا .

ثم سحب فيشل ورقة من أمامه وقدمها الي وقال لي أكتب

عزيزتي نعومي ،

وهنا توقف عن الكلام وضغط على جرس في طاولته ثم سألني ما هو اسم الدلع الذي ندلعها به ؟ قلت « نيني » وفي غضون ذلك دخلت الى الغرفة الفتاة التي سبق أن قدمت لنا القهوة . ورفع فيشل اصبعه وقال للفتاة : هذا الرجل ، أنت حامل منه .

ورحت أنقل نظري بين الاثنين ، فيشل والفتاة ، باستغراب اكتسى وجه الفتاة بحمرة الخجل ، ولكنها لم تنطق بكلمة بينما واصل فيشل الكلام ، والآن هو يكتب لك

رسالة ، يشرح فيها أنه ينوي قطع جميع علاقاته بك ، وربما يترك البلاد كذلك ولذلك أصغي .

نيني عزيزتي ...

لقد فكرت في الايام الاخيرة كثيرا في مستقبلنا ،ووصلت الى نتيجة بأني لست أنا الرجل الذي يستطيع أن يحقق لك السعادة . واقتربت الفتاة مني وحركت رأسها نفيا وقالت : أنا آسفة ولكن يبدو هذا الكلام مصطنعا بعض الشيء. فالمفروض أن يتكلم قليلا عن الحب ، هكذا يفعل الرجال قبل أن يتركوا صديقاتهم .

وعاد فيشل يملي علي الرسالة من جديد وأنا أكتب .

حبيبتي نيني — ثم توقف فيشل وقال لي : خذ الرسالة معك سنستريح لمدة ساعتين ، وستقوم (روثي) بتعريفك على الفندق الذي ستنزل فيه ، وهناك أطلب من الفندق ورقا واكتب الرسالة عليه ، وضع على الرسالة تاريخ يوم غد وسلمها الى روثي ، وسنقوم نحن بارسالها في الوقت المناسب. والمفروض أيضا أن تكتب رسائل الى والديك ، رسالة تحمل تاريخ يوم غد وعليك أن تشير فيها الى أنه من المحتمل أن تغادر البلاد ، ورسالة سنقوم نحن بارسالها بعد أسبوعين من روما . وسنقول انها منك ، وأنت مرسلها من روما ولذلك عليك أن تصف في الرسالة مدينة روما بشكل عام ، كما سنلتقط لك صورة في لباس جميل على أنها مأخوذة لك في روما واعلم أنها ستكون آخر صورة لك يا (اينر جاك) .

نظر الى ساعته ثم قال : سنلتقي في الساعة الثانية والنصف وقال للفتاة : عليك بانتظاره في الخارج ، ولما خرجت (روثي) من الغرفة قال : تستطيع أن تعتمد عليها في كل شيء ، ولكن لا تحدثها عن شيء ، سنلتقي في الساعة الثالثة قرب المستشفى البلدي ، من الخلف لنقول انك خرجت من هناك .

القسم السادس

الحصار الحديدي يزداد ضيقاً

٢ يونيو ١٩٦٧ الساعة ١٠ر١١

هذا هو ، قالت المجندة النائبة وراحت تضغط على زر جهاز اللاسلكي ، وكانت الاذاعة قصيرة جدا • كلمتان فقط ، تأجلت الحفلة ، ثم أغلقت الجهاز •

جلس أل ١٩ مدنيا حول الطاولة من الجهة اليمنى للغرفة وجلس أل (١١) عسكريا في الجهة اليسرى • افتتح الجلسة المدني الذي يجلس على رأس الطاولة من اليمين ، وكان وجهه منهكا وصوته متعبا • وأعطى صلاحية الكلام للرجل العسكري الذي يجلس على رأس الطاولة من الجهة اليسرى • ونقل الرجل العسكري نظرة على وجوه المدنيين وقال وهو جالس •• بالطبع تعرفون كلكم ، وأشار بيده الى الزعيم الذي خلع قبعته التي تحمل شعار المخابرات ووضعها على الطاولة أمامه ، واقترح أن يبدأ هو بالكلام أمامكم لاستعراض قوات العدو ، أقول العدو ليس وليس أعداء ، لان جميع المعلومات تشير الى أنه يقف في مواجهتنا عدو واحد موحد فقط * •

* (ملاحظة المترجم) : هنا يصف المؤلف جلسة لمجلس الوزراء الاسرائيلي يحضرها كبار قادة الجيش لشرح الموقف واتخاذ قرار نهائي بشأن حرب حزيران •

وقام الزعيم من مكانه وبالرغم من قامته القصيرة ، والابتسامة التي لا تكاد تفارق شفتيه ، فقد نجح في أن يضفي صفة الدراماتيكية على كل حركة من حركاته ، وعلى كل جملة نطق بها • وأزاح بيده ستارا كان يغطي خارطة ضخمة وراح يشرح باسهاب ، كأستاذ يعد طلابه لفحص في مادة درسوها قبل مدة وجيزة •

القوة الرئيسية للعدو ، موجودة ، بالطبع في الجنوب ، وبالنسبة لقطاع غزة يمكن القول بسهولة ان القوات العسكرية فيها ضوعفت تماما منذ الخامس عشر من شهر مايو الماضي • أما في سيناء ، كما قلت في اجتماعنا السابق فقد ازدادت القوات فيها من فرقة واحدة الى ست فرق ، وبدخول الفرقة المصفحة الرابعة التي تعتبر من خيرة الفرق المصرية الى سيناء فان عدد قوات العدو في الجنوب يصبح (١٠٠ الف) رجل تقريبا ، ومعهم حوالي ١٠٠٠ دبابة ، وكنا نعتقد أن الامر انتهى عند هذا الحد ، ولكن للاسف الشديد علمنا في اليومين الاخيرين من مصادر موثوقة للغاية أن قوات العدو لا تزال تصلها التعزيزات بل في هذه الايام تماما وصلت الى مصر شحنة جديدة من الدبابات الروسية الحديثة ، وهي أحدث من أي نوع من الدبابات نملكه نحن ، ويجري ارسال تلك الدبابات الى سيناء رأسا • كذلك يجري تعزيز القوات الجوية في سيناء بصورة مستمرة ، والعدو مستمر في استقبال الطائرات الحديثة التي تتفوق من الناحية الفنية على الطائرات الحديثة الموجودة بحوزتنا • ولكن يبدو لنا أنه في الايام الاخيرة أصبحنا نواجه خطرا جديدا ولا أعرف اذا كان هذا الخطر الجديد أكبر من خطر القوات المصرية في سيناء • تعلمون أن اللواء رياض ، المصري ، أقام قيادته في عمان ووضع تحت تصرفه الجيش

الاردني بفرقتيه المقاتلتين وال ٢٠٠ دبابة الموجودة هناك · وستبدأ اليوم بالالتحاق الوحدات العراقية المرسلة الى الاردن · وهي عبارة عن فرقة مشاة مع فرقة مصفحة حوالي ١٥٠ دبابة ·

وهذا يعني أن قوة مصفحة قوامها ٣٥٠ دبابة ستبدأ بتهديدنا منذ الغد مباشرة ، وخاصة في منطقتي القدس وتل أبيب ، وتفيد المعلومات المتوفرة لدينا أن القوات العراقية المصفحة ستبدأ اجتياز نهر الاردن يوم الاحد أو الاثنين وتتجمع كلها ، في الضفة الغربية في النصف الثاني من الاسبوع المقبل وعلاوة على ذلك ، فان الوحدات الممتازة في سلاح الجو العراقي هي طائرات مقاتلة وقاذفات طويلة المدى ، وقد انتقلت الى مطار وأشار الضابط بعصا طويلة في يده على مكان المطار وعلى الخارطة ، واستأنف حديثه قائلا : وبذلك أصبحت الان جميع المنطقة الشمالية من اسرائيل في مدى الطائرات الحربية العراقية ، كما ان اسرائيل كلها أصبحت في مدى قاذفات طوبوليف ·

وهنا سأله أحد المدنيين ، ما هو مدى قاذفة الطوبوليف ؟

الزعيم : ٢٤٠٠ كيلومتر ذهابا ومثلها ايابا · ويعني ذلك ان طائرة طوبوليف تستطيع أن تقلع من مطار (أش·ثري) وتقصف ايلات وتعود الى مطار (أي · ثري) بدون أن تحتاج الى توقف أو تزود بالوقود ، وتكرر قصف ايلات وتعود الى قاعدتها مرة أخرى ·

هناك نقطتان مهمتان : علمنا أن قوات سعودية تقترب من خليج ايلات وان طائرات مصرية تحلق فوق النقب ، وتقوم بالتقاط الصور لقواتنا هناك · ولما كنا نعلم أنه ترابط قرب الكونتيلا فرقتان للعدو فيمكننا أن نتصور أن خطتهم الحربية تنص على شن الهجوم على جنوب النقب وعزل ايلات والاتصال بالقوات الاردنية والسعودية ·

وسأله أحد المدنيين ـ تقصد الطائرات المصرية تحلق فوق أراضينا ؟

نعم ، قال الزعيم ، ثم جلس وأنهى حديثه · وعاد المدني يسأله : تعني أنهم قادرون على النزهة في أجوائنا ؟ ورد عليه بسرعة قائد آخر : لا يقدرون على التنزه ولكنهم يقومون بالمرور فوقنا ، ويا أيها السادة ان الاسلحة التي بحوزتهم حديثة أكثر وعددها أكبر وهي تزداد من يوم ليوم كما استمعتم من قبل · وبدأ الرجل العسكري الجالس على رأس الطاولة الحديث بهدوء وقال : لم أكن أريد أن أخرج عن نطاق الحقائق العسكرية المجردة ، فمهمتنا الوحيدة هنا يا سادة أن نكون تحت امرتكم نقدم لكم المعلومات والمشورات · والحقيقة التي نقف أمامها الان هي حجم وكثافة قوات العدو وسلاحه قبل يومين، كما نعتقد أن حشد القوات قد انتهى ، ولكنه اتضح لنا فيما بعد أن القوات لا تزال تصل الى الجنوب وخلقت وضعا جديدا في المنطقتين الجنوبية والوسطى ، وأما بالنسبة للمنطقة الشمالية ـ الجبهة السورية ـ فمع أن الحالة هناك تكاد تكون متجمدة ، فلا تزال للعدو هناك قوات كبيرة ممتازة · وان انضمام الجيش العراقي الى الجبهة ليربط جميع الجبهات ببعضها البعض أمر في غاية الخطورة · واذا بقينا ساكتين ، نسمح للعدو أن يعزز قواته في كل مكان فسنواجه قوات عسكرية قوامها أكثر من نصف مليون جندي وأكثر من ٢٥٠٠ دبابة وحوالي ١٠٠٠ طائرة خط أول · وهذه قوة كبيرة هائلة ·

القسم السابع

مع جثتي وجها لوجه

٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ ، الوقت ١٤،٣٠ حتى ١٨ر٠٠

ارتديت ملابسي بأناقة ، ثم ألقيت نظرة على (روثي) النائمة في الفراش ثم قلت لها : هيا يبدو أنني سأكتب لك رسالة حقا • وحاولت روثي أن تحافظ على هدوئها وقالت ، أية رسالة ؟ فقلت لها : الرسالة التي تحدث عنها فيشل ذلك الذي قال لك بحضوري ومشيرا الي ، هذا الرجل جعلك تحملين منه والآن يكتب لك رسالة وبالمناسبة هل فعلا قال لك فيشل ان عليك أن تنامي معي ، في فراش واحد ؟ قالت : كلا ، ولكن •• فهدأت من روعها قائلا لا بأس فانني أعرف فيشل منذ وقت طويل ، وأنا أصدقك ، ومع ذلك آمل أن تكوني قد استمتعتي ببعض الشيء ، واذا كان فيشل قد قرر أن تنامي معي ، فليست أية أهمية للموضوع من وجهة نظرنا نحن ، فالأوامر أوامر وعلينا أن ننفذها • وسأذهب الآن لمقابلته ، وعليك أن تنتظري هنا • فوافقت روثي وقالت : انها ستذهب لشراء تذكرتي سينما لنخرج بعد المقابلة لتمضية بعض الوقت•

قادنا الحارس (أنا وفيشل) الى غرفة في الطابق الارضي ، وهمّ خارجا ولكن فيشل أمره بأن يغلق علينا الباب من الخارج ، وأن يعود الينا بعد مضي ساعتين ، وعليه ، خلال

ذلك أن لا يسمح لأحد بالدخول • وسألت فيشل ما سيفعله في هذه الغرفة لوحدنا طوال ساعتين ، فقال لي : تعال معي ما وسنقوم في البداية باخراجه ، باخراجك أنت •• اذا أردت * •

كانت الجثة باردة للغاية وكأنها كتلة من الجليد ، ألقينا بها على الطاولة في وسط الغرفة ، وطلب الي فيشل أن أتفحص الجثة جيدا وأذكر بصوت مرتفع أية علامة مميزة أراها في الجثة • وقال لي انه سيقرر بعد ذلك كيف سيهتم بأمري ويجعل منا (أنا والجثة) شبها واحدا في كل شيء ، ما عدا برودة الموت طبعا •

وبدأت أذكر بصوت مرتفع العلامات التي أعتقدها مميزة في الجثة •

قلت أولا •• انه مطهر (أي أجريت له عملية ختان) •

قال فيشل •• بالطبع فهو مسلم •

قلت •• طوله يقارب طولي الى حد ما •

قال •• صحيح ، طوله ١٧٧ سم يبدو طويلا بعض الشيء ولكن هذا الطول لا يثير الاهتمام •

قلت •• حجم الجثة يشابه حجم جسدي •

قال •• صحيح فلكما نفس الوزن •

ثم انحنيت قليلا فوق الجثة وقلت : أرى على الجثة آثار دمل أو حروق أو آثار عملية جراحية •

قال فيشل •• لا يهمك ، سنحفر على جسدك مثل ذلك •

قلت •• يبدو أنه ذو شعر أكثف من شعري مع فارق بسيط في اللون •

قال •• لا بأس ، سنقوم غدا بصبغ شعرك بنفس اللون

* (ملاحظة المترجم) : المقصود اخراج جثة سارق البنك الذي يفترض أن يتقمص شخصيته ويحل محله في كل شيء هذا العميل الذي اختاره فيشل •

قبل أن نذهب لتحل محله في الفندق الذي يفترض أن يكون نازلا فيه ٠

قلت ٠٠ الانف ، أنف الجثة ، يبدو أجمل من أنفي ،فهو ليس سامي وانما يشبه الانف الروسي قليلا ٠

قال فيشل ٠٠ ورث أنفه عن أمه ، انظر الى صورتها في الاضبارة ، انها جميلة ٠

قلت ٠٠ شاربه أدق وأكثر اناقة من شاربي ، أما فمه فيشبه فمي ومع أن فكي أعرض من فكيه بعض الشيء ، ولكن واثق أنك ستجد السبيل الى ضغطهما قليلا ليأخذ نفس شبه فكيه ٠

حينما دخلت الغرفة أنا وفيشل لم تكن حالتي النفسية جيدة ولم تتحسن خلال وجودنا في الغرفة ، ولم أستطع أن أتخلص من الشعور بأنني حينما سأحل محل هذا الرجل (الجثة) الملقاة هنا فانني في النهاية سأحل محلها بالتمام والكمال وأكون ملقى ، بعد وقت ما على مثل هذه الطاولة ، وجثة باردة مثلها ٠ وواصلت ذكر أوصاف الجثة ٠

قلت ٠٠ له جبهة عريضة جميلة ، لكن لي جبهة مثلها ، العيون عسلية ويمكن القول عن عيوني عسلية أيضا ٠ ونظرت الى كفيه كانا أنعم من كفي وأصغر ٠

قال فيشل ٠٠ هذه مشكلة ، فبعد الوجه يأتي الكفان من حيث سهولة التمييز وهما يثيران الانتباه ٠ ان وجه الانسان ، وانتصابه وحتي حركاته يمكن أن تتغير من الزمن ، ولكن الكفين فلا يتغيرا وأعتقد أننا لا نستطيع أن نفعل كثيرا لتقريب الشبه بينكما في هذه النقطة ، ومع ذلك سيجري بعض التجميل أظافر طويلة مستعارة ، ولن يستطيع تمييز ذلك الا من كان يعرفك جيدا ، ولذلك عليك أن تحذر النساء ، فان أية امرأة سبق أن نامت معك ، ويبدو أن جميع نساء المنطقة القريبة كان

لهن نصيب في مضاجعتك ولو مرة واحدة على الاقل ،تستطيع أن تتعرف وتتذكر كفيك ٠ وعندما تزور تركيا أو أي مكان آخر يجب أن تتجنب ، وتحذر النساء اللواتي يعرفنك من قبل ٠

ثم قال فيشل ٠٠ والآن سنقلب الجثة على وجهها ، لتقوم بتفحصها من الخلف ٠٠ وما ان قلبنا الجثة حتى بان على الظهر آثار دمل آخر أو ما شابه ٠ فرد علي فيشل قائلا : انها آثار رصاصة من سلاح خفيف ، ولا أدري من أين جاءه هذا الشرف، قالها بتهكم ٠ وقلت وأنا أعرف سلفا ما ينويه فيشل بالطبع : تستطيع أن تجد الشخص الذي يمكنه أن يحفر نفس العلامةعلى ظهري ، ولكن أرجو أن توصيه بأن لا يجعل الرصاصة تدخل في جسدي وتقتلني ٠

ثم قمنا بالباس الجثة ملابسها التي أحضرها فيشل معه في حقيبة صغيرة ، ولكننا عجزنا عن وضع الحذاء في قدميها ، وأوقفنا الجثة وأسندناها الى الطاولة ٠

كان ذلك الميت في ملابسه الانيقة ، وقميصه الابيض ، يبدو رجلا في غاية الاناقة وحسن المظهر مع أن بشرته كانت شاحبة بعض الشيء ٠ وقال لي فيشل ٠٠ أنظر الى الجثة جيدا ، فلن تعود الى هنا مرة أخرى قبل أن تغير مظهرك ٠

حينما دخلت غرفتي في الفندق ، وجدت فيها (روثي) ممتدة على السرير يستر جسمها البض غطاء وردي ، ومقابلها على كرسي وثير كانت تجلس نعومي ٠ لم تقل كلمة ٠ وانما نهضت ونظرت الي ولطمتني بكفها بقوة وخرجت من باب الغرفة بعد أن جذبته بشدة محدثة صوتا مدويا٠ وأحسست أن يداي وأصابعي تكاد تتحجر وأنني بعد قليل سأفقد السيطرة على نفسي ، ثم قلت لروثي بصوت هادىء مهدد خلته يخرج من حلقي مجمدا كجثة ذلك الميت في الثلاجة الكبيرة : أخرجي ، أخرجي فورا قبل أن أقضي عليك ٠

القسم الثامن

ظهرت طائرات الفيتور فوق التلال

٣ يونيو ١٩٦٧ الساعة ٧ر٣٠ حتى ٨ر٣٠

خطر ، منطقة مناورات · الدخول ممنوع بتاتا · ممنوع المرور منطقة نيران حية ، الدخول ممنوع · المخالف يعاقب ·· خطر ألغام ·· الحذر ·· حاجز ·· قف للتفتيش ·

كانت المنطقة كلها محاطة بالاسلاك الشائكة ، كما أن الاراضي المناسبة لمرور السيارات أغلقت وزرعت فيها حقول الالغام · وعلى طول امتداد الاسلاك الشائكة وحقول الالغام كانت تقوم بأعمال الدورية الشرطة العسكرية التابعة لسلاح الجو · وفي قلب هذه المنطقة الصحراوية في منخفض بين التلال كانت تنساب مياه وادي · وبالقرب منه حيث الوادي ينعطف عطفة حادة ، أقيم المطار العسكري · وكانت مباني المراقبة والقيادة تقوم في طرف المدرجات الطويلة ، ومن خلفها مباني السكن وقاعة الطعام ، والى جانب المدرج الداخلي في منتصف المسافة ، أقيمت بناية صغيرة ، هي غرفة الاسعافات الاولية · وعلى المدرج الذي تقوم بجانبه بناية المراقبة كانت تقف سيارات الوقود · وعلى بعد منها سيارات الاطفائية · وبالقرب من مباني السكن كان يجري اعداد المدفعية المضادة للطائرات · ثم بدأ الجنود يتجمعون قرب قاعة الطعام ، وجرى

لهم طابور تفقد · ثم انطلق صوت صفارة الانذار ، فهرع الجميع الى الملاجيء الارضية · وانطلق بعد ذلك صوت صفارة أخرى وأعلن مكبر الصوت ثلاث دقائق للرماية ، القصف الجوي على الجميع أن يتوجهوا الى الملاجيء · بطاريات المدفعية المضادة للطائرات تستعد ··· ثلاث دقائق للرماية · وبالفعل خلا المطار من كل شيء ، وانطلق صوت الصفارة وتبعه مكبر الصوت يعلن دقيقتان للرماية · وظهرت طائرات الفيتور من خلف التلال وكأنها تلامس رؤوسها ومرت مسرعة فتصدت لها المدفعية المضادة بنار كثيفة ، وما أن وصلت الطائرات ومرت بارتفاع برج المراقبة وألقت بقنبلة على المدرج ، وواصلت المدفعية المضادة رمايتها ، ثم ارتفعت هذه الطائرة لتنقض طائرة أخرى على نفس المكان وألقت قنبلة أخرى وعادت الى الارتفاع · واشتعلت النيران على الارض ثم عادت الطائرة الاولى لتنقض مرة أخرى ، واشتعلت النيران في كل مكان بالمطار وراحت سيارات الاطفائية تعمل جاهدة لتحصر النيران ، وفجأة شوهدت طائرتي ميراج تنطلق من الافق ، لتقف فوق المطار تماما وتنطلق منها القنابل ثم ترتفع ·

انتهت المناورة وتولت السيارات اصلاح أرض المطار ·

القسم التاسع

الجاسوس يقوم باعادة عامّة

٢٣ نوفمبر ١٩٥٤ الوقت الساعة ٠٠ر١٢ حتى ٠٠ر١٣

أسند فيشل نفسه الى الخلف على الكرسي ، وكسا وجهه بتعبيرات متأملة وقال بهدوء : أعد كل شيء ، لا تسرع • ولا يزال أمامنا متسع من الوقت • قلت وأنا أشير الى حقيبة جلد سوداء محشوة بالوثائق والمعلومات الخاصة بي وبأوصافي وتاريخ حياتي •

تاريخ حياتي •• أصدقائي •• أقاربي ، معلومات عن أملاكي ، عاداتي ، وطباعي ، وسآخذ كل هذه معي الى الفندق في حيفا ، وسأدرسها خلال اسبوع وكل ما أنتهي من شيء أتلفه بواسطة المادة الخاصة الموجودة في داخل أنبوبة مغلقة في المحفظة الصغيرة • يجوز لي أن أنسخ بعض الاسماء الهامة وأسجلها في مفكرة صغيرة بشكل يبدو للاخرين بأنني أقصد الاحتفاظ بعناوين أصدقائي • سأكتب كل شيء باللغة الانجليزية مؤقتا حتى أتعلم اللغة التركية • وأثناء وجودي في حيفا علي أن أبتعد عن مقابلة الاجانب الذين يمكن أن يتعرفوا علي بعد سنوات ويعرفوا أنهم التقوا بي باسرائيل • وخلال الاسبوع الذي أمضيه في حيفا سأتعرف على نفسي ويتولى رجالك تعليمي التركية وبعض الكلمات الارمنية وقليلا من

الفرنسية التي ألم بها الى حد ما • وبعد ذلك أطير الى سويسرا بجواز سفري القديم الموجودة فيه فيزا اسرائيلية ، وبواسطة الجواز القديم الذي يكون ممتلئا بالاختام أستخرج من القنصلية التركية جواز سفر جديد ، أما جواز السفر القديم فأسلمه لواحد من رجالك ليقوم بتغيير اسمي فيه وأضعه في صندوق خاص بالبنك ، لاعود وأستخدمه في السفر الى اسرائيل وأحصل على تأشيرات الدخول الى اسرائيل من القنصلية الاسرائيلية في تركيا ، حتى يظل جواز سفري الجديد معي في وقت واحد •

ومن سويسرا أطير الى باريس ، وهناك في فندق (هيلتون) يتصل في شخص من عملائك بواسطة كلمة السر (الشاة مخصصة للذبح) يتكلم معي بالانجليزية وأرد عليه بها وأقول له (أنا هو الشاة) والمفروض أن يكون ذلك العميل لا يعرف عني شيئا ما عدا أن من واجبه أن يساعدني ويمدني بالمال • وأحاول أن أبحث عن منزل ولكن لا أجد منزلا يروقني • فأحاول أن أبحث عن منزل أفضل ، وخلال ذلك يترك لي العميل بطاقة ما في الفندق • وعلي أن أذكر في كل مناسبة بأنني أعتزم أن أنهي أعمالي في تركيا وأنتقل الى باريس •

معظم وقتي في باريس أكرسه لدراسة اللغة التركية ، وبعد أسبوع أعود الى سويسرا ، وأستبدل جواز السفر الجديد بجواز السفر القديم لاسافر به الى اسرائيل وحينما أستبدل جواز السفر أقوم بتغيير لون شعري حتى لا يستطيع من يراني في اسرائيل أن يتعرف علي في الخارج • وفي كل مرة أعود فيها الى اسرائيل أدع شاربي يكبر ويتهدل • وفي أول مرة أزور فيها اسرائيل أقوم بالاتصال بك فورا ، أما في المرات القادمة فأقوم حال وصولي باستئجار غرفة ، ليس في فندق ، وانما في مكان آخر باسمي المذكور في جواز السفر القديم • ويجب علي أن لا أغادر الغرفة الا لمقابلة المسؤولين عني • وبعد

أن تستقيل من الخدمة أو تحال على التقاعد يجب أن لا أتنقل
من مسؤول الى مسؤول ، لأظل معروفا لأقل الناس عددا • واذا
طلب مني مسؤول جديد مهمة ثانوية أرفضها باصرار • وفي
باريس يقوم عميلك بايجاد اتصالات أولية لي مع الطبقة
الرفيعة ثم أعود الى تركيا وأنهي أعمالي فيها ، ثم أتصل
بمهربي السلاح وأطلب منهم أن أتصل بمهربي السلاح في
باريس وأسافر الى باريس ومعي عناوين المهربين وتجار
الاسلحة ، ولكنني لا أباشر العمل ، وانما أسعى لاقامة علاقات
بالطبقة العالية وبعد مدة تعطيني أنت اشارة للبدء في العمل •
وأباشر العمل بربح بسيط لاكون مصدر اجتذاب واغراء •ومع
ذلك أحاول أن أجمع ما أستطيع من المال ، بشرط أن لا أبيع
السلاح الا لاخواننا المسلمين • وبعد ذلك يقوم عملاءك بفتح
الابواب العالية أمامي وأسعى للوصول الى التجارة في كل ما
يتعلق بالطائرات كقطع الغياروالمدافع المضادة للطائرات وأجهزة
اللاسلكي والرادار ومدافع الطائرات والذخيرة والطائرات
نفسها • وسألني فيشل : ماذا عن دينك الجديد ؟

قلت •• بالاصل ، أنا لست متدينا شديدا فانا أشرب
الخمرة وأضاجع النساء ، ولكنني سأتعلم أصول الدين ،
الصلوات الهامة والكتب الدينية وحينما أتعرف على أوساط
اسلامية في باريس أتظاهر أمامها بأداء بعض الشعائر الاسلامية
وسيقوم أحد عملاءك بتدريبي على ذلك • وحينما أصل الى مصر،
هذا اذا وصلتها سأفسح المجال لاصدقائي هناك في أن يلقنوني
مزيدا من أصول الدين •

ثم نهض فيشل من مقعده وقال : حسنا ، ثم أخرج ملفا
وألقى أمامي بصورة كبيرة وسألته : اذا كانت هذه الصورة له،
فقال •• كلا ، ليست لي وانما هي لشخص في مركزي ولكنه
موجود هناك في الجانب الآخر •

القسم العاشر

سرّ الجيش المصري في سيناء

٣ يونيو ١٩٦٧ – الوقت ٠٠ر٠٩ حتى ٢٠ر١٠

وصل الرجال بسياراتهم العسكرية ، التي كانت تقف
خلف البناية وفي الكراجات ، وسرعان ما غادرت هذهالسيارات
المكان لئلا تخلق بوجودها تحشدات مشبوهة • في الساحةكان
العمال يحفرون ملجأ ، وفي الداخل ركب الرجال مصعدا
كهربائيا صغيرا نزلوا فيه الى الاسفل الى طابق تحت الارض
يحميهم من الغارات والقنابل • كانوا يأتون واحدا واحدا ،وفي
بعض الاحيان ، كل اثنين معا ، ذلك لان القائد الكبير لم يسمح
بالسير لأكثر من رجلين معا • وكل واحد منهم ترك خلفه نائبا
يقوم محله ، بعد أن أعطاه تعليمات واضحة في كيفية التصرف
والعمل في حال تأخره •

جلس الجميع حول الطاولة الكبيرة • كان عددهم أكثر
من عشرين رجلا ، ولكن أعمارهم متقاربة ، هؤلاء هم الرجال
الذين ألقيت على عاتقهم أضخم الاعمال التي يمكن القاؤها على
عاتق انسان • ودخل الان الرجل الاكبر سنا فيهم ، يفرض على
نفسه نوعا من الجدية ، اجلالا لهذا الاجتماع وساعته • ولكن
بالرغم من تقدمه في السن الا أنه كان يبدو أكثر شبابا من
الجميع ، وكله حركة ونشاط • ووجه القائد الجالس على رأس

الطاولة نظرة فاحصة لهذا الرجل القادم · وبعد أن أخذ الجميع
مقاعدهم قال القائد ·· لنسمع في البداية تقارير المخابرات
الاخيرة ، وبعدها نتخذ قرارا عاما ونضع خطة مقبولة بالنسبة
للمنطقة الجنوبية · وقد طلب الينا وضع خطة مقبولة ، خطة
نهائية · وقبل ذلك سأعلمكم بما يجب أن تفعلوه في قياداتكم ·
وابتداء من الساعة ١٢٠٠ من اليوم ولمدة ٤٨ ساعة ستصدر
اليكم اشارة جديدة لشن الهجوم على الجنوب حينما يقوم العدو
بأية أعمال عدوانية تلك الاشارة الجديدة هي : (سدين أدوم
– أي – بساط أحمر) · وخفض المتحدث صوته قليلا حينما
ذكر الاشارة وكأنه كان يخشى أن تتسرب الى أذن غريبة ·
ثم أصدر الامر للزعيم مدير الاستخبارات بأن يبدأ الحديث
ووقف الزعيم على طوله رغم قصر قامته وراح يتحدث :

تشير التقارير الاخيرة جميعها بوجود التحشدات في
الاتجاه المعروف لديكم جيدا · ففي المنطقة الجنوبية يستمر
العدو بالتحصن ، وخاصة في الاماكن التي رابطت بها قوات
جديدة ، كما لا تزال التحشدات العسكرية للعدو تتوالى مع أن
وصولها في المدة الاخيرة أصبح قليلا · وهنا سأله الرجل
العجوز : من أين تصل تلك القوات ؟ من اليمن ، فهم يسحبون
من هناك وحداتهم المقاتلة بهدوء ويحولونها رأسا الى سيناء
كذلك وصلت ، ولا تزال تصل قوات صغيرة من امارات البترول
علامة على اشتراكها في الجهاد · وأعتقد أن الخطوط هناك
أصبحت مشبعة بالقوى البشرية · كذلك انتهى نقل القوات
الارضية الى جنوب سيناء ولكن أحب أن أقول لكم اننا نجحنا
في تحقيق كسب كبير ففي هذه الساعات بالذات تبحر مجموعة
من قطع البحرية المصرية تتألف من مدمرتين وست فرقيطات
على الاقل عبر قناة السويس الى البحر الاحمر ، لمنع قيامنا
بهجوم بحري على شرم الشيخ · وهذه القوة البحرية ستكون
منذ الغد معزولة من جانبنا ، ذلك لأن تلك القطع البحرية لن

يكون لديها الوقت ، بل لن تتجرأ على اجتياز القناة عائدة الى
قواعدها حينما نهاجمها · وواصل مدير الاستخبارات حديثه
قائلا : ان تحويل تلك القطع البحرية المصرية الى الجنوب ،
يوضح لنا أن عملية التضليل والتمويه التي قمنا بها قد
نجحت وأدت الى اضعاف الجبهة البحرية المصرية في نفس
المنطقة التي نكرس لها من اهتمامنا ٢٠ ٪ تقريبا · وكذلك
أدت عملية التضليل تلك الى اضعاف القوات البرية المصرية
بمعدل ٢٠ ٪ وكذلك إضعاف القوة الجوية المصرية بمعدل ٣٠ ٪
حرك الحضور رؤوسهم علامة الموافقة ، وكل منهم تصور أمام
عينيه مئات الجنود الذين حكم عليهم بالموت ، ومئات الدبابات
والآليات والطائرات التي أنقذتها عملية التضليل والتمويه تلك
من الدمار · وكان ذلك بمثابة بشرى أولية بعد سلسلة من
التهديدات المعادية · ثم واصل مدير الاستخبارات : أما في
الجبهة الوسطى ·· مع الاردن ·· فقد ظهر تأخر في نقل
القوات العراقية الى الضفة الغربية · ويبدو أنه لن تصل الى
الضفة الغربية خلال اليومين القادمين سوى وحدات استطلاع
بسيطة · بينما لن يبدأ وصول القوات المصفحة الى الضفة
الغربية الا في منتصف الاسبوع · بالنسبة للعمل التمويني
في الجبهة الاردنية فالمعلومات تفيد أنه قادم على قدم وساق ،
حتى ذروته · وفيما يتعلق بالمحاور والطرق الملائمة لنقل
السلاح المصفح عليها الى الضفة الغربية فجميعها مزدوجة الامر
الذي يعطينا فرصة من الوقت · والان عن الجبهة السورية ·
هناك تحركات عسكرية متعارضة ، تحركات عسكرية نحو
الجبهة ، وتحركات عسكرية من الجبهة الى المؤخرة ، ولذلك من
العسير علينا أن نعرف عدد وحجم القوات هناك · والمعلومات
المتوفرة لدينا تفيد أن اللواءين المصفحين (وهما ممتازان)
المرابطان قرب دمشق لم يتحركان من مكانهما · أما الوية
المشاة الخمسة التي تساند كل لواء منها كتيبة مصفحة فهي

موزعة كما كانت في السابق ، ثلاثة ألوية على طول الحدود ، ولواءان قرب القنيطرة وهناك قوة ضاربة خاصة تشمل أربعة ألوية مشاة ولواء مصفح واحد فترابط في المرتفعات السورية ، وذلك لتقوم على ما يبدو بهجوم على الاراضي الاسرائيلية عن طريق مستعمرة (مشمار هياردن) باتجاه مدينة حيفا . وبالاضافة الى هذه الصورة من المعلومات عن قوات العدو التي قدمتها لكم فهناك تحركات عسكرية أخرى لم نستطع التأكد منها حتى الان .

وبعد توقف قصير ، واصل حديثه قائلا : على العموم يبدو الوضع اليوم أكثر وضوحا منه بالامس ، وأفضل بالنسبة لنا ، ذلك لأن تأخر وصول الفرقتين العراقيتين وتفرق القوات البحرية المصرية في هذا الوقت بالذات ، أمر في صالحنا . وجلس مدير الاستخبارات ولوحظ أن الجبهة السورية غامضة أكثر من غيرها في جميع تقارير الاستخبارات الاسرائيلية . والسبب في ذلك أن العميل الاسرائيلي الموجود في دمشق قبض عليه هناك ، ولم يبق من يقدم المعلومات عن القوات السورية غيره . والانكى من ذلك أن القضاء على ذلك العميل جاء نتيجة لأخطاء لا يمكن غفرانها . وعاد الرجل الجالس على صدر الطاولة الى الحديث فقال :

يجب علينا أن نبحث الآن فيما يتعلق بالجبهة الجنوبية فقط . وعلى وجه الخصوص يمكن التركيز على سيناء فقط . أما بخصوص قطاع غزة فالخطة منتهية ومتفق عليها . بالنسبة لسيناء ، فهناك كما تعلمون خطة حرميش وخطة بطيش ... وتتلخص الخطتان بالقيام أثناء الهجوم بعملية اختراق في تلك المنطقة بثلاث محاور ، وتقوم قواتنا بالعمل في هذه المحاور كل على حدة أي بدون قيادة جماعية . ولتوضيح الخطة أكثر أقول تقوم وحدتان كبيرتان بعملية الاختراق في محورين ، أما القوة

الثالثة فتكون مهمتها في البداية سد طرق النجدات المعادية التي يمكن أن تعترض تقدم الوحدتان ، وبعد ذلك تقوم القوة الثالثة بقطع الطريق على قوات العدو لتمنعها من الفرار والتراجع ثم ضربها والقضاء عليها . وهنا دخل رجل جديد لوحظ أن وجوده غريب في هذه الغرفة ، وبدأ الحديث على الفور قال .. تعرفون أنه طلب الي « كخبير عسكري » أن أقدم تقريرا عن كيفية عمل الجهاز التمويني في الجيش المصري خلال هجوم شامل . وبمعنى آخر ، كان واجبي أن أضع تقريري على ضوء المعلومات الاستخبارية التي قدمت لي ، وأهم نقطة في ذلك هي هل يستطيع جهاز التموين والاخلاء المصري أن يعمل بانتظام خلال قيام القوات المصرية بهجوم شامل علينا ، وخلال قيام قواتنا بهجوم شامل عليهم ؟ وهناك بالطبع فارق جوهري بين الهجومين .

أيها السادة : على ضوء المعلومات التي تسلمتها منكم ، وجدت أن عدد القوى البشرية ، وكميات السلاح المصفح والاليات ، وطرق النقل والمواصلات ومحاور الحركة والاخلاء ومقارنة القوات في الجانبين عندنا وعندهم وكميات الاسلحة ، وكميات المعدات التي يجب تحريكها وراء الوحدات أثناء الهجوم أقول وجدت بعد الاطلاع على كافة المعلومات المتقدمة أن الجيش المصري في سيناء ، وهنا نطق كلماته من خلال الضغط والتشديد على كل حرف وكلمة غير قادر على شن هجوم شامل .

هنا كان السكون في الغرفة مطبق ، وواصل الخبير حديثه : ان الجيش المصري في سيناء يستطيع فقط أن يقوم بهجوم جزئي وبواسطة جزء من قواته وفي جزء معين من الجبهة فقط . ولكن اذا قام بهجوم شامل فانه سيقع حتما وقبل أن تمر على هجومه ٢٤ ساعة في فوضى كبيرة بالنسبة لقوافل التموين والاخلاء ومحاور الحركة المغلقة التي يفترض أن تعبرها

الوحدات لتحافظ على قوة الهجوم ، وسينتج عن تلك الفوضى
كذلك أن تصبح وحدات الجيش المصري تركض مقابل بعضها
البعض وتتوقف الدبابات بسبب نفاذ الوقود ، وتتعطل مختلف
الكتائب بسبب نفاذ ذخيرتها وعتادها . وبالطبع يتوقف هـذا
كله على وجود مقاومة منتظمة من جانبنا ، فاذا ما استطعنا أن
نحتفظ بمثل تلك المقاومة لمدة يوم واحد فقط نستطيـــع أن
نوقف الجيش المصري ونشل وحداته .

وقام أحد الحضور يسأل الخبير :

ما هي الاسباب التي يمكن أن تؤدي الى حدوث الفوضى
في الجيش المصري ؟ .. أجاب الخبير :

السبب وجود عدد هائل من الجنود ، وعدد هائل مـن
الآليات والسيارات في الوحدات ، وعدد هائل أكثر من اللازم
من الاسلحة الثقيلة وأكثر من اللازم وجود الذخيرة والعتاد .
كل شيء في الجيش المصري زائد عن الحد المطلوب ، كل شيء
مبالغ فيه بالنسبة لظروف المنطقة وحجم الجبهة فكل شـــيء
محشـــو ومحمـــل فـــوق القـــدرة الاستيعابية . وعلاوة
على ذلك ، فنحـن لم نذكـر شيئـا حتى الآن عن النواحـي
الاخرى مثل الصيانة ومعنويات الوحدات ، والقدرة على المبادأة
والعزم . والواقع أن هذه نواحي يصعب اخضاعها للحساب
الدقيق . ولكن اذا أضفناها الى الاسباب السابقة نصل الى
نتيجة أن الجيش المصري في سيناء سيقضي على نفسه بنفسه
عند محاولته القيام بهجوم شامل ، والسبب في ذلك كله يرجع
الى ادارة وحدات بشرية ومادية (أسلحة ومعدات) كبيرة الحجم
بدون الاعتماد والعمل بالاساليب العملية الحديثة . وهنا كان
الحضور يرمون المتحدث بنظرات تنطق بالشك وعدم الثقـــة
بكلامه فمع كل تجاربهم وخبراتهم الواسعة ، كانت النتيجة
التي أفضى بها أمامهم يصعب تصديقها . فالعدو حشد في

منطقة صحراوية ذات محاور حركة متباعدة قوات عسكرية
حديثة ، تتوفر لها جميع أسباب التفوق واحراز النصر ، ومقابل
ذلك فان القوات الاسرائيلية ستتعرض حتما للخطر بسبب
حشدها في جبهة ضيقة ، ويترتب عليها مهاجمة مواقع محصنة
للغاية . وتواصل الهجوم والتقدم باستمرار بدون توقف أو
راحة . بعد ذلك واصل الخبير العسكري الحديث : بالنسبة
لاحتمال صمود الجيش المصري أمام هجومنا ، فقد وصلت الى
نتيجة واحدة وهي أن باستطاعة قواتنا أن تشن هجومها على
منتصف الجبهة وبقوات لا تزيد على ثلاث فرق فقط . وليس
المهم هنا الجبهة التي ستشن الهجوم عليها ، ولكن المهم هو
أن تكون قواتنا على مقدرة من شن هجوم شامل والصمود فيه .
وعلى أي حال اذا استطاعت قواتنا أن تشن مثل ذلك الهجوم
وتستمر فيه وتصمد فيه سيحدث أمر بسيط وهو بعد مرور
ثلاث ساعات فقط على الاشتباك بين قواتنا وقواتهم يبـــدأ
الجهاز التمويني المصري بالتخبـط والفوضى ، ثم خـلال ١٢
ساعة ينهار كلية بل انهيارا تاما .

والآن سؤال : ماذا يحدث فعلا ، اذا قمنا بمثل ذلـك
الهجوم ؟ هل نستطيع أن ننفذه ونستمر فيه ؟ الجواب : نعم
نستطيع أن نقوم بمثل ذلك الهجوم ، ونستطيع أن نستمر
فيه بشكل متواصل حتى أسبوع ، ولكن ليس لنا حاجة بذلك ،
فكما سبق ان قلت على ضوء المعلومات المتوفرة لدينا : انه بعد
مرور ٢٤ ساعة على هجومنا ، ستنهار الجبهة المصرية وتتفكك
الى وحدات منعزلة من الناحية التموينية ، وعندها ما الـذي
يستطيع أن يقف في وجه سلاحنا المصفح من التقدم نحو قناة
السويس ؟

القسم الحادي عشر

دومينيك تدخل المعركة

٢٣ نوفمبر ١٩٥٤ – الساعة ١٣٠٠ حتى ٢١٠٠

قال لي فيشل :

أنظر جيدا الى شكله ، وتذكّر دائما أن تكون حذرا منه ، في جميع الظروف والمناسبات • تفحصت جيدا ذاك الوجه المستطيل والعينين المتقدتين بنار غريبة ، وأنف النسر المعقوف، والشفتين الرقيقتين ، والفكين الضيقين ، والجبهة العريضة • وسألني فيشل : أي انطباع يخلقه فيك ؟ ثم أخرج صورة ثانية وفيها يبدو نفس الرجل في الصورة الاولى ولكن واقفا قرب سيارة عسكرية في اللباس العسكري ، يبتسم ، وبجانبه ضابط شاب ، أسود الشعر ، أصبح مع الايام أشهر ضابط في الجيش المصري وسألت فيشل : في أي مكان التقطت لهما هذه الصورة • قال •• في جيب الفالوجة ، فالاثنان وقعا في أسر قواتنا ، ولكن أفرجنا عنهم • وأخرج فيشل صورة ثالثة وفيها كان الرجل جالسا في قاعة كبرى للاحتفالات يرتدي بدلة أنيقة يبدو أكبر سنا وجبهته العريضة تحولت الى صلع كبير • وقلت معترفا انه مخيف ، فصورته وهو في جيب الفالوجة تبين أنه شابا واثقا من نفسه مع أن أنف النسر الذي يملكه والذي يشبه أنفك الى حد ما ونظراته المحددة الشبيهة بنظراتك أيضا ، تلقي الرعب فيمن يتطلع الى الصورة •

أما في الصورة الثانية فيذكرني بديزرازنسكي أول قائد للمخابرات البولشفية ، وهو شاعر رقيق النفس أعدم الناس بدون تردد ، بل ربما تكون هذه الصورة شبيهة بـ (سبونرولا) الراهب الذي كان يتجسس على معارضيه •

قال فيشل بهدوء : كلا انها صورة زكريا عبد المجيد محي الدين ، الصديق الشخصي للرئيس وهو رئيس المخابرات والأمن الداخلي ووزير الداخلية والرجل الأول في الشرق الاوسط الذي استطاع أن يقهر الاخوان المسلمين ، الرجل الذي يلقب في مصر باسم السفاح • وقلت أما في الصورة الثانية فيبدو كضابط نازي من النوع الهادىء الذي لا يحتاج الى حذاء جلد طويل الرقبة ، كما كان يلبس النازيون بأقدامهم لقتل سكان مدينة كاملة انتقاما لعمل تخريبي واحد • قال فيشل : للاسف الشديد انه ليس ضابط نازي وهو فعلا يشبه ديزرازنسكي مخلص في ايمانه ، هادىء التفكير متزن العمل • ولذلك تذكر اسمه جيدا ولا تقترب منه • وجمع فيشل الصور ثم قال لي : لا تخف من عبد الحكيم عامر ، ولا من بقية أعوانه فجميعهم جنود في أفكارهم وأعمالهم • ولكن احذر الضباط الذين تدربوا في موسكو ، فهؤلاء تعلموا الى جانب التدريب العسكري عدم الثقة حتى بأمهاتهم اللواتي ولدنهم ، وهم يشكون باخوانهم ، ويميلون الى تفحص كل كلمة فمثلا حينما تشتكي أمامهم عن الحرارة ، لا ينفكون يفكرون في المقصد الحقيقي الذي ترمي اليه •

وصلت فندق الكرمل – بحيفا – بعد الظهر • ودخلت صالته الفسيحة كمن ابتلع عظام سمكة كبيرة ، كانت خطواتي ثقيلة وقامتي منتصبة ووجهي متوتر كأني أمر بعملية جراحية •

الغرفة رقم ٤٢٦ قلت بالانجليزية ومددت يدي المحلاة بخاتم ذهبي كبير الى موظف الاستقبال • وقال الموظف – أهلا

يا مستر أنوير هاو دو يو دو ؟ سأرسل حالا من يحمـل
حقائبك الى غرفتك • شكرا لا داعي لذلك ، قلت وأنا أتوجه
بخطوات غير واثقة نحو المصعد الكهربائي • في المصعد ركبت
معي الى غرفتها في الطابق الرابع امرأة ناضجة جميلة ترتدي
فستانا دقيق الحياكة يكشف عن مفاتنها ، وأثناء وجودنا في
المصعد ابتسمت الي تلك المرأة ، ورددت على الابتسامة بابتسامة
مفتعلة • وعندها تجرأت وسألتني بالانجليزية : اسمح لي من
فضلك ، هل مضى على وجودك وقت طويل في هـذه البلاد ؟
واحد وثلاثون سنة ، أردت أن أجيبها ، ولكن بدلا من ذلك قلت
بابتسامة خفيفة • أسبوعان تقريبا • وصلنا ، فتحت باب
المصعد ، وخرجت بقامة منتصبة تحرك ردفيها عن قصد • هل
تشرب كأسا معي في غرفتي ؟ سألتني – كلا شكرا جزيلا ،
قلت بأدب واستطردت : كنت أريد ذلك ولكني لا أستطيـع
الآن • ربما في مرة قادمة • قالت : أو رايت ، سأنتظر المرة
القادمة •

دخلت غرفتي وأغلقت بابها جيدا ، وتفحصتها ، كانت
أمتعتي ، وأغراضي الشخصية معلقـة في الخزانـة ، أدوات
الاستحمام والحلاقة مصفوفة قرب حوض الغسيل • قطـع
ملابس داخلية من الحرير وبيجاما من الحرير وبدلات أنيقة
الحياكة ، كل هذه كانت تدل على شخصيتي ومن أنا • وعلى
الطاولة وضعت زجاجة ويسكي فارغة حتى نصفها • استغربت
من اشتراها هل أنا نفسي اشتريتها ؟ أم هل هو فيشل ؟ أم
الشخص الذي كان يسكن الغرفة قبلي ؟ ثم ، من هي تلك
المرأة التي عرضت علي مصاحبتها بشكل جريء : هل هي
سائحة ، تسعى أن تعيد شبابها بمغامرة عابرة ؟ أم هي مغامرة
محترفة اعتقدت أن شخصيتي المحشوة بالمال سهلة الاغراء ؟
أم هي عميلة لفيشل أرسلها لاختباري ؟ • وأدركت في نفسي
انني منذ الآن فصاعدا سأصبح أسائل نفسي بهذا الشكل

حينما التقي بأي رجل أو امرأة ، وحينما يصادفني أي حادث
مهم أو غير مهم ، لقد دخلت الان الى عالم ليس فيه طريق عودة،
وانما أروقة طويلة متعرجة يمكن الفشل فيها من وراء كل باب
أو زاوية • وتذكرت أنه من أجلي : من أجل تسهيل مهمتي وعدم
افتضاح أمري قتلت امرأة في بلاد بعيدة ، قتلت لازالة العقبات
من سبيلي وامرأة ثانية في مكان بعيد عند سفح جبال الجلبواع *
قتلوا فيها نفسهـا من أجـلي أيضـا وفتـاة أخـرى ،
– كانت تنفـذ الأوامر الصـادرة لهـا ، ألقيتهـا بعيدا
عني ، كأنما ألقـي بحيـوان قـذر • كل هذا وطريقي لم يبدأ
بعد • وان فشلت فستصبح هذه الضحايا بلا ثمن بلا فائدة •
ولكن اذا نجحت فكم من الرجال والنساء سأضطر لقتلهـم
والدوس عليهم في طريقي الى الهدف الذي أسعى لتحقيقه ،
الهدف المشبوه الذي خصصوني له، وهو أن أكون موردا كبيرا –
لسلاح الجو المصري •• سلاح المستقبل الذي سيقرر مـن
سيحكم الشرق الاوسط مثلما قال فيشل الطويل •

انكببت على دراسة الوثائق التي تشكل تاريخ حياتي •
والدي تاجر تركي غني من الاسكندرونة • تزوج امرأة ارمنية
جميلة ، من عائلة لاجئين طردوا من منطقة (ماراس) سنـة
١٩١٥ • ثم انتقلا ، (أبي وأمي) بعد مدة الى مدينة (سميرية)
في طرف تركيا • ربما حاولا بذلك أن يهربا من الذكريات ،
ذكريات القتل المرعب الذي أوقعه أبناء شعبه بأبناء شعبها ،
بل ربما ليس ذلك التركي هو والدي ؟ وأنا ولدت بعد سنة
ونصف على الزواج في بداية سنة ١٩٢٥ ولكن لماذا لم يرزقني
الله بأخوة وأخوات ؟ فان تاجرا تركيا غنيا يهمه جدا أن يأتي
لهذا العالم بعشرات الاطفال من ضلعه علامة على غناه ورجولته•
فما الذي حدث ، ومنع مجيء اخوتي وأخواتي الى الدنيا ؟ القيت

* الجاسوس أصلا كان يسكن في مستعمرة يهودية عند سفوح جبال الجلبواع
بفلسطين •

نظرة الى صورة الزوجين والواقع أنني منذ يومين لا أعمل سوى بالتعرف على صور أشخاص ، لم يسبق لي أن رأيتهم ولا حتى في خيالي . ومنذ الآن ستكون حياتي كلها تصوير الحياة صورة منبسطة ليس لها أي عمق ، ليست لها أية حقيقة . نهضت عن الكرسي وجمعت الوثائق التي درستها ، وتكون أمامي كوم جميل من الورق ، وفتحت الحقيبة الصغيرة وملأت حوض الغسيل حتى منتصفه وأغمست فيه الاوراق ، وسكبت فوقها محتوى زجاجة واحدة ثم فتحت الصمام الموجود بأسفل الحوض وانتهى كل شيء . أمسكت بزجاجة الويسكي ، وخرجت من غرفتي ومررت بالممر الطويل باتجاه غرفة المرأة التي قابلتها في المصعد الكهربائي ، قرعت على بابها ، ولما فتحت قلت باسما .. هذه هي المرة القادمة ، وأنا مستعد لأشرب كأس معك ..

كان اسمها دومنيك – دومنيك لاكوست أرملة رجل فرنسي يملك مزرعة قروية . والى سنتين خلتا كانت تعيش معه في المزرعة . تحاول في البداية أن تكون زوجة مخلصة (هكذا قالت لي) ولكنها بالتالي فرحت بموته . ورثت عنه دخل حسن ، وهي الان تقوم بالتجوال في أنحاء العالم ، تحاول أن تعيد لنفسها بأموال زوجها السنين الطويلة التي أضاعتها في عشرته . والواقع أنها كانت تحاول ذلك بكل رغبتها . وكانت تلك الليلة ليلة بلا حدود بلا نهاية ، لا حدود للوقت ، ولا نهاية للعمل ، رغبتها الشديدة وشهوتها الجامحة لم تعرفان الشبع وجوعها الصارخ لم يعرف الخجل . وأنا الرجل الذي أضاع كل عالمه ، تمسكت بشهوتها كما يتمسك الغريق بالقشة وسمحت لنفسي أن تغرق في بحر شهواتها وملذاتها .

ان فيشل لن يرى ولن يعرف كل ما أفعله .

وحينما طلع الصباح قالت لي دومنيك :

سأسافر اليوم ، ولكن سأجدك ، الى اللقاء يا (مون شار) لن أدعك تنسى (دومنيك) .

القسم الثاني عشر

صدور الأمر النهائي

٣ يونيو ١٩٦٧ الساعة ٢٠ر١٠

قالت المجندة برتبة نائب ، لقد جاء مبكرا يريد أن يدلي بخبر ، فهل نبدأ نحن بارسال أخبارنا ؟ قال لها الضابط ، نعم . وأذاعت النائبة من جهاز اللاسلكي أجل الحفلة ، اتصل بعد ٠٠ر١٥ انهت الارسال وحولت الى الاستقبال . لاحظت من صوته أنه عصبي المزاج اليوم ، فأقفلت الجهاز فور انتهاء الخبر ، الذي حولته الى نائب يجلس خلفها . كانت المجندة هذه تعرف جيدا السبب الذي من أجله قيل لها إن عليها أن تختصر قدر الامكان في الاتصال اللاسلكي ، وكانت تفهم الخطر الذي يواجهه الرجل البعيد وهو يرسل أخبارا طويلة بالجهاز ، مع أنها لم تكن تعرف من أين يرسل ، ولا مضمون ما تستقبله أو ترسله له . وقام النائب بحل رموز اللاسلكي على نموذج خاص بذلك ، وأحال المادة الى الضابط . نظر الضابط الى الورقة وابتسم لاول مرة منذ عدة أيام ابتسامة عريضة . كان نص الرسالة : ديمتري يمنع القيام بهجوم (٠) اجازات للطيارين يومي ١و٢ (٠) القيادة العليا تزور سيناء صباح يوم ٢ انتهى . وضع الضابط الرسالة في مغلف سري وكتب على طرفه بالاحمر ، سري للغاية ، مستعجل ، وسلمه الى عداء عسكري وأمره

بتسليمه يدا بيد للقائد الكبير ·

في بناية قرب الطريق قام العريف من الفئة الثانية في السرية الثانية بتقطيع الكعكة التي احضرتها زوجته التي وصلت بالسيارة مع زوجة (روبين) ، الى قطع صغيرة ، وسكب الشاي في اكواب من الشمع فقد أصرت زوجته بأن يستخدم هو وزملاؤه الجنود اكواب الشمع بدلا من علب التنك الفارغة · وقال لزوجته : انها كعكة لذيذة أأنت التي صنعتها ؟ قالت : كلا، لقد زارتني والدتي وهي التي صنعتها ، فاني لا أجد وقتا لذلك بسبب الاولاد ، زيادة على التوتر وحفر الملاجىء · وسألها: أي توتر ؟ لماذا أنتم متوترون ؟ فبعد أيام قليلة سنعود · قالت: جميعهم عندنا يقولون ان الحرب على الابواب ويقولون بأنه ستقع خسائر كبيرة هذه المرة بسبب الطائرات والاسلحة الروسية الحديثة الموجودة لديهم · قال غاضبا : ماذا تقولين ؟ ليتك شاهدت أسلحتنا ، يبدو أنك لم تشاهدي في الطريق جميع قواتنا ودباباتنا ومدفعيتنا وأنا مع الاسف لا أستطيع أن أكشف لك عن ذلك ، والان كيف حال الاولاد ؟

على بعد بضعة كيلومترات منهما ، كان ضابطان من الفرقة عشرين التابعة للجيش الفلسطيني ، ينظران بالمناظير على مستعمرة اسرائيلية قرب الحدود · والمناظير الروسية الجديدة، هي من نوع ممتاز · كانت تقرب أمامهما المستعمرة حتى طول اليد ، وقال أحدهما لصاحبه : أمدد يدك وامسك (بنت الكلب) تلك التي تمشي في المستعمرة أمامنا · ليتهم يسمحوا لكتيبتنا في العمل والتقدم الى الامام · ورد عليه زميله وكان برتبة ملازم : ماذا تقول يا عباس ؟ ورد عليه : هدوء، هدوء تام، لا حرب ولا شيء ، كنت أتصور أنهم سيسمحوا لنا هذه المرة بالتقدم نحوهم ، وتنهد الملازم قائلا : ليتهم فقط يعطونا هذه المستعمرة مدة نصف يوم ·

ورد عليه صاحبه غاضبا ، لا تكن أهبل · فاذا نشبت الحرب سنضطر الى اراقة دماء كثيرة قبل أن نتمكن من الاستيلاء على بناتهم · فسيقاتلون حتى النهاية ، وليس لهم مفر من ذلك · قال الملازم ·· هذا صحيح ، ولكن ليسمحوا لنا بالتمتع قليلا بعد الانتصار أم نريد أن نقاتل نحن بينما يستولي أولئك القابعون في المؤخرة على بنات الكلب · وانتهى حوارهما بينما استمرا في المراقبة ·

كان اليوم يوم سبت حار ، ومنطقة الشرق الاوسط كلها تسودها رياح خمسينية جافة · والجنود بأسلحتهم يستسلمون لحرارة الطقس بدون مقاومة ·

كانت الاشارة اللاسلكية هذه المرة طويلة بعض الشيء· وصدرت التعليمات من اسرائيل الى الرجل الموجود في القاهرة تقول له : قم بالحفلة غدا ، أكرر : قم بالحفلة غدا ·

القسم الثالث عشر

عليّ أن أنقذ سلاح الجوّ المصري

٣٠ أغسطس ١٩٥٥ ـ الساعة ٣٠ر١٦ حتى ٣٠ر١٧

لو كانت الغاية من قدومي الى باريس جمع الاموال من تجارة السلاح فان مهمتي يمكن اعتبارها ناجحة الى أبعد حد . فعن طريق الاتصالات التي مهدها أمامي عملاء فيشل في باريس، استطعت أن أصعد بسرعة من درجة مهرب سلاح تركي غير معروف الى درجة تاجر سلاح شبه رسمي له نفوذه .

كانت فرنسا هائجة في الداخل رغم برقع الهدوء الخارجي . فكانت الاوساط العسكرية فيها تتصارع باستمرار والمستوطنون الفرنسيون في الجزائر يشترون كل قطعة سلاح خفيف ، ضباط برتبة جنرال ، متقاعدون وضباط في الخدمة كانوا يجمعون السلاح ويعدونه لبيعه . وفي غمرة هذه الفوضى كانت تتجول وفود من دول المناطق التي يسودها الصراع ، وفود عن الثوار والمتمردين ضد حكوماتهم ووفود عن الاقليات التي تدافع عن وجودها ، كل هؤلاء كانوا في غمرة الفوضى يبحثون عن السلاح أي سلاح . عن أدوات الحرب التي تقتل وتدمر أسرع . كنت أشتري فائض أسلحة فرنسية وبلجيكية وأمريكية من مستودعات حكومية ومن ضباط كبار ، ومن التجار والسماسرة . وبعت البنادق السريعة الى السود الذين

كانوا يقاتلون سودا آخرين ، أرسلت صناديق السلاح لنقلها على البغال الى الجبال ، وبعت قاذفات اللهب الى المسلمين الذين يقاتلون دفاعا عن أنفسهم في افريقيا . ان (أرام أنوير) الحقيقي الذي أتقمص أنا شخصيته والمدفون باسم مجهول في قبر مجهول بتل أبيب ، يبدو مرتاح البال وهو يراني أجمع الاموال الطائلة باسمه ، وأتمتع بالنساء الجميلات المشبوهات، وأتفاوض مع مندوبي الدول في قاعات مكيفة وأمامنا كؤوس الشراب الفاخر .

كنت (أرام أنوير) حقيقي أكثر من الاصل الفاشل الذي دفع ثمن فشله وأخلي مكانه لمن هو أفضل منه . ولكن حتى الآن لم أقترب قيد أنملة من هدفي الحقيقي ، الهدف الحقيقي لفيشل ، وأنا الان أجلس في الطائرة المتوجهة الى تركيا في طريقي الى فيشل الذي دعاني للحضور .

تركيا كانت مصدر ذكرياتي المرعبة في بداية طريقي . فخلال رحلتي الاولى هناك ، عرفت كل شيء عن نفسي ، عن أصدقائي وصديقاتي وعن معارفي ولكنني لم أر في حياتي آرام أنوير الحقيقي وهو حي . لم أر حركاته الطبيعية ولهجته الكلامية . لم أستمع الى حديثه في جلسة مع الاصدقاء أو في عمل تجاري ، ومن هنا أخشى أن أقع في خطأ كبير وأنا أحاول، الحلول محله .

جلست في فندق في اسطنبول ، المدينة التي أمضيت فيها خيرة سني حياتي : ولم أجرؤ على المسير في شوارعها . كنت جالسا في فندق (هيلتون) وأعرف أنه يترتب علي أن أنتقل الى منزلي ولكني عجزت عن تحريك جسمي والانتقال اليه ، وفي اليوم التالي وفي ساعة متأخرة من الليل لملمت نفسي وتحركت الى المنزل . هنا كنت أقيم منذ تحسن وضعي المالي في أعقاب صفقات مشبوهة قمت خلالها بتهريب العملة

وفوائض الاسلحة وشراء بضائع من مصدر غير معروف ، واقامة علاقات مع راقصات ومغنيات من الدرجة السفلى · ان أعمالي تلك بما عرفتني على أشخاص كثيرين · تجعلني اليوم خائفا من الالتقاء بواحد منهم يعرف (آرام أنوير) الاصلي ويفتضح أمري ·

واني لأتذكر الآن ، كيف أنه أثناء زيارتي السابقة لتركيا حيث دق جرس التلفون في منزلي الخالي الذي كنت أحس فيه بأنني غريب كأني في صحراء الصحاري · ويومها رفعت سماعة التلفون بيد مرتجفة كأنه يكاد ينفجر في يدي وقلت بصوت منخفض ،

هالو ـ

آرام ـ قال بفرح صوت نسائي على الطرف الثاني من الخط وأخيرا وصلت ،كنت أتصل بك يوميا فلا أجدك ، ولما كانت صاحبة الصوت تتكلم بالفرنسية فقد أجبت بالفرنسية ·

وصلت هنا اليوم ، من أنت ؟

أنا أسيان ، ألا تعرف صوتي ؟

بدأ عقلي يعمل بسرعة ، مررت بذاكرتي على قائمة صديقاتي ، ولكنني لم أتذكر واحدة منهن باسم (أسيان) · وراحت تقول على التلفون : ألا تتذكرني ، لقد التقينا في النادي الذهبي حيث أعمل ، ثم جئت معك الى منزلك ، الا تذكر ذلك ؟ كان علي أن أجيب فورا · وتذكرت أن فيشل منعني من الالتقاء بنساء يعرفنني معرفة حقيقية · ولكن(أسيان) هذه مهما كانت تقول انها عرفتني ليلة واحدة فقط فما المانع من مقابلتها وأتعلم شيئا جديدا عن نفسي ؟

قلت لها على التليفون ، متى تستطيعين الحضور الى هنا ؟ فأنا متعب بعض الشيء ، ولكنني أحب أن أراك ·

قالت ـ سأحضر حالا ·

ماذا يقول فيشل لو علم بذلك ؟ فقد حذرني فيشل ، ولكني مضطر لشق عصا الطاعة والاتصال بالعالم الخارجي · لكن (أسيان) لم تصل الى منزلي مطلقا · وفي اليوم التالي زرت النادي الذهبي حيث تعمل هناك فلم أجد لا امرأة ولا فتاة باسم (أسيان) تعمل في النادي ، قلت في نفسي ، يا فيشل الطويل الان على الاقل عرفت لماذا يطلق عليك لقب الطويل ·

أنهيت أعمالي في تركيا بسرعة ، ومن وراء الستار بواسطة السماسرة والوسطاء · وفي البداية بعت منزلي وانتقلت للاقامة في أحد الفنادق وأقمت اتصالات مناسبة لبيع أملاكي وعقاري ورحلت الى باريس · وبعد شهور حيث تجولت في مختلف أنحاء العاصمة الفرنسية وتعرفت على عدد من ضباط الجيش وموظفي الحكومة ورجال السياسة صدرت الي التعليمات لعقد أول صفقة سلاح ·

أحد التجار كان يريد أن يبيع كمية كبيرة من الاسلحة الفرنسية الخفيفة التي فقدت قيمتها بعد دخول أسلحة حديثة بدلا منها · فقد كان الجيش الفرنسي بحاجة الى أسلحة مدمرة حديثة وأفضل من الاسلحة المعروضة الان للبيع · ولكن هذه الاسلحة في الواقع كانت لا تزال أسلحة حديثة وممتازة بالنسبة لدول ومنظمات عسكرية لم يحالفها الحظ حتى الان بالانضمام الى الفريق رقم (١) في العالم ، عالم القتل المتبادل · وكل دولة أو منظمة تضطرها ظروفها للاكتفاء بأسلحة الدمار البسيطة كانت تسعى وراء هذه الاسلحة التي تعتبرها دول الفريق رقم (١) قديمة ·

وقال لي أحد عملاء فيشل ، يجب أن لا تبيع السلاح لجماعة أبو مدين لان المخابرات الفرنسية ستكشف أمرك ، باستطاعتك ، أن تبيع الاسلحة الى المنظمة السرية الفرنسية العاملة في الجزائر ، ولكن كخطوة أولى بالنسبة لعملك فان

ذلك غير مستحب • وأفضل شيء هو أن تبيع السلاح الى الجمهورية الافريقية الحديثة وذلك عمل مشرف لا يترتب عليه أية نتائج أو مشاكل ديبلوماسية •

وأخيرا أصبحت في غنى عن الاموال التي يمدني بها فيشل فقد أصبح لدي مال خاص بي ، وأخذ هذا المال يكبر وينمو تلقائيا • كنت شريفا ، مثل جميع تجار الاسلحة الذين تربطهم كلماتهم الشريفة • ولم يندم انسان على التعامل معي • وكنت أدفع بسخاء لاصحاب السلاح وأبيع بسعر معقول للمشتري وكنت أقيم الحفلات للمشترين بعد كل صفقة حيث يمضي كبار الضباط السمر من افريقيا وغيرها ليالي جميلة مع شقراوات باريس الجميلات على حسابي •

مرة ، سألتني امرأة فرنسية ، أليست المشروبات الروحية محرمة على المتدينين المسلمين ؟ قلت حتى القهوة ممنوعة كما يقول القرآن الكريم ، كذلك فان الصدر العاري هو رسول الشيطان ، ولكن الله منحنا من رحمته حق التمتع بجميلات هذا العالم •

وكان بجانبي ضابط من سلاح التموين الامريكي فقال معلقا :

وهذه الوصية تنفذها أنت بكاملها •

جلست الان في الطائرة التي نقلتني من مطار باريس حتى مطار أنقرة هنا سأذهب الى البنك وأقوم ببعض الاعمال المالية لأدخل في قاصتي الحديدية الخاصة مبلغا من المال وجواز السفر لآخذ بدلا منه الجواز القديم • ثم أسافر بالقطار الى اسطنبول ، ولدى وصولي غرفتي في الفندق أقوم بتغيير لون شعري ، وأستبدل بدلتي الرياضية ببدلة سوداء ومنديل مناسب وأتوجه للسفارة الاسرائيلية للحصول على تأشيرة باسم (أساك رفاعي) تاجر يهودي من اسطنبول يعمل في تجارة الاغذية •

وأستأجر غرفة ليوم واحد في تل أبيب وأتصل بالمسؤول عني لأبلغه قدومي •

قال لي فيشل •• أنا أعرف بأنني أصبحت عجوزا ، فقلبي لا يعمل بنظام ، والكثيرين فرحوا حينما سمعوا بذلك ، أي حينما سمعوا أن لي قلبا بين ضلوعي • والواقع أن شعيرات بيضاء كانت تتناثر على رأسه ويطل التعب والارهاق من عينيه ، ولكنه رغم كل ذلك ، كان لا يزال هو هو ، فيشل الطويل •

قال فيشل •• غدا صباحا ستعود الى باريس ، فالمسألة مستعجلة ولا تقبل التأجيل •

قلت •• أية مسألة فأنت الذي دعوتني للحضور هنا •

قال •• هل سمعت بصفقة الاسلحة الروسية ؟ قلت مصححا •• التشيكية •

قال •• وهل تسميها تشيكية ؟ على أي حال فان السلاح سيأتي من روسيا رأسا الى مصر • سلاح روسي حديث ربما أحدث ما في روسيا نفسها •

وسألته •• ألا يمكنك أن تشركني بأي شكل كان في تلك الصفقة ؟

قال •• ذلك لا يعنيك ، واذا كنت تقصد الربح المادي فأحب أن أقول لك ان المصريين لن يدفعوا فلسا واحدا ثمنا للصفقة ، وانما سيدفعون القطن ، وقطنهم هذا الموسم من النوع المتوسط ، ومن ناحية أخرى هل تعرف كم طائرة كانت في مصر سنة ١٩٤٨ ؟

قلت •• كلا ، ولكن أعتقد أن عددها كان حوالي ١٠٠ طائرة •

قال •• / ٢٠ ـ ٣٠ / طائرة فقط ، وهل تعرف كم لديهم اليوم ؟

قلت •• حوالي ٣٠٠ طائرة •

قال .. صحيح انك لا تزال التلميذ النجيب ، تدرس ما يقال لك أدرسه ، ولكن كم منها طائرات نفاثة ؟

قلت .. حوالي ربعها تقريبا .

قال .. وكم طائرة نفاثة في الصفقة التي تسميها الصفقة التشيكية ؟

قلت .. حوالي ٢٠٠ طائرة .

قال .. /٢٠٠/ طائرة مقاتلة و ٥٠ قاذفة من نوع اليوشن ٢٨ مزودة بأربعة مدافع وتحمل ٢ طن قنابل ومداها ٢٥٠٠ كيلومتر .

قلت .. ونحن ماذا عندنا ، هم بعد سنة سيصبح لديهم أكثر من ٣٠٠ طائرة نفاثة تحت العمل ، ونحن لدينا أقل من ٣٠ طائرة ، أما قاذفات القنابل فليست لدينا أية واحدة . فما الذي تريدني أن أفعله ؟

قال .. في ألمانيا بالقرب من حدود فرنسا يوجد مستودع ضخم لسلاح الجو البريطاني . وقد سحب الانجليز قواتهم من هناك منذ مدة . وجميع الاسلحة ، والمعدات الموجودة هناك معروضة حاليا للبيع ، تشمل مدافع لطائرات (موستانج) و (موسكيتو) و (فامبير) و (متيور) وهناك كميات كبيرة من ذخيرة المدافع ومعدات أرضية لتزويد الطائرات بالوقود ومعدات للصيانة . وهذه مهمات يتشوف سلاحنا الجوي لو يستطيع أن يحصل عليها .

عليك أن تشتري ما يمكن شراءه ، لا يهمك الثمن ولا تساوم ، عليك أن تسرع قبل أن يسبقك أحد . وبعد ذلك نعم بعد ذلك يجب أن تبيع جميع ما عندك لسلاح الجو المصري . فهم بحاجة له تماما كما نحن بحاجة له على الاقل خلال فترة الانتقال حتى يتسلموا الاسلحة الروسية ويتمكنوا من استيعابها ، وبدون تلك المعدات سيظلون عدة أشهر بدون سلاح جوي . والآن تحرك واعمل بسرعة قبل فوات الأوان .

القسم الرابع عشر

المشنقة

السبت ٣ يونيو ١٩٦٧ الساعة ٣٠ر١٥

كان يبدو أن جميعهم من الشباب ، أجمل القائد الكبير حديثه قائلا ، يوم الاثنين المقبل في الساعة السابعة و١٥ دقيقة نخرج جميع الطائرات في عملية سريعة . ونأمل أن تعود خلال ساعة من بدء العملية جميع طائرات الدفعة الاولى . وفي الساعة الثامنة و ٢٠ دقيقة ستكون لدينا الصور الجوية عن عمل طائراتنا ، واذا لم يحدث شيء غير متوقع ستصدر القيادة أوامرها للشروع في العملية البرية الهجوم على سيناء من ثلاث محاور . ويواصل سلاح الجو القيام بعملية حتى الظهر وعندها تقام المشنقة (القضاء على سلاح الجو السوري) ومنذ الساعة الثانية بعد الظهر وصاعدا حيث تكون القوات المصفحة في ذروة عملها سنقدم لها المساندة الجوية .

وانهالت الاسئلة من كل جانب ، ثم ساد الهدوء ونظر القائد الى ساعته وقال : أمامنا بقيت ٢٤ ساعة أخرى من الهدوء التام . ولن يعرف أحد سواكم على قرارنا هذا حتى يوم الغد . ويجب أن يستمر الصمت اللاسلكي حتى موعد بدء عملية السلاح المصفح أو قبلها بنصف ساعة فقط ، وعندها تفتح جميع الاجهزة لاستلام التعليمات . أما التعليمات التي لا بد منها أثناء الصمت اللاسلكي فتنقل بواسطة المراسلين . واقترح

عليكم أن تعقدوا اجتماعا للضباط الليلة وتقولوا لهم : انه من الممكن اعطاء اجازات لعدد كبير خلال اليومين القادمين ٠ أما الوحدات التي أجيزت أمس وأول أمس فيجري استدعاؤها بشكل مفتوح بعد صدور الاوامر ببدء عملية السلاح المصفح ، والجنود الذين أجيزوا اليوم ولم يعودوا فلا داعي لاعادتهم بالقوة ٠ وتوقف القائد عن الحديث ثم نظر الى ساعته مرة أخرى ثم قال : وشيء آخر وهو أنه سينشر غدا صباحا في جميع الصحف اليهودية اليومية بيان رسمي نقول فيه : اننا ننتظر نتائج مساعي الدول البحرية الكبرى واننا لن نقدر على الانتظار الا أسابيع قليلة ٠

على شاطيء الاستحمام في أشكلون (عسقلان) كانت الحياة دائبة ، ومئات الجنود وصلوا الشاطيء بالسيارات العسكرية وألقوا بملابسهم وعرضوا أجسامهم لوهج الشمس ، ومجموعة من الصحفيين الاجانب كانت عائدة من جولة في النقب طلبت التحدث مع هؤلاء الجنود ، والتقاط الصور لهم وتسجيل أحاديث معهم وسمح لها بذلك ٠

وعلى طريق ايلات تسير منذ أربعة أيام الجرارات الضخمة حاملة قوارب الانزال باتجاه الشاطيء ، وفي كل يوم كانت تصل الميناء قافلة طويلة بطيئة الحركة قادمة من الشمال محملة بقوارب الانزال ٠ وكانت الجرارات تصل الميناء عند المساء ، وتنتظر هناك حتى هبوط الظلام ثم تعود الى الشمال من حيث أتت وقوارب الانزال لا تزال على ظهرها لم تنزل الى البحر ٠ وسارت هذه الجرارات الثقيلة ذهابا وايابا على طريق ايلات أربع مرات ، والان انتهى هذا المشهد الهزلي ، فقد انزلت القوارب الى مياه البحر في مكان معزول وراء صخور عالية لاخفائها عن مراقبة الحدود المصرية ، ولكنها كانت واضحة تماما أمام مراقبة الحدود السعودية ٠

القسم الخامس عشر

حفلة خلاعة في هلتون باريس

٢ أكتوبر ١٩٥٥ الساعة ٠٠ر٣٠

أحببت الكولونيل (محمد مدكور أبو العز) كنت أحبه ، ولكنني كنت أخشاه أيضا ٠ فأكثر من مرة كنت أتصور اننا متشابهان في سلوكنا ، وبما أنه كان يشك في دوافعي لمساعدتهم كنت أشك أنا الآخر بما يختفي وراء سلوكه ٠ وأنا أعرف أن هذا الضابط المصري سيشرب معي في جلسة مع جميلات مشبوهات طيلة ليلة بكاملها ثم يختلي مع واحدة هنا أو هناك ، ولكن حينما كان الحديث يتناول من قريب أو بعيد سلاح الجو المصري كان الضابط يتغير ويقف موقفا صلبا جادا ويلقي عنه جو الخلاعة ٠

وبالرغم من وجود زوجة له في القاهرة ، وبالرغم من أنه جاء يمثل دولة معظم سكانها لم يأكلوا ويشبعوا مرة في حياتهم بالرغم من ذلك كان مستعدا أن يبذر في ليلة واحدة أموالا طائلة من أجل أن ينال قلب فتاة شقراء ٠ ولكن خلال المفاوضات التي أجراها معي لشراء المعدات التي خلفها سلاح الجو البريطاني كنت في بعض الاحيان أرغب في وقف الصفقة ٠ كان الكولونيل أبو العز مفوض المشتريات لسلاح الجو المصري في باريس ،

وعرضت عليه أن يشتري جميع الاسلحة التي اشتريتها من معسكر سلاح الجو البريطاني في المانيا • وكنت أتوقع أن أرى في عينيه بريق التهافت على هذه الاسلحة ولكنه كان باردا غير مكترث وقال •• لست بحاجة لمثل هذه الكميات وانما سأشتري جزءا مما عندك فقط ، وبأسعار غير الاسعار التي حددتها لي ، ولكنك بحاجة لكل كيلوغرام مما أعرضه عليك ، بحاجة ماسة تماما كحاجة الجانب الآخر له ، قلت مؤكدا كل كلمة • وسألني : ولماذا تعتقد أنك تعرف ما أنا بحاجة اليه ؟

ان وجهه الممتلىء الكبير ، ذو المسحة الافريقية أكثر من مسحته العربية أو الشرقية ، كان يبدو لي مخادعا • والواقع انه كان لمحمد مدكور رغبات بعيدة المدى وكان مؤمناغيورا في عمله • واذا كان في بلاده كثيرا من أمثاله فلا بد أنهم فعلوا الكثير لخدمتها منذ سنة ١٩٤٨ وقريبا سأعرف وأرى بأم عيني اذا كان أمثاله في مصر كثيرون فعلا • أنا (آرام أنوير) الميت الذي يمشي في دنيا الاحياء ، الميت الذي سيموت قريبا ميتة نهائية حينما يرتكب غلطة بسيطة ، حينما تعرف هويته التي هو نفسه لا يعرف شيئا عنها • ولذلك حدثني قلبي عند بداية المفاوضات بيننا بأنني يجب أن لا أتنازل في السعر حتى ولو انتهى الامر الى الغاء الصفقة • فاذا أردت التقدم في العالم – عالم الضباط الشهوانيين – يجب أن أبدو أمامهم عنيدا وأعرف قيمة ما عندي • وقلت لمحمد أبو العز بدون اهتمام : السلاح هو عملي وعلي أن أعرف السوق ، وبعد توقيعكم صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا انقطعت عنكم جميع مصادر الاسلحة في الغرب • ولكن حتى تصلكم الاسلحة التشيكية ، وحتى يستطيع طياروكم قيادة الطائرات النفاثة الجديدة ستكونوا معتمدين على الطائرات البريطانية الموجودة لديكم حاليا • ولكن المدافع اللازمة لهذه الطائرات والذخيرة والمعدات الارضية اللازمة للعناية والصيانة لا يمكنكم الحصول عليها الا

مني أنا • وهنا صوب الكولونيل أبو العز نظراته الصارمة علي واتخذ وجهه شكلا مهددا ثم قال : « صحيح ، ان كل ما قلته صحيح ، ولكني أقسم لك بأنني لن أدعك تستغل أوضاعنا وظروفنا » • قلت ان (آرام انوير) لا يستغل أي وضع ، عرضت عليك كل شيء ، وبسعر أقل من سعر السوق • وكان باستطاعتي أن أبيعك المعدات قطعة قطعة وأحصل على ضعف الثمن منك • ولكني لا أحب أن أستغل (اخوتي المسلمين) • قال •• دعك من الاخوة الاسلامية فهي لم تمنعك من أن تبيع السلاح لاعدائها ، وبواسطة أسلحتك قتلت – المئات من المسلمين وآلاف النساء اغتصبن في شوارع القرى ، ثم قطعت أجسادهن بالرماح التي بعتها أنت لاعداء السلام ، وان رجلا مثلك نصف أرمني ، كان عليه أن يكون أكثر تواضعا وحساسية في مثل هذه الامور •

وهنا تدفق الدم الى وجهي وقلت بغضب •• ماذا تقصد بذلك ؟

وقال الضابط المصري وقد رأى أن صفقة السلاح تحولت الى حوار قومي ملتهب ، أرجو المعذرة ، لم أقصد لكسوء ،ولكني أقترح أن نتفاوض في العمل وليس في الاخوة • وأقول لك ان بضاعتك غالية الثمن بالنسبة لي • قلت متسامحا •• المسألة بسيطة ٢ مليون دولار و ٧ ٪ لي ونقل السلاح على حسابكم • واتفقنا •

كان محمد مدكور ابو العز الليلة غير ما عهدته تماما • وكنا نحتفل بالنهاية الناجحة لصفقة الاسلحة الكبيرة ، الصفقة التي أنقذت سلاح الجو المصري خلال فترة الانتقال الخطيرة • وكانت هي الصفقة التي أدخلت الى جيبي الآلاف ، وخلال الحفلة سال جزء من تلك الآلاف الى الحناجر العطشى • وعند نهاية الحفلة ، عند الوداع ، تدفقت الدماء المحصورة في أجسادنا

الى أحضان النساء المحيطات بنا • كان معنا في منزلي بباريس
(أقصد في شقتي بفندق هيلتون باريس) ضابط آخر من
سلاح الجو المصري كان أبو العز يناديه باسم (عبد الحميد)
بينما كان الخادم الذي يقوم على خدمتنا يدعوه باسم (مسيو
داغري) وفي ذلك الوقت لم أستطع أن أتصور بالطبع أنه بعد
سنوات قادمة سيقف (داغري) في قفص الاتهام في بلاده ،
بسبب ما أفعله أنا الى حد ما •

كانت الحفلة مثيرة تتصاعد مع أصوات الموسيقى الصاخبة
وكان معنا الضابط البريطاني الذي سبق أن صدق على بيع
المعدات ، وبذلك أصبح من الاغنياء الى الابد ، وظل يشرب
الخمر حتى الثمالة • ثم قام واحتضن فتاة في الفندق وألصقها
بجسمه وقام بحركات بذيئة اعتبرها هو نوع من الرقص •
وكان معنا أيضا رجل فرنسي ضابط هو الآخر ولكن بلباس
مدني صدق على نقل المعدات الى ميناء مرسي وكان ثملا هو
الآخر حتى انه لم يكن يخجل من أن يمد يده ليداعب الاجزاء
الحساسة من جسم راقصة التعري الواقفة بجانبه • ومع كل
كأس جديد أفرغناه في الحفلة ومع كل تنهيدة ألم مفتعل من
الفتيات بعد أن يختلي بها أحد الحضور في هذا الوقت من
الحفلة (كان معروفا أنه بعد انتهاء الحفلة يستطيع كل واحد
منا أن يختلي بفتاته) كنت أشعر أنني أخطو خطوة للامام في
مهمتي • انسان مريض القلب في مدينة بعيدة نجح في تحقيق
بداية مشروعه الغريب •

رأيت أن أبو العز قد تثاقل هو الآخر تحت تأثير الشراب
والنساء وربما بسبب نجاحه الكبير في عقد الصفقة التي
سترفعه في نظر المسؤولين في القاهرة وراح يحتضن الفتاة
السويدية ، الفتاة التي استدعيتها خصيصا له هذه الليلة
وعمدت أن أرفع قدره كثيرا أمامها وأنا أدعوها للحفلة ولكنني

أدركت أنه لم يكن داعي لجهدي • فان ذلك الضابط الجميل
استطاع أن يستحوذ على قلب الفتاة منذ اللحظة الاولى ، وكانت
سيطرته عليها تزداد كلما كان يتمنع عليها ويقاوم رغباتها •
ولكنه الآن وقد استسلم لها أرى من الأفضل أن ندعهما معا
ونخرج • ولكن في تلك اللحظة دق جرس الباب وقمت أفتحه
وأنا أتوقع أن أجد خادم الفندق يأتي لنا بدفعة جديدة من
الطعام والشراب • فتحت الباب وأمسكت القبضة بقوة لئلا
أقع على الارض • وهنا شاهدناها ترتدي فستانا ضيقا فاضحا
انها (دومنيك) دومنيك لاكوست صاحبة المغامرات التي أمضت
معي أول ليلة بصفتي (آرام أنوير) في فندق الكرمل حيفا •

القسم السادس عشر

طائرات فيتور ستقضي على طائرات طوبوليف

٣ يونيو ١٩٦٧ ـ الساعة ٠٠ر٢٣ حتى منتصف الليل

مرة أخرى جلس الاربعة يدرسون كل موضوع في الخطة يحللون لآخر مرة المواد الموضوعة أمامهم ، قبل الجلسة المشتركة في غرفة العمليات التي ستعقد بعد ٣٠ ساعة ، وقال قائد سلاح الجو والتعب باد عليه ، في الساعة الثامنة وخمس دقائق ، حينما تصل الدفعة الثالثة من طائراتنا لأول عشر مطارات مصرية تكون الدفعة الاولى قد وصلت الى تسع مطارات أخرى بعيدة • وفي ذلك الوقت تكون الطائرات المصرية في حالة استعداد • وفوق كل مطار مصري تنقض طائرتان لقصفه بينما تبقى طائرتان اخريان في الجو لمواجهة أية طائرة معادية تحاول الطيران • وبعد ذلك ترتفع الطائرتان لتحل محل طائرتي المراقبة ، وتنزل طائرتي المراقبة لتقصف المطار مرة أخرى ، وأعتقد أن عددا كبيرا من الطيارين المصريين سيكونوا في ذلك الوقت وبعده بقليل داخل طائراتهم ، وبذلك نقضي عليهم مع الطائرات •

وهنا سأل القائد الكبير بصوت منخفض ٠٠ ما هي آخر معلوماتكم بالنسبة لمطار الاقصر ؟ أعتقد أننا متفقون جميعا بأن هذا المطار هو المشكلة الرئيسية ، فهناك قاذفات قنابل منها

ثمانية من نوع (طوبوليف) وعشرة من نوع (اليوشن) وهناك أيضا طائرات مقاتلة منها ثمانية من نوع (سوخوي) وعشرين ميج ٢١ وعدد كبير من طائرات ميج ١٩ وميج ١٧ •

وعاد الى الحديث قائد سلاح الجو ٠٠ سنرسل الى ذلك المطار أربع طائرات ميراج وطائرتي فيتور ، ونأمل أن يكون لديها الوقود الكافي لعودتها • تقوم طائرات الميراج بقصف المدرجات بينما تقوم طائرات الفيتور برماية طائرات الطوبوليف وتعود ادراجها • ومن المحتمل أن لا يكفي الوقود فتضطر الطائرات للهبوط اضطراريا في البحر الاحمر ، ولذلك ستكون بانتظارها قوارب آلية سريعة في ايلات وأعتقد أنه لو أضفنا الى تلك الطائرات خزانات وقود اضافية تستطيع أن تعود الا اذا اضطرت للقيام بالمناورة • وتقوم طائرات الميراج بعد أن تنتهي من تدمير المدرجات برماية طائرات (سوخوي) وميج ٢١ واذا بقي لديها ما يكفيها من الوقود سترمي طائرات الميج القديمة بالمدفعية أما طائرات (اليوشن) فسنتركها لانها لن تكون مشكلة حقيقية حتى لو بقيت سالمة • وتعود طائرات الميراج بعد طائرات الفيتور وتلحق بها وتقوم بحمايتها من جهة مطار الغردقة أمام أي طارىء • وعلى طائرات الفيتور أن لا تشترك في أية معركة ، لان الوقود لن يكفيها • يتم الهجوم على مطار الغردقة قبل دقائق من مهاجمة مطار الاقصر ، ثم تأتي بعد ذلك دفعتان من الطائرات بين كل دفعة وأخرى مدة عشر دقائق وكل دفعة تتكون من أربع طائرات ميراج •

وهنا قال القائد الكبير ٠٠ أعتقد أنكم على خطأ فأنتم ترسلون للعملية عددا أكبر من العدد الذي اتفقنا عليه • فكم طائرة ستبقى كغطاء جوي للبلاد بموجب خطتكم الجديدة ؟

ورد قائد سلاح الجو ٠٠ الخطة ليست جديدة الى هذا الحد • وسنبقي في الخلف كغطاء جوي لحماية الدولة ١٢

طائرة ميراج ويقودها خيرة الطيارين . وقال القائد الكبير ..
قلنا اننا سنبقي في الخلف ثماني طائرات في الجو وثماني
طائرات على الارض . وقلنا ان هذا العدد هو أدنى حد ممكن
لمواجهة العدو في حالة شنه الهجوم علينا . وقال قائد سلاح
الجو .. انا بحاجة الى عدد أكبر من الطائرات ونحن نستغل
الطائرات أكثر من اللازم ومع ذلك فهي لا تكفي ، والخطة
تقوم على أساس أن الدفعة الاولى من طائراتنا ستعود الى قواعدها
بعد دقائق قليلة من مغادرة الدفعة الاخيرة وبذلك تكون لدينا
في المؤخرة ٥ـ٦ دقائق عدة أسراب من الطائرات .

ثم تكلم مدير الاستخبارات فقال :

كيف ترون من جانبكم النبأ الذي وصلنا من القاهرة ؟
اننا لا نصدق أن قيادة سلاح الجو المصري تعطي الاجازات
للطيارين في مثل هذه الظروف . انه نبأ كاذب ، وأما بخصوص
الجولة التي ستقوم بها القيادة المصرية العليا في سيناء يوم
الاثنين القادم بالذات فانه كذب أيضا . وباعتقادي أنه كان علينا
أن لا نعلمه بموعد بدء هجومنا (المقصود العميل السري الموجود
في القاهرة) . لقد أبلغنا هو بهذا النبأ قبل خمس ساعات من
صدور أوامرنا اليه باقامة الحفلة مساء الغد ، ولقد تعلمت من
تجاربي أن الامور على طبيعتها تكون أبسط مما هي في الخيال
وربما تكون مناسبة طيبة اذا حصلنا منه على معلومات أخرى
عن صحة الجولة التي سيقوم بها القادة المصريون ، وعندها
سأقضي عليهم جميعا في عملية خاطفة . وهنا سأله القائد
الكبير : لماذا تقضي عليهم ؟ اذا كنت تستطيع أن تعرف من
عميلنا مكان وتاريخ وصولهم ، فسنقوم بتدمير المطار الذي
سيهبطون فيه وبذلك نجعلهم معلقين في السماء ، بدون أن
يعرفوا ما يجري لهم وعاجزين عن اصدار الاوامر . وطالما هم
موجودين في الجو فان أحدا على الارض لن يتجرأ ـ بدلا

منهم ـ أن يصدر أية أوامر . واذا تحقق ذلك فانه يكون بمثابة
هدية كبرى لرجالنا في الساعات الاولى للهجوم .

قال مدير الاستخبارات :

ان العميل لن يتصل بنا بعد الآن . فقد اتفقنا معه ، بعد
أن نعطيه الاوامر باقامة الحفلة ، أن لا يحاول القيام بأي اتصال
معنا مع أننا سنصغي له غدا وبعد غد من الساعة السادسة حتى
السابعة صباحا . فهو هناك في موقف حرج خطير ، وهم
يستمعون الى ارسال جهازه بواسطة أجهزة روسية خاصة
حديثة لتحديد مكان الارسال . والامر الوحيد يمنعهم من تحديد
ومعرفة مكانه هو الاتصالات اللاسلكية التي تجريها السفارة
الروسية المجاورة له .

وقال قائد سلاح الجو :

انني لا أؤمن بهذه العملية ، أقصد الحفلة ، فما الذي
يفيدنا اذا أقام حفلة لعدد من الطيارين ؟ .

وسأله ضابط الاستخبارات :

ما هو عدد الطيارين المصريين المدربين على الطائرات
النفاثة ؟ انه أكثر بقليل من ٦٠٠ طيار ، فاذا كان بعضهم في
الاجازات من جهة واذا أخذ نصف الباقي الى الحفلة طيلة الليل
من جهة أخرى فان ذلك سيسهل الامر كثيرا على الطيارين
الاسرائيليين اذ كيف نرى الطيار الذي يعسكر حتى الثمالة
ويظل ساهرا حتى الساعة الثانية صباحا وفي الساعة الثامنة
يجري استدعاءه من غرفة الطوارىء في الوقت الذي تكون فيه
طائراتنا فوق طائراتهم ؟ .

قال قائد سلاح الجو ..

ان مثل هذا الطيار يصلح تماما أن يكون جاسوسا ،ونحن
ليس لدينا مثل هؤلاء الطيارين . وهنا نظر القائد الكبير الى

ساعته ، وكانت عقاربها في هذا الوقت تقف فوق بعضهـــا البعض ، وانتهى يوم ٣ يونيو وبدأ يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ .

قف ، قالها الضابط للجندي وأخرج مسدسه واندفع الى الخارج قائلا : من أنت .

قال الجندي .. أنا ... من الكتيبة (٧٦٢) كنا اليوم في اجازة قصيرة في اشكلون ولكن زملائي تحركوا وتركونـي وحدي . فمشيت قليلا وهكذا فقدتهم ، وأنا كما ترى أمشـي وقطعت مسافة ١٥ كيلومترا حتى الان .

قال الضابط ـ هيا أدخل السيارة أين وحدتك ؟

قال الجندي ـ بالقرب من مستعمرة (جوءليم) مقابـل خان يونس .

قال الضابط ـ وكنت تنوي الوصول الى هناك ماشيا ؟

وهنا أمر الضابط سائق سيارته أن يزيد من سرعتـــه ويغير وجهة سفره قليلا ليوصل الجندي المقطوع الى وحدته . وقال الجندي .. مازحا .. هل كنت تفكر بأنني سأتـــرك زملائي وحدهم في النقب ؟ انك لا تعرف يا سيدي حجم القوات العربية التي ترابط مقابلنا في خان يونس .

القسم السابع عشر

مقتل دومنيك لاكوست

٢٢ أكتوبر ١٩٥٥ ـ الساعة ٣٠ر٠٠ حتى ٢٤ أكتوبر الساعة ٠٠ر١٦

(آرام) قالتها دومنيك وهي تفتح ذراعيها وتلقي بنفسها علي بحركة شهوانية مجنونة لا تعرف الخجل « مون شار » . وبينما كنت أضغطها الى جسمي ، وبينما كانت شفتـــاي لا تزالان تتمتمان « دومنيك » كان عقلي يعمل بسرعة ، يحـــاول ايجاد مخرج من هذه الورطة المــريعة ، من الفخ « الناعم » الساذج الذي أطبق علي فجأة أقوى من قيود الحديد . ولكن بالرغم من اليأس الذي انتابني . عدت بذاكرتي الى معلمـــي فيشل وقلت في نفسي ، وأنت كذلك يا فيشل يمكن أن تخطىء وكنت أدرك أن القسم الاكبر من هذا الذنب يقع على عاتقي ، فلولا انجرافي لقضاء ليلة في السابق في أحضان دومنيك ـ الليلة الاولى في شخصيتي الجديدة لما كانت تبحث عني الان ، ولما وقفت هنا بكل قامتها المنتصبة الشهوانية لولا انجرافي في ذلك الوقت ، ولما وقفت دومنيك هنا أمام المجموعة التي تربط بين ماضي الخاص ـ الذي زرت فيه اسرائيل ـ وبين أشخاص يجب أن لا يعلموا بأي حال من الاحوال بذلك الماضي . هدأت نفسي قليلا وأدركت أنني في هذه الليلة لا أستطيع أن أحـل

المشكلة وأنه يجب علي – على الأقل – أن أبعدها عني حتى أجد الحل لها ٠

قلت مفتعلا التعلق بها ٠٠ دومنيك كيف وصلت الى هنا ؟ ثم جذبتها بخفة الى الممر واغلقت الباب وقلت لها : لن يمكنك الدخول عندي في الوقت الحاضر ، فلدي حاليا مقابلة تتعلق بالعمل صفقة هامة ٠ ضحكت وقالت : صفقة عمل ، تتخللها أصوات النساء ، وأنغام الموسيقى الصاخبة وعربدة رجال سكارى ، وتقول صفقة عمل ٠ قلت جادا : نعم يا عزيزتي دومنيك هل تسكنين هنا ؟ قالت : بالطبع ، وبذلك عرفت أنك مقيم هنا ٠ واستطردت وهي تذكرني بأول عبارة لها قالتها لي حينما التقينا بحيفا ، هل تشرب كأسا معي ؟قلت: طبعا ، ولكن بعد أن أتخلص من ضيوفي وسآتي اليك ، ولكن في أية غرفة تقيمين ؟

كان ضيوفي جميعهم في ذروة النشوة التي عندها يفترق الشمل الى أزواج أزواج ، وكل زوج لوحده ، في حديثه ونكاته ٠ وحاولت أنا كذلك – مجاراة الحضور – والتظاهر بالسكر والنشوة ، فتوجهت الى احدى الحاضرات ، واحتضنتها بيدي اليسرى ورفعت باليد اليمنى كأس شراب وقلت : في صحة الاخوة بين فرنسا والاسلام ٠ ثم وضعت الكأس ورحت أطبق عمليا مع فتاتي معنى الاخوة بين فرنسا والاسلام ٠اقترب مني محمد مدكور أبو العز بخطى متثاقلة وقال هامسا في أذني ٠٠ أنا ذاهب مع فتاتي الى غرفة نومك ٠٠ أتمنى لك التوفيق ، قلت له محاولا عدم الاهتمام وأضفت وأنا على أي حال سأغادر مكاني الى غيره بعد قليل ٠ وغمزته بغمزة ذات معنى ٠٠ وأمسكت بقوة بالفرنسية الجالسة في حضني وتكاد تقع على الارض ورفعت معطف الفرو على كتفيها ، وحملت حقيبتها الصغيرة بيدي الاخرى ، وخرجت معها الى الممر ٠ وأنزلتها بالمصعد الكهربائي حتى قاعة الاستقبال وطلبت من

البواب أن يحضر لنا سيارة أجرة ٠ ولما ركبت السيارة وأغلقت الباب خلفها ودسست في يد السائق مبلغا من المال وسلمته العنوان الذي يجب أن يوصلها اليه وقلت ، أرجو أن تقوم بادخالها الى منزلها بنفسك ٠

وألقى السائق نظرة على المبلغ ، وعلت على وجهه ابتسامة سرور وقال مرسي ، مسيو ، مرسي ، سأدخلها بالطبع الى منزلها صحيحة كاملة ٠ وعدت الى المصعد وضغطت الزر ثم نظرت الى المرآة الموجودة هناك لالقي نظرة على شكلي وقلت لنفسي (آرام) ماذا تكون أنت وسيلة لغاية أم الغاية نفسها ، وفي تلك الاثناء وأنا داخل المصعد صممت على ضرورة قتل دومنيك وقررت أن تلحق دومنيك بقائمة الاشخاص الذين يجب أن يزولوا من العالم لانهم اعترضوا سبيل (آرام) وربما يكون هو نفسه الآن يحتضر ، ويعاني سكرات الموت في آخر نوبة قلبية تقرر مصيره ٠

ولكن كل ذلك لم يعكر علي وعلى ضيوفي التمتع في الليلة الاخيرة فدومنيك لا تعرف أن مصيرها قد تقرر من جانبي٠

في غرفتي ، غرفة نومي ، كان الكولونيل المصري الاسود (ابو العز) يتدحرج مع فتاة سويدية شقراء ، استأجرتها خصيصا له ٠ كان غارقا معها في بحر من اللذة العارمة داخل فراشي ، وفي غرفة أخرى ، هي غرفة الضيوف ، كان ضابط انجليزي برتبة ميجر قد انتهى هو وفتاة سمراء من مراكش ، من ارتشاف المتعة الجسدية ، وكان يشاركه تلك الفتاة ، ضابط مصري آخر برتبة ميجر ، سيصبح في يوم من الايام قائد القوة الجوية في سيناء ٠

تركت الجميع على حالهم وذهبت الى تلك المرأة الشهوانية التي قررت القضاء عليها وقلت لها ٠٠ دومنيك ، دومنيك ، مون أمور يا حبيبتي ٠ وراحت دومنيك تلوي جسدها البض الناعم الذي تستره غلالة رقيقة شفافة ومدت لي يدها ، وفمها

وكل جسدها الشهواني .

كان رجل المخابرات الفرنسية ينتظرني في الصالة الكبيرة ، يشرب على مهل قهوته من كأس ملون ، ولما اقتربت منه ، قام بأدب وانحنى لي قائلا :

مسيو أنوير ؟

نعم ، قلتها وأحاول أن أكون طبيعيا في الحديث ، من حضرتك ؟

قال .. الملازم جيون من المخابرات .

جلسنا ، وطلبت بعض الشراب ، ولكن الملازم رفض أن يشرب بحجة أنه لا يشرب أثناء تأديته لوظيفته ، قلت له :

ما الذي تريده يا سيد ؟

قال .. هل يعرف سيدي مدام دومنيك لاكوست ؟

قلت باسما .. دومنيك ؟ نعم ، نعم أعرفها .

قال .. متى شاهدتها لاخر مرة ؟

وهنا كست وجهي حمرة خفيفة ، وقلت ، يوم أمس ، أمس صباحا حيث ودعتها هنا في الفندق فهي تسكن هنا والتقينا ...

وقال .. هل تعرفون بعضكم منذ وقت بعيد ؟

ترددت في الاجابة تماما كما يتردد أي رجل يجري معه تحقيق في الامور الجنسية والغرامية ... وقلت :

لقد التقينا قبل ... سنة تقريبا .

قال .. أين ؟

قلت .. في تركيا .

قال .. أأنت واثق مما تقول ؟

قلت .. بالطبع أنا واثق من ذلك تماما .

قال .. وهناك أيضا أمضيت معها بضع ليالي ؟

قلت .. ليلة واحدة فقط ، (وكانت هذه الجملة الوحيدة الصحيحة في حديثي) .

قال .. وهل التقيتما خلال السنة الماضية ؟

قلت .. كلا ، وانما حضرت مدام لاكوست فجأة الى غرفتي في منتصف الليل .

قال .. وذلك بعد مرور سنة كاملة على لقائكما الاول الذي لم يدم سوى ليلة واحدة كما قلت ؟

قلت .. ربما كانت تلك الليلة من الاهمية بحيث ظلت عالقة بفكرها وظلت تبحث عني حتى وجدتني هنا .

قال .. نعم ، سمعت بأنك فنان في الوان الحب .

قلت .. ولكن لماذا تسأل عنها ، عن دومنيك ؟

قال .. لقد وجدت مدام دومنيك لاكوست صباح اليوم في حديقة أحد المنازل في طرف المدينة وهي عارية وبرأسها رصاصة مسدس .

قلت .. لا يمكن ، كيف حدث ذلك ؟

قال .. هل لديك فكرة عن الفاعل ؟

قلت .. كلا (ولم أنطقها وانما حركت رأسي بمعناها)

قال .. هل لمقتل دومنيك علاقة بأعمالك التجارية في السلاح ؟

قلت .. بأعمالي التجارية ؟ كلا ، فليست هناك أية علاقة .

وقال .. هل يمكن أن يكون عملاء اسرائيليون قد قتلوها ؟

قلت .. عملاء اسرائيليون ، ولكن لماذا فهل تعتقد انهم خطفوها ليحققوا معها عني . ولما لم تقل لهم شيئا قتلوها ؟هل تعتقد ذلك ؟ .

خلال هذا الحوار تذكرت ، أنني بعد أن رأيت دومنيك على باب غرفتي في الفندق ، أبلغت بالامر أحد عملاء اسرائيل ، ووعدني بأن يتدبر الامر ، ولكن كيف علمت المخابرات الفرنسية

بعد يوم ونصف فقط بأن عملاء اسرائيل هم الذين قتلوهـــا ؟ اذن كم من الوقت سيمر حتى تكتشف المخابرات الفرنسيـــة بأنني أنا نفسي عميل اسرائيلي ؟

قال الملازم (جيون) ردا على سؤالي السابق ، لا يمكن أن يكون عملاء اسرائيل هم الذين قتلوها من أجلك ، فان مدام لاكوست زارت اسرائيل قبل سنة تقريبا في نفس الفترة التي تعرفت فيها عليك • فربما تكون هي نفسها عميلة لاسرائيل •

وهنا تنفست الصعداء ، فقد زالت جميع مخاوفـــي ، واستمر الملازم قائلا على أي حال ، فاننا سنواصل التحقيق في القضية ، ولكن أحب أن أقول لك يا مسيو أنوير بأننا لا نحب الأشخاص الذين يكونون هم آخر من رأى حيا رجل قد قتـــل بشكل مجهول • قلت بغضب : الا تعتقد بأن يكون عمـــلاء اسرائيل قد قتلوها عمدا لتشويه سمعتي عند المخابـــرات الفرنسية ؟ •

قال •• كل شيء ممكن ، ولكن مع كل ذلك فاننا لا نحب آخر رجل يرى انسانا حيا قبل أن يقتل • وسجل هذا الكـــلام عندك •

قلت •• سأحذر ذلك مستقبلا ، وقبل أن أدخل أية امرأة الى فراشي سأسألها دائما الست معرضة للقتل في الايــــام القريبة فان كانت كذلك ابتعدت عنها والا أبقيتها •

وحمل الملازم جيون قبعته وانصرف قائلا لي :

يا مسيو أنوير ، ان المخابرات الفرنسية شكت فيـــك ، ونحن لا نعارض بأن يأتي الاجانب الى بلادنا ويقوموا بأعمـال تجارية مهما كان نوعها ولكن الاعمال التي تجري في أعقابهـا جثثا عارية ملقاة في الحدائق نعمل على اقتلاعها • وودعنـــي بأدب وقال : وعلاوة على ذلك يا مسيو أنوير تدل الوثائق التي تحملها مدام لاكوست بأنها لم تزر تركيا مطلقا ، الله معك يا مسيو •

القسم الثامن عشر

جاسوس يتجوّل في العفولة

٤ يونيو ١٩٦٧ – الساعة ٠٠ر٠٧ حتى الساعة ٠٠ر٠٩

لا شيء ، قالت المجندة النائبة وأغلقت الجهاز ، وسألت نفسها ماذا حدث له ، كان المفروض أن يتصل معنا ، ولكنه لم يتصل ، وفكرت في نفسها ، من يكون ذلك الشخص المجهول الذي يتصل بنا ؟ انها لا تعرف شيئا عنه سوى اشـــارات المورس اللاسلكية التي يرسلها من مكان مجهول أيضا • انهـا تعرف أن ارساله هادىء منتظم ، الا أنه في الايام الاخيرة تغير ، أصبح سريعا ومشوشا ، هل يمكن أن يكونوا قد قبضوا عليه وأرغموه على الارسال كالسابق ، فمن يجب أن تحذره وتنبهه لهذا الخاطر ؟

صدرت الاوامر باغلاق طريق البترول المؤدي من كركوك الى المفرق عبر الصحراء السورية ، لمدة يومين بوجه السيارات العسكرية • وتحركت على الخط قافلة ضخمة طويلة متجهة من الشرق الى الغرب ، تسير ثم تتوقف بضعة دقائق ثم تواصـل السير ، وتتوقف مرة أخرى لمدة ساعة كاملة هذه المرة •

لقد استطاع خلال الليل ، اللواء المصفح الثالـــث من الفرقة أن يتقدم حوالي ١٥٠ كيلومترا • كأن الطريق بمثابة طريق آلام وقعت فيه الاصطدامات بين السيارات ، وبعضهـــا

تدهور على جانبي الطريق ، السيارات الكبيرة التي تحمل الدبابات كانت تصطدم بالسيارات الصغيرة ، كان السواقون، متعبون ، وكان من الضروري استبدالهم بالسائقين المساعدين ليستريحوا وهم داخل سياراتهم . ولكن السواقين المساعدين كانوا معظمهم عاجزين عن القيام بهذا العمل الصعب ، قيادة سيارات يزيد وزنها مع حمولتها عن (٥٠) طنا ، في وسط قافلة تسير وتتوقف باستمرار .

وفي أحد المنخفضات قرب حدود الاردن ، تحركت السيارات الكبيرة بسرعة أكبر ، وكان من المتعذر ايقافها . فالدبابات الثقيلة من نوع تي - ٣٤ الروسية الحديثة كانت تضغط بثقلها على الجرارات لتدفعها الى الامام . وكانت الضوابط (بريكات) الهوائية تهوي تحت الضغط . وفي ساعة متأخرة من الليل أفلتت ضوابط احدى تلك السيارات بينما كانت تسير في طريق منخفض قرب الحدود ، فزادت سرعتها ، والدبابة القابعة فوقها أخذت (ترقص) على ظهرها ، وارتطمت هذه السيارة بالجرارة التي تتقدمها ، وانطلق صوت انفجار شديد ، وانفصلت غرفة السائق عن بقية جسم السيارة وانحرفت عن الشارع وزادت سرعة الجزء المتبقي ، وصعدت بحمولتها على جرارة أخرى تتقدمها ، وتمزقت الحبال التي تثبت الدبابة ، فتدحرجت الى الامام وحطمت مدفع الدبابة التي أمامها ثم سقطت على الارض مقلوبة على جنبها . وقفز السائق ومساعده من الجرارة الى الخارج ، ولكن عجلات الجرارة التهمتهما وتوالى تدحرج الجرارتين الى الامام وارتطمتا بسيارة اخرى من القافلة كانت واقفة على جانب الطريق ، وهكذا تحولت ثلاث جرارات بحمولتها من الدبابات الى كوم من الحديد والخشب وصدرت الاوامر الى القافلة بالتوقف والاستراحة على الاقل لاخلاء حطام الجرارات الثلاثة من الطريق .

ووصلت الى قائد اللواء الموجود داخل الاردن برقية عن

تأخير القافلة لتستريح بعض الوقت ، ولكنه أصدر الاوامر الى مساعده بضرورة التحرك فورا الى الاردن حتى ولو بقيت جرارة واحدة صالحة من كل خمس جرارات .

وكان هذا اللواء قد تحرك قبل ثلاثة أيام من منطقة جبال كردستان ونتيجة للحادث الذي وقع في الطريق أصبح معزولا عن الفرقة كلها التي كانت موزعة في منطقة الزرقاء . وكان المفروض أن ترسل الفرقة من الزرقاء لواء واحدا عبر طريق عمان - أريحا للمساعدة في احتلال مدينة القدس ويتحرك لواء آخر الى نابلس ليكون مهددا كل من تل أبيب وحيفا في آن واحد . ولواء ثالث يتوزع في منطقة عمان لضمان عدم تراجع الملك الصغير وعقده اتفاقا مفاجئا مع العدو .

ولكن بعد ثلاثة أيام في الطريق ، لم تستطع تلك القوات الوصول الى مواقعها المعينة ، فالطريق الرديء ، والتنظيم الفاشل من أساسه من الاعلى ، ووحدات الخدمات السيئة التي تعطلت في الطريق وفوق كل ذلك - المعنويات المنخفضة بين الجنود بعد سنين من الاصطدام مع الاكراد في العراق ، كل هذه العوامل وقفت معا في وجه القوات العراقية .

قال قائد اللواء لمساعده : اعلم أنك اذا لم تكن جاهزا مع اللواء عند ملتقى الطريق بأنابيب البترول فانني سأعيدك الى بغداد مطرودا . أدى المساعد التحية العسكرية واستدعى ضابط الشرطة العسكرية الذي كان ينتظر مع وحدة صغيرة بالقرب من الكوخ القائم على الحدود وسارا معا . وفي هذه الاثناء جاءت مخابرة لاسلكية تقول لقائد اللواء : ان القائد العام يريد مقابلتك .

في مدينة العفولة الاسرائيلية الواقعة في سهل مرج بن عامر ، كان يتجول الجاسوس يرتدي بدلة انجليزية ، يتكلم العبرية بطلاقة ، ولكن بلهجة انجليزية الى حد ما ، وكان يسأل

كل من يعتقد أنه يعرف شيئا عن المكان الذي ترابط فيه وحدات لواء دبابات السنتوريون التي وصلت الى المنطقة قبل أسبوع ، كان متعبا ، وعلى ذقنه بعض بوادر ، الشيب ، وعينيه حمراوين ويدل مظهره على مدى الاعياء والتعب . وتقدم منه أحد رجال البوليس وسأله :

يا سيدي ، هل من الممكن أن أطلع على أوراقك وهويتك ؟

قال الرجل بابتسامة متعبة .

ليست معي أية أوراق أو هوية .

قال البوليس .. اذن أرجو أن تأتي معي وأرجو أيضا أن لا تحاول اثارة المشاكل ، وهنا لزيادة الاطمئنان ، أخرج رجل البوليس مسدسه وقاد الرجل الى الشرطة .

في داخل المركز بالعفولة ، كان يجلس ضابط بوليس برتبة رئيس . ابتسم وقال للشرطي ، انه ليس بجاسوس ، وانما جاء يوم أمس من انجلترا ويبحث الآن عن وحدته . واقترب الضابط من الرجل الغريب وقال له : بالطبع لا أستطيع أن أكشف عن مكان وجود قواتنا ، ولكن وحدتك ترابط في منطقة (تعنك) في المنطقة الممتدة بين مستعمرتي (فديا) و (بروخيم) . وهناك في غابة قرب منبع للماء تجد قيادة الوحدة . ولكن لا تقل لأحد بأنني أنا الذي أبلغت بذلك .

شكره الرجل ثم قال مستغربا : ولكن كيف أستطيع أن أصل الى هناك ؟ لم يبق معي شيئا من النقود ، جئت من لندن ودفعت آخر قطعة نقد معي . وعليك أن تفهم بأنني مساعد قائد سرية دبابات سنتوريون . درست في انجلترا ، وعاد الابتسام الى ضابط البوليس مرة أخرى وقال : تعال ، سآخذك الى هناك بالسيارة ، ومع أن الاوامر تمنعني من مغادرة هذا المكان ،ولكني أريد أن أرى كيف سيكون استقبالهم لك ، وكيف وصلت من انجلترا الى هنا .

وسلم الضابط الى النائب حاجة ما ، ثم أخرج المفاتيح وركب سيارة الجيب ، وفي الطريق قال الغريب ، أريد أن تعلم كيف وصلت الى اسرائيل بدون نقود حسنا ، دخلت الطائرة وقلت لهم : أنا متوجه الى اسرائيل ، وافعلوا ما شئتم فانني لن أنزل . كان الغريب طوال الطريق يتطلع الى السهول المترامية أمامه ، والتي تنتهي عند أسفل جبال جنين ، وهناك في غابة صغيرة قرب نبع للماء ترابط القيادة العسكرية التي ستدله على مكان سريته . وأخذ يتصور في فكره كيف أن جنودالسرية يقفزون بخفة الى داخل الدبابات ، وهو نفسه بعيد عنهم ،وقال لقائد السيارة هل تزيد السرعة من فضلك ؟ انهم يستعدون للحركة ، وأخشى أن أتأخر عنهم . ونظر الى قائد السيارة ضابط البوليس باستغراب وزاد من سرعة السيارة ليصل في الوقت المناسب .

القسم التاسع عشر

دعوة لزيارة مصر

٣١ ديسمبر ١٩٥٥ الساعة ٠٠ر٢١ حتى منتصف الليل

نزلت ليلة رأس السنة على باريس بمرارة ، فان الثورة القائمة في الجزائر ضد فرنسا تحولت الى حرب حقيقية ٠ وسقطت الحكومة الفرنسية مرة أخرى وأعلن اجراء انتخابات جديدة ، لكن أحدا لم يقتنع بأنها ستؤدي الى أي تغيير يذكر ٠ وأظهر قادة الجيش استياء متزايدا من اجراءات الحكومة ٠

أنا شعرت أكثر فأكثر بأن دوائر الاستخبارات العسكرية تضيق الخناق علي بالرغم من أن عميلنا الخاص الموجود بوزارة الخارجية الفرنسية وعدني بأن يكون الخط الرسمي (سياسة البلاد) مؤيدا لاصدقائي الجدد ٠ ولكن احساس داخلي كان يقول لي ان أيامي في باريس معدودة ٠ لم أندم على ذلك فان باريس ، في الحقيقة – بالنسبة لمهمتي الحقيقية – ما هي سوى محطة متوسطة في طريقي ، ولكنني عمدت الى استغلال الايام المتبقية لي في باريس الى آخر حد في المتعة واللذة ٠

وهذا المساء أقمت حفلة كبيرة ٠ كانت الجماهير في باريس تطوف الشوارع بمناسبة رأس السنة ، شبان وشابات يسيرون في جماعات متشابكي الايدي ، وفي منزل (لويز) الكبير و (لويز هذه صديقتي الجديدة) أخذنا نستعد لحفلة صاخبة تستمر حتى الصباح مع توقف عند منتصف الليل

حينما تطفأ الأنوار فجأة مدة ساعة ٠ ولكنني الآن والحفلة لم تبدأ بعد أجلس في مكان غريب علي ، مقابل رجل لا يعبر وجهه عن شيء ، كما لا يختلف عن آلاف الوجوه الاخرى ٠ باختصار وجه عميل محترف ٠

في جبال الجزائر تهطل الامطار منذ حوالي شهرين بصورة متواصلة ، قال لي ذلك الرجل الذي كنت أعرف أنه مبعوث من طرف فيشل والواقع أن أسلوب فيشل في المعاملة كان على أساس القاعدة التالية :

(ابدأ بالحديث عن موضوع يتراءى لك بعيدا ، ولا قيمة له ، ثم فاجىء المستمع بتحول حاد وادخل صلب الموضوع مباشرة) ٠

وقال الرجل العميل لي بنفس أسلوب فيشل : الجيش الفرنسي لا يستطيع أن يستخدم هناك وحدات كبيرة في مثل تلك الظروف ، وواصل : ولكن الثوار كذلك لا يقدرون على الحاق الاضرار به لنقص الاسلحة المناسبة لديهم ٠ وسألت العميل : ماذا يريدني فيشل أن أبيع لثوار الجزائر قنبلة ذرية ؟ قال : كلا وانما راجمات ٦٠ ملمتر ، من النوع الذي ستشتريه من فائض الاسلحة الفرنسية ٠ لم أسأله كيف عرف فيشل نوع السلاح الذي سأشتريه ولكني قلت : لماذا يريد فيشل أن أفعل ذلك وأشوه سمعتي في فرنسا ؟ قال :ليطردوك من بلادهم ، وعندها ربما تحصل على دعوة من صديقك لزيارة بلاده ، بل ربما تقيم هناك مدة طويلة ٠ قلت : ولكنني لا أستطيع أن أنقل حوالي ١٠٠ مدفع هاون وحوالي ٢٠ الف قنبلة من فرنسا للثوار ، فالمخابرات الفرنسية تضيق الخناق علي باستمرار ٠ قال : عليك أن تبيع كل شيء بصورة رسمية محترمة لتاجر سلاح في الرباط بالمغرب وذلك التاجر يعمل في خدمة بن بيلا ، وسواء نجح التاجر المغربي في توصيل السلاح

الى الثوار أم لا ، فهذا ليس شأنك ، وربما حينما تقوم أنت بتسليم السلاح للتاجر ، سنتولى نحن ابلاغ المخابرات الفرنسية بذلك . كنت أعرف أن هذه الخطة ، من خطط فيشل العادية يصيب ثلاثة عصافير بحجر واحد ، فمن جهة ، تشوه سمعتي في فرنسا وأضطر على السفر الى مصر ، ومن جهة أخرى سيدفع ثوار الجزائر أموالا طائلة ثمنا للسلاح ، ولكنهم لن يتسلموه ، ومن جهة ثالثة يحظى عملاء فيشل في باريس بعطف ومحبة المخابرات الفرنسية وربما بالتالي يأمل فيشل أن تعطيه المخابرات الفرنسية الاسلحة المصادرة كهدية لبلاده أو ربما يحظى بجائزة أكبر ، فالصحف تكتب منذ عدة أسابيع عن طائرات مستير وعدت فرنسا بها اسرائيل ولكنها لم تتسلمها ، حتى الآن . وقلت للرجل .. كيف حال فيشل ؟

قال .. لقد انتهى دوره ، انه يحتضر تقريبا .

لم يفزعني هذا النبأ اذ كنت أعد نفسي منذ زمن لمواجهته ومع ذلك فقد شعرت أن شيئا ما بداخلي بدأ يموت ، ينقضي . ان فيشل لندسبرغ ذلك النسر الكبير ، ذلك الرجل الذي روحه روح طفل ، وعقله عقل عالم ، هل يمكن أن ينتهي دوره ويخرج من اللعبة ؟

قلت ، حسنا ، سأبيع للتاجر المغربي الراجمات مقابل الثمن سلفا ، ولكن انتظروا بضعة أيام بعد أن أسلم السلاح للتاجر حتى لا يشك بأنني أنا الذي وشيت به ، خرجت الى الشارع وأنا حائر هل أفرح أم أبكي . وأخيرا قررت أن أفرح وأشرت بيدي لسيارة أجرة .

عند منتصف الليل أطفئت الانوار في منزل لويز ،وغرقت الصالة الكبيرة في ظلام دامس . بدأنا نتحسس في الظلام ، ضائعون في العتمة الرجال يبحثون عن النساء ، والنساء تبحث عن الرجال ، وامسكت يدي باحداهن ، تلمستها فوجدتها لذيذة .

بعد يومين شكلت حكومة جديدة في فرنسا ، واشتد أوار الحرب في الجزائر ، وتقلص توريد السلاح من فرنسا الى مصر يوما بعد يوم ، بعد أن علمت فرنسا بأن الاسلحة تتحول الى الثوار الجزائريين .

لم يقابلني هذه المرة الملازم جيبون ، وانما حضر اثنان من المخابرات الفرنسية الى غرفتي في الصباح الباكر وسلماني أمر طرد من فرنسا خلال ٢٤ ساعة . ولكن استطعت بواسطة صديق بوزارة الخارجية أن أمدد الأمر ليومين آخرين ، وأنهيت جميع أعمالي في باريس وتقابلت مع الكولونيل محمد مدكور أبو العز وأبلغته بأنني سأنتقل الى سويسرا ، ولكن الضابط المصري تطلع بي طويلا ثم قال : أنوير بيك ، هل تأذن لي بأن أدعوك باسم سلاح الجو المصري لزيارة بلادي ؟ وعندها سترى ماذا نفعل بالسلاح الذي اشتريناه منك . لم أجب ، وانما أحسست كأن امرأة اشتقت اليها وتلهفت عليها مدة طويلة بدون أمل ، تستجيب لي الآن ، تدعوني بشهوة للقائها . وسكت ، وفسر أبو العز سكوتي بأنه موافقة على تلبية دعوته ثم قال : ان قائد سلاحنا الجوي الجنرال محمود سيعتبرك ضيفه الخاص ، وحركت رأسي علامة الرضا ، ثم استمر أبو العز .. كذلك فان مدير مخابراتنا يرغب منذ مدة في التعرف عليك . وهنا شعرت بعنكبوت يزحف على عمودي الفقري ، شعرت بعرق بارد يكاد يتصبب من جميع خلايا جسدي ،ولكن وجهي لم يتأثر .

يسرني جدا أن ألبي دعوتك ، قلت لابو العز ، وأنا أحني رأسي تأدبا . كانت هذه هي احدى المرات النادرة خلال أحاديثي معه التي تخرج فيها من فمي جملة صادقة المعنى .

انتهى الجزء الاول من الكتاب
ويليه
الجزء الثاني

الجزء الثاني

في القاهرة

الجزء الثاني

في

القاهرة

القسم العشرون

ضابط أردني يهرب إلى إسرائيل

٤ يونيو ١٩٦٧ ـ الساعة ٠٠ر٠٩ حتى ٠٠ر١١

في منطقة القدس وادي كبير ، يأتي من الاراضي الاردنية ويدخل الاراضي الاسرائيلية ، وفوق ذلك الوادي يرتفع القصر الذي كان يقيم فيه قبل سنوات كثيرة المندوب السامي البريطاني . أما اليوم ففي ذلك القصر مقر قيادة مراقبي الامم المتحدة . وعند أسفل القصر تمتد قرية عربية صغيرة حتى قلب الوادي ، حيث تقوم مساكن متفرقة ، وبساتين الفواكه ، بين أشجار تلك البساتين كان يسير بحذر ضابط من الجيش الاردني يحمل مسدسا في يده ، ومنظار ميدان في اليد الاخرى . كان يقترب من المنطقة الحرام عند طرف الشارع ، يتردد أحيانا ثم يخرج من آخر بستان ويتوجه الى حقل مكشوف تصل نهايته بغابة صغيرة داخل الاراضي الاسرائيلية . كان الضابط برتبة ملازم ، ثخين الشارب ، أسمر البشرة ، يتحرك بسرعة في منطقة الخطر ، ويتخطى حقلا يظنه حقل ألغام ويصل

الى أسلاك الحدود · ومن وسط الغابة الاسرائيلية التي أصبحت لا تفصله عنها سوى خمسين خطوة سمع صوت سلاح يستعد للاطلاق ، ولكنه رفع يديه الى الاعلى وقال بالانجليزية :

(دونت شوت ، دونت شوت ـ لا تطلق النار)

جندي اسرائيلي يقف على قدميه من داخل أحد الخنادق في الغابة ويسدد رشاشا الى الضابط الاردني ، وقال له : إرفع يديك ، وما كانت له حاجة بذلك ، فالضابط الاردني يسير رافع اليدين ، ولكن المسدس الذي يحمله أثار شكوك الجندي ·الق بمسدسك ، قال الجندي الاسرائيلي بالانجليزية ، ولكن الضابط الاردني وقد أصبح على بعد خطوات من الجندي الاسرائيلي راح يكلمه بلغته ، بالعبرية همسا · خسارة على المسدس دعني أجتاز الاسلاك وأعطيه لك · واجتاز الضابط الاسلاك وأخرج الجندي المسدس من يده ونادى على زميل له يسأله عما اذا كان يعرف طريقة استخدام هذا المسدس ولكن الضابط قال له ، أضغط عليه من نصفه ، ودخل الضابط مع الجندي الى الغابة ، وأنزل يديه وقال الجندي : ماذا تفعل هنا ؟ خذني الى ضابطك وسأتكلم معه هو ، وخرج من بين الاشجار نائب كبير الحجم وقال ، أنا ضابطه ، ما المسألة ؟ قال الضابط الاردني ·· أريد أن أتحدث مع الضابط وليس مع غيره فخذني اليه بسرعة · وسدد النائب سلاحه وقاد الضابط أمامه وقال له : أرى أنك تفهم اللغة العبرية ، سر أمامي على مهل واذا حاولت أن تأتي بحركة أطلقت عليك النار · وأنتم عودوا الى الخندق قالها لجنوده ، وسار خلف الملازم الاردني وبندقيته مسددة الى ظهره واصبعه على الزناد · جلس الملازم الاردني الاسمر في مكتب ضابط الاستخبارات ، يشرب القهوة ويدلي بأقواله بجمل قصيرة منتظمة ·

قوات عراقية موجودة في البلدة القديمة بالقدس ·ولكنها

عبارة عن عدد من الضباط وقوات الاستطلاع ، الفرقة الثانية عشر المشاة العراقية وصلت محمولة أمس الى منطقة عمان · الفرقة المصفحة الثانية وصلت الزرقاء ، ولكنها تواجه مشاكل كثيرة من ناحية التوزيع والنظام ، وهي لا تستطيع التحرك نحو نهر الاردن واجتيازه · وربما يجري غدا ارسال وحدات مشاة عراقية صغيرة للضفة الغربية ، وبعد غد يجري ارسال ألوية كاملة · افهم من الاحاديث التي سمعتها بالبلدة القديمة ان السلاح المصفح لن يقطع نهر الاردن الى الضفة الغربية قبل يوم الاربعاء القادم · وسيقوم لواء مصفح عراقي بحماية القدس ومنطقتها ولواء آخر يتحرك الى نابلس ، أما اللواء الثالث فسيظل مرابطا على ما يظهر ، في منطقة عمان كاحتياط ، وليضغط على الملك ، قوات المشاة ستوزع بحجم فرقة مقابل منطقة نتانيا وكفر سابا لتقطع اسرائيل الى قسمين · وسأله ضابط الاستخبارات الاسرائيلي :

ماذا يقولون في الاردن عن موقفهم عند نشوب الحرب ؟ هل سيتدخل الاردن أم يحافظ على الهدوء ؟ فقال الضابط الاردني : اذا بدأ القتال ضد مصر أو سوريا فان الجيش الاردني سيتدخل فورا في معركة شاملة على طول الحدود · وحتى لو رفض الملك التدخل ، فان القيادة ستعمل بدون موافقته · وقد أصبح للجيش الاردني الآن قائد مصري وله في القدس كتيبتا صاعقة مصريتان · قال الاسرائيلي : هل الكتيبتان في القدس ؟ أجاب الاردني : كلا ، انهما في المنطقة المقابلة للطرون فاذا بدأ القتال فان جنودهما سيدخلون اسرائيل ويقطعون طريق القدس الرملة ، ويقوموا بتدمير مطار اللد ، ويهاجموا القوافل العسكرية ويحدثون ضجة كبرى · وسأله الاسرائيلي : هل هم حقا رجال صاعقة حقيقيين ؟ وحرك الضابط الاردني رأسه بحركة عربية تقليدية وقال : كلا ·· ولن يصبحوا كذلك بعد ١٠٠ سنة · كل ما يستطيعون هو أن يحدثوا بعض

الضجة ، وليس غير ذلك • مع ان السكان يتحدثون عنهم كأنهم أبطال قصص الف ليلة وليلة ، ولكن سرية واحدة من المظليين الاسرائيليين كفيلة بالقضاء عليهم • وسأل الاسرائيلي : الا تحصل فرقة المشاة على مساندة الدبابات لمهاجمة منطقة نتانيا ؟ أجاب الاردني أعتقد لن تحصل ، فان في تلك الفرقة وحدات من المدفعية والدبابات الخفيفة أما الدبابات الثقيلة ، كما قلت لك فستكون في منطقة نابلس وجبال القدس ومن نابلس تستطيع الدبابات أن تدخل الى مدينة الخضيرا أو التوجه الى حيفا • أما الدبابات الموجودة في القدس فستقوم بالمحافظة على المحور الرئيسي الخليل ـ رام الله ، وعند نشوب الحرب ستقوم بعزل مدينة القدس •

سؤال : متى تعتقدون أن القوات العراقية ستصل الى مراكزها المخصصة لها في الجبهة ؟

جواب : يقال بعد يومين ، ولكني شخصيا أعتقد أن ذلك يستغرق أربعة أيام أو خمسة ، وأقول لك ان القوات العراقية كبيرة وأسلحتها قوية ، فلديها دبابات تي ٣٤ حديثة والجنود يحملون بنادق هجومية حديثة ، ويقال ان نفس هذا التسليح الحديث في جميع الوحدات العراقية تقريبا • وبندقية الهجوم، تطلق نارا كثيفة خطيرة جدا • وحينما تصل القوات العراقية الينا ، سأقيم صداقات مع جنودها لأجمع لكم معلومات دقيقة أكثر عن أسلحة الوحدات وعن المعنويات وعن خططهم الحربية •

وسأله ضابط الاستخبارات الاسرائيلي سؤالا أخيرا : الا يمكنك أن تبقى هنا يوما واحدا ثم تعود ؟

وجه اليه الضابط الاردني نظرة ذات معنى وقال :

وأخيرا قررتم :

يقصد الهجوم على الاردن ولا حاجة في عودة الضابط الاردني الى بلاده •

القسم الحادي والعشرون

لقاء مع مدير المخابرات المصرية

٢٦ مارس ١٩٥٦ ـ الساعة ٩٣٠ حتى ١٠٫٣٠
(حسب توقيت القاهرة)

أمضيت طيلة ذلك الصباح أجري مشاورات ـ بقلبي طبعا ـ مع فيشل • كنت أسائل نفسي : ماذا يقول فيشل عني ؟ لقد استدعيت الى مكتب البريجادير صلاح نصر قائد سلاح الاستخبارات المصرية ، وحدد الموعد لي التاسعة تماما • فهل أذهب اليه في الوقت المحدد ، اذن كيف أظهر له استقلالي وكوني تاجر أسلحة غير مرتبط ، يعطف الى حد ما على نظام الحكم الثوري في مصر ، ولكنني بنفس الوقت رجل حر ، جل همه في تجارة السلاح • وبعد حوار طويل مع فيشل قررت أن أتأخر عن موعد المقابلة مع صلاح نصر بضع دقائق ، ولست أشك أنه لا يوجد في بلاد النيل كلها عشرة رجال غير أعضاء مجلس الثورة أنفسهم ، يتجرأون على التأخر عن موعد محدد لمقابلة صلاح نصر • ولكني أنا (آرام أنوير) تاجر سلاح تركي ، دولي ، أمه الارمنية مريام نورهان الجميلة يتجرأ على التأخر • كان صباحا قاسيا علي ، لم أستطع أن أركز فكري في العمل الذي سأقدم عليه ، وربما هو أخطر عمل يطلب مني • وفجأة شعرت بالشوق نحو أمي المجهولة ، الارمنية الجميلة التي

توجد صورتها في درج الطاولة بغرفتي في فندق (القاهرة) ·
ربما يكون سبب شعوري بالعزلة والوحدة هو النبأ الذيوصلني
عشية سفري الى مصر عن وفاة فيشل ، ولم يكن لدي الوقت
حين ذاك ولا القوة لهضم الخبر والرد عليه · فقد كنت منصرفا
بكليتي نحو التفكير في سفري الى مصر ، نزولي الى عرين
الاسود · واليوم ، وقد مرت ثلاثة أسابيع على وصولي القاهرة
وطلب مدير المخابرات المصرية مقابلتي ، شعرت بمدى عزلتي
ووحدتي · فأنا هنا ، في البلد الذي سأقيم فيه الى ما شاءالله
أشعر بأن حبل المشنقة معلق فوق رأسي ، ينتظر مني أقل
هفوة ليحيط بعنقي بشدة ·

رفعت رأسي وابتسمت لنفسي ، ان آرام أنوير لن يدع
انسانا يخدعه · آرام أنوير لن يخيب ظن فيشل الطويل فيه ،
فيشل الذي صنعني من جديد ، الذي شق لي طريقا على جثث
النساء ، وبأموال طائلة وعلى حساب حرمان سلاحي الجوي من
المعدات العزيزة الضرورية له · غسلت شعري ، وصبغته جيدا
حتى جذوره التي بدأ اللون الحقيقي يظهر عليها ، وحلقت ذقني
وسكبت العطر على جسدي ، وارتديت أجمل لباسي وهكذا
أصبح آرام أنوير جاهزا لكل شيء · وصلت القاهرة قبل ثلاثة
أسابيع مع صديقي البكباشي (كولونيل) أبو العز ، كان
وصولنا بعد الظهر ، ووجدنا المدينة الكبيرة القاهرة في ظلمة
صفراء بسبب عاصفة رملية شديدة منعت هبوط الطائرة ، مما
اضطرها أن تحاول الهبوط في المطارات السرية الاخرى في
مطار القاهرة غرب ، في مطار الماظة ، أمبابة ، حلوان ، جديدة ،
ولكنها عادت بالتالي الى المطار الدولي · ولما هدأت العاصفة
الرملية شاهدنا على الارض ثلاث بنايات عالية غريبة الشكل ،
أحدها أكبر من الثاني ، كانت هذه أهرام الجيزة شعار مصر
القديم ، التي تذكر الناس بالماضي الجليل لبلاد النيل ، وخلف
نهر النيل شاهدنا مدينة القاهرة التي بناها المحتلون المسلمون

من الحجر الابيض المنقوش والذي أخذوه من الاهرام · بين
الاهرام والقاهرة كان يمتد أطول وأغرب نهر في العالم ، النهر
الذي يجري شمالا والذي تفيض مياهه في أواخر الصيف
فيجرف معه آلاف الاطنان من الطمي المخصب من جبل الحبشة ،
ويجعلها تستقر في المنطقة الضيقة في قلب الصحراء وعلى
ضفاف النهر تقوم منذ القدم ، حتى اليوم ، منذ أيام الفراعنة ،
أكواخ اللبن التي يقيم فيها اثنان من كل ثلاثة من سكان مصر ·
وهناك بعيدا الى الجنوب يقوم السد الكبير الذي يحاول المصريون
الآن مضاعفة حجمه · وفي الشمال والشرق تمتد البلدان التي
يحلم حكام بلاد النيل بها منذ وجود الاهرام · ولكن هناك أيضا
على شاطىء البحر المتوسط تقوم بلادي ، تنتظر مني ما أستطيع
أن أفعله من أجل أن تظل قائمة هناك على شاطىء البحر
المتوسط ·

كان البريجادير صلاح نصر ، كبقية قادة الحكم والجيش
في مصر ، رجلا في مقتبل العمر ، في مطلع الثلاثينيات · ولكنه
كان يختلف عن بقية زملائه البسطاء · ولما نظر الى الصورة
التاريخية التي تضم الضباط الاحرار الذين قاموا بالثورة
المصرية · وجدت أن واحدا منهم فقط غير محبوب وهو أكبرهم
سنا ويجلس في وسطهم انه الجنرال محمد نجيب ·

وفي احدى المرات ، وقد كنت أقف على بعد خطوات
قليلة من وزير الحربية المصري أمير اللواء عبد الحكيم عامر ،
فهمت السبب الذي من أجله قال لي فيشل ، لا تخفه ، فأنوجه
(عبده) (لقب عبدالحكيم عامر) تبدو عليه جميع الصفات
الايجابية بالنسبة لضابط ، ولكن صفاته تخيف كل من يريد
العمل بالسياسة أو ··· التجسس ، بدون مبرر ، فهيلا تزيد
عن كونها البساطة ، والاستقامة ، والاخلاص ، وطيبة القلب ·
وكلها صفات عبده فلا تخشى جانبه ، وبالفعل لم أشعر تجاه

هذا الرجل (عبده) لا بالكراهية ولا بالمحبة ، مع أنه ابـــن الكراهية • أما صلاح نصر فكان مختلفا عنهم : فتعابير وجهه لم تكشف تقريبا عن عمره الحقيقي وربما كان منظره اليوم ، هو هو قبل عشر سنوات ، وهو هو بعد عشر سنوات • كان نحيف الجسم ، لباسه العسكري متهدل على صدره وكتفيه ، يلبس نظارة سوداء ، حتى أثناء جلوسه الى مكتبه الكبير • كان حجمه صغيرا بالنسبة للغرفة الكبيرة ذات الاثاث الفاخر التي يجلس فيها ، حتى كأنه يبدو كعنكبوت صغير يجلس في وسط شبكة كبيرة •

دخلت الى البناية الكبيرة الموجودة داخل المعسكر ، وفي طرف هليوبوليس عند حدود الصحراء تماما ، لأقابل صـــلاح نصر والساعة كانت التاسعة وثلاث دقائق تماما • واصطحبني ضابط شاب الى مكتب صلاح نصر ، ودق الباب ، وأدى التحية العسكرية وأعلمه بمقدمي • سرت الى الامام ، أتوقع التحيـــة المصرية المعتادة « سعيدة » •

السلام عليكم ، قال صلاح نصر بصوت مرتفع وهو ينظر الى ساعة يده ، وقلت على الفور : وعليكم السلام • كانت تحيته غير مألوفة في مصر • وكذلك كان ردي عليها • ولكنها كانت الرد الملائم لتحيته ، وقلتها فورا وبدون تردد : أجلس مــــن فضلك وأشار صلاح نصر الى كرسي من الجلد الوثير •جلست، وعلى شفتي ابتسامة بلا معنى • وقلت بلا مبالاة :

تحت أمرك ، ورفع نصر يده كأنه يدافع عن نفسه ويقول: من أنا حتى أصدر لك الاوامر ؟ بدأ حديثه قائلا ، ان الكولونيل أبو العز يمدحك كثيرا ، ويقول بأنك قمت بمساعدتنا فـــي اللحظة الحاسمة • عدلت من جلستي على الكرسي ، وكـــان مكيف الهواء قد جفف العرق الذي ألصق قميصي الحريـــري بجسدي ، اذ كان الحر حتى في مثل هذا الفصل شديدا فـــي

القاهرة ، وفي شوارع هليوبوليس الواسعة المستقيمة وهـــي الحي العصري في القاهرة • كانت تختلط العواصف الرمليـــة بغبار الشوارع ليل نهار • وكنت أرتدي معطفا خفيفا • وقلت أرد على كلامه : يؤسفني أن أخيب ظنك ولكن من المبالغ فيــه القول بأنني جئت لمساعدتكم • وكل ما في الامر أنني عرضت عليكم بضاعة كنتم بحاجة ماسة اليها ، والحقيقة أنني لم أحاول أن أستغل بذلك ظروفكم القاسية • وهنا دخل نائب يحمـــل طبقا عليه أكواب القهوة الساخنة والحلويات • وعندهاتذكرت القهوة التي شربتها قبل حوالي عام ونصف عام في مكتـــب فيشل ، وقدمتها لنا يومها فتاة باسم روثي ، وهي الفتاة التي انضغط جسدها عند تقديمها القهوة بين الطاولة وجسدي ،وهي التي قادتني بعد ذلك الى الفراش واستدعت صديقتي نعومـــي لتفاجئنا بذلك الوضع المحرم • أما هنا فالذي قدم لنا القهوة ، رجل برتبة نائب ، وسرعان ما انصرف من المكتب • وفجـــأة شعرت بارتياح حقيقي ، هنا مكاني وهنا سأضرب جذوري عميقا ولن يستطيع أحد أن يكتشف ما أخفيه وراء وجهي الاملس • قال نصر •• اننا نريد أن نشكرك لكونك لم تستغل تلـــك المناسبة للضغط علينا • ثم سكت مدة طويلة وبعدها أضاف : أنت تعلم يا أنوير بك أن هذه البلاد تصادف كثيرا من المشاكل، حتى يقيض الله لها من يهب لمساعدتها ، وعندها ابدأ أسائل نفسي ، لماذا فعل فلان ذلك ؟ وأبقي السؤال معلقا في الفضـــاء موجها وغير موجه نحوي • وعندها تذكرت ما قاله فيشل مرة: لا تحاول مطلقا أن تذكر أية معلومات ، ولكن اذا وقعت في فخ ، فأدخله بمحض اختيارك • ولذلك قررت الدخول والاجابـــة فقلت : أنا رجل أعمال يا بريجادير ، وحينما قلت لمحمد مدكور بأنني لا أريد أن أضغط على اخواني المسلمين ، ذكر لي السلاح الذي بعته لأعداء الاسلام ولكنني رجل يعيش من وراء بيع السلاح ولا يهمني ما يفعل بذلك السلاح أو يستخدم ضد من : وهـــز

نصر رأسه موافقا ثم واصلت : ولكن رجل الاعمال الحقيقي يجب أن يعرف كيف يضع حدا لنفسه ، وهنا رمقني ذلك العنكبوت بنظرة فاحصة من وراء نظارته السوداء وقال بصوت خفيف غريب عليه ، فكرنا في أن نعطيك وساما من سلاح الجو المصري وسام شرف • وابتسمت ابتسامة سخرية ،ولكنني حرصت على أن لا يراني أسخر منه وقلت : لقد أخذت منكم وسام شرف ، أوسمة من النوع الذي أحبه الاخضر الازرق (يقصد هنا المال ثمن البيع) •

قال نصر •• حسنا فعلت ، أنك لم تأخذ نفس الوسام من اسرائيل • والواقع انهم يدفعون أكثر منا • فقد كانوا بحاجة الى هذا السلاح أكثر من حاجتنا اليه •

قلت •• كلا لم يكونوا بحاجة له أكثر منكم ، بالرغم من أن دعاياتهم تزعم العكس • وعلاوة على ذلك فان الاسرائيليون ، كبقية اليهود في العالم ، لن يفهموا ما هو العمل الشريف • فهم دائما يطلبون روحك مع السلاح الذي تبيعه لهم ••• وان كل من لا يسير مع الاسرائيليين حتى النهاية يعتبروه عدوا لهم وأقول لك بالمناسبة ، انه بعد أن تمت صفقة السلاح ، بيني وبينكم حاول الاسرائيليون الايقاع بي في حبائل جاسوسية لهم في فرنسا •

قال نصر •• صحيح انها مدام لاكوست •

قلت •• ولكن من أين تعلم بأمر لاكوست •

قال •• ومن أين لك آثار الدمل على ظهرك ؟

الواقع أنني دهشت لذلك ، وظهرت الدهشة على وجهي : وارتسمت على قسمات وجهي أسئلة كثيرة أولها ، بالفعل كيف عرف هذا الرجل بآثار الدمل الموجودة على ظهري ؟

ولكن عرفت فيما بعد السر ، فخلال وجودي في سويسرا

تعرفت على فتاة هناك باسم (لورا) وكانت تلك الفتاة تفضل ونحن في الفراش أن تلف رجليها وراء ظهري ورأت العلامة ، ولما سألتني عنها يوما قلت لها : انني كنت عشيقا لزوجة أحد الاشخاص في تركيا ، وذات ليلة داهمنا الزوج في منزله في فراش واحد فأطلق علي الرصاص من مسدسه وأصابني في ظهري ونتج عن ذلك كما ترين هذا الاثر •

وسألت صلاح نصر بصوت غاضب •• وماذا تعرف عني أيضا ؟

قال •• أعرف سبب آثار ذلك الدمل ، وبما أنك تحكي للنساء وهن في فراشك كل شيء فلا يجب أن تستغرب علمي بكل شيء عنك • أنا أعرف عنك أيضا بأنك مغرم مجنون بالنساء وتفاخر بذلك ، وأقول لك حافظ على علاقاتك جيدا في الخارج ، سنكون بحاجة لك ، فالطائرات النفاثة ليست كل آخر شيء نريد الحصول عليه وفي بلادنا نقيم ٢٠٠ مدرسة ابتدائية كل عام و ١٠ مؤسسات للدراسة العالية ، ويدرس لدينا اليوم مليون ونصف طالب في المدارس الابتدائية و ١٠٠ الف طالب جامعي • وخلال سنوات عند اكتمال السد العالي وتطور الصناعات الثقيلة سنكون دولة كبرى في هذه المنطقة • وكل من يمشي معنا على طول الطريق ، سيكون جزاءه محفوظا • وعند افتراقنا قال لي بصوت ناعم : كل انسان يدخل بلادنا يا أنوير بك نفتح عليه عيوننا ليل نهار ، لئلا يحدث له مكروه • ولذلك فنحن نقوم بمراقبتك وحمايتك من المساوىء • ولكنني أنتظر منك بالمقابل الاخلاص التام • كانت هذه هي أول مرة خلال حديثنا الطويل لم أستطع أن أفهم ما يرمي اليه من الحماية التي سيقدمها لي مقابل اخلاصي التام • ولكنني عرفت أن هذا النصر ـ على الاقل من ناحيتي مصنوع من الورق •

القسم الثاني والعشرون

دع العراقيون يعبرون نهر الأردن

٤ يونيو ١٩٦٧ – الساعة ١١٠٠ حتى ١٢٠٠

لم يرغبوا في أن يعطلوا قائد القطاع الاسرائيلي ، وابعاده عن مركزه الهام بعض الوقت ، ولذلك توجهوا اليه ، بدل أن يتوجه هو اليهم • وعند مدخل المدينة أوقفت البنات والاولاد سياراتهم بحركات من الايدي الصغيرة ، وتقدم هؤلاء الى السيارات يعرضون على ركابها الساندويشات ، قالت احداهن :• خذ لك ساندويش أيها الجندي •

وصاحت عليها رفيقتها قائلة لها :

انه ليس جندي ، بل ضابط كبير

ونظرتا الى الرتبة العسكرية على كتفيه ، وسألته احداهن بانفعال :

أصحيح انك برتبة زعيم ؟

وابتسم القائد الكبير ثم قال : كلا أنا برتبة لواء ، ولكن اللواء هو أيضا جندي •

وعندها قالت البنت الصغيرة وهي تعض على شفتها السفلى :

اذن فأنت رئيس هيئة الاركان وعليه يجب أن تأخذ ثلاث سندويشات بدلا من واحد • ونحن هنا من لجنة الترفيه عن الجندي في مدينة الرملة • خذ هذا الساندويش ولا تستح ، فمع كونك برتبة لواء ، ضروري لك الساندويش في الطريق الطويل • وتابعت السيارات العسكرية سيرها نحو المعسكر •

ان قائد القطاع ، وبالرغم من ماضيه الحربي الطويل ، كانت تنقصه العلامات الخارجية التي تتوفر في الرجل المقاتل • ولكن اليوم ربما يستطيع أن يثبت من جديد كفاءته كمقاتل من الطراز الاول •

قال قائد القطاع : غدا يبدأ العراقيون بعبور نهر الاردن ، وبعد غد كما سمعنا ، ستعبر النهر ألوية كاملة • وكل دقيقة تتأخر فيها الضربة المضادة من طرفنا تعني مزيدا من جنودالعدو في هذه المنطقة ومزيدا من الضحايا بين قواتنا • وعلينا بمجرد أن يبدأوا باطلاق النار أن نوجه لهم ضربة سريعة وقاضية •

وقال مساعد القائد العام : سوف نمتنع عن الاشتباك معهم في جبهتين على الاقل اذا كان ذلك ممكنا ، فان معظم حاملات الجنود موجودة في الجنوب وكذلك معظم القوات المظلية في الجنوب ، كما أن سلاح الجو سيكون مشغولا في الجنوب طوال اليوم ، ولذلك يترتب علينا الانتظار هنا في هذه الجبهة •

وقال قائد القطاع : وهل سننتظر حتى تصل النجدات العراقية الى الجيش الاردني على طول الجبهة ؟ على الاقل اسمحوا لي أن أستولي في حالة شروعهم باطلاق النار على اللطرون والرادار لحماية القدس •

ولكن مساعد القائد العام رمقه بنظرة حانقة وقال له : ان القدس مضمونة والحماية لها متوفرة •

وقال قائد القطاع : وماذا بشأن جبل سكوبس والجامعة العبرية اذا شنت القوات الاردنية هجوما عليها ؟

قال مساعد القائد العام •• دافع عنها •

وقال قائد القطاع : هل أستطيع أن أحرك الليلة ، اللواء المصفح حتى مقربة من الحدود ؟

ولكن مساعد القائد العام ، دق باصبعه على الطاولة عدة مرات وقال باللغة الالمانية دلالة على اصراره على الرفض (نايط) أي كلا ٠

وهنا قال قائد القطاع ، للقائد العام ، هل تعتقد أن قواتي تكفي للقيام بهجوم شامل بعد أن تشترك القوات العراقية في المعركة ؟

تريث القائد قليلا ثم أجاب وهو يزن كل كلمة ، كأنه يتخذ قرارا هاما بين كلمة وأخرى ٠ كل ساعة نؤخر فيها الضربة المضادة ستدخل خلالها قوات عراقية الى الضفة الغربية عبر نهر الاردن وأنت تعلم جيدا أن النهر يمكن عبوره من جسرين فقط ٠ وحينما تبدأ القوات العراقية بالعبور ، فانه من الضروري وقف السير على الجسرين طيلة يوم كامل ، فاذا قمنا بضربتنا مساء الغد ، أو صباح بعد غد فان الجسرين الوحيدين يكونان في ذلك الوقت باستخدام القوات العراقية التي تعبرها الى الضفة الغربية ، وبمعنى آخر ان الجسرين سيكونان مغلقان بوجه القوات الاردنية بسبب مرور القوات العراقية ، وعندها فقط ستضرب ، وستجد بقرب كل جسر منهما أكواما من القتلى والسيارات والدبابات المشتعلة ، وستظل تلك الاكوام تكبر وترتفع بسبب تهافت القوات الاردنية من جهة والعراقية من جهة أخرى لعبور الجسرين وكل منهما باتجاه معاكس وعندها يكون سلاحنا الجوي مدعوا لزيارة الجسرين ٠ وهكذا ابتسم قائد القطاع راضيا عن الفكرة ورأى أنه طوال حياته العسكرية لم يكن الا راضخا أمام المنطق ٠

وأضاف القائد العام كلمة أخيرة : في هذه المرة ، اذا بدأت القوات الاردنية باطلاق النار في مدينة القدس عليك باحتلال البلدة القديمة فورا ٠

القسم الثالث والعشرون

طائرة ميج ١٥ تحترق

٢٩ مايو ١٩٥٦ ـ الساعة ٠٩١٥ حتى الساعة ١٤٠٠
(حسب توقيت القاهرة)

كان مطار ألماظة يمتد على مدى البصر من النيل حتى التلال الصغيرة المنتشرة بين حقول القطن والارز ٠ كما أنه من العسير رؤية نهاية ذلك المطار حتى من رأس برج المراقبة العالي ٠ وفي ذلك المطار مباني من الاسمنت ومستودعات كبيرة للوقود ، والذخيرة وقطع الغيار ، وطائرات مصفوفة ، وكان المطار أشبه بمعسكر جيش كبير يستعد للحركة ٠ وكان رجال الاعمال الارضية وصيانة الطائرات ينتشرون في المطار يؤدون مختلف الاعمال ٠ وعلى شرفة برج المراقبة كان يقف صديقي الجديد محمد صدقي محمود قائد الاسطول الجوي ٠ كان وجهه متجعدا في الوقت الذي لا يزيد عمره عن الثلاثين بكثير ، وكان يخفي وجهه بمنظار ميدان يتطلع من خلاله الى ما يجري في أرض المطار ٠ والى جانبه كان يقف صديقي الذي عرفته في باريس الميجر عبدالحميد عبدالسلام دغيري ، وفي الجانب الآخر البكباشي جمال الدين محمود عفيفي رئيس العمليات الجوية ٠ وبينما كنت أتكىء على حاجز الشرفة ، كنت أتطلع بدون أن أثير أي أنتباه الى ما يجري هناك ٠ ولكن تحت ستار عدم الاكتراث

الذي كنت أتقنع فيه ، كان عقلي يصور كل شيء بدقة ، حتى أصبحت قادرا على أن أعيد ما رأيته هناك بعد عودتي الى منزلي الجديد الواقع في بناية بطرف القاهرة على طريق هليوبوليس ٠ لقد أراد أصدقائي الجدد الذي أمضيت معهم أمسيات وليالي حمراء أن أشاهد القوات التي كانوا يفاخرون بها ، وهي الاسراب الجديدة من الطائرات الروسية النفاثة التي وصلت مصر مؤخرا ٠ وقد فهمت وعلمت أن مطار الماظة الحربي كان أكبر مطار عسكري في مصر وفيه حشد حوالي نصف القاذفات النفاثة الروسية من طراز اليوشن ، كما حشد فيه أيضا سرب من الطائرات البريطانية الحديثة ، وهي نفس الطائرات التي ساهمت بانقاذها قبل بضعة أشهر حينما بعث لمصر قطع الغيار لها والذخيرة والمعدات الارضية ٠ بدأ رجال الاعمال الارضية يبتعدون عن أرض المطار ويدخلون المباني ، وتقدمت مجموعة من طائرات الميج واصطفت على المدرجات ومن خلفها اصطفت طائرات الداكوتا والمتيئور وأخيرا درة التاج قاذفات القنابل من نوع اليوشن ٠ وارتفعت أصوات المحركات وانطلقت طائرات الميج بسرعة خاطفة وارتفعت في الجو تشكل رسوما وأشكالا مختلفة ٠ ثم استعدت طائرات الاليوشن كأنها تقول للمشاهدين ان طائرات الميج الصغيرة لا تذكر بالنسبة لحجمها الكبير وأجنحتها الطويلة ٠ والتقت طائرات الميج والاليوشن في عرض السماء وتوجهت كلها شرقا الى القاهرة والعودة ، ثم سارت بمحاذاة نهر النيل ٠ وهنا وقعت الكارثة فان طائرة ميج صغيرة خرجت فجأة عن التشكيلة الجوية وهي تتخبط بجنون في السماء وراحت تقترب من الارض ورأينا جسما صغيرا ينقذف منها ٠ ومظلة تنفتح ، ثم غارت الطائرة في الارض وسمعنا صوت انفجار مدوي ومعه ارتفعت سحب من الغبار والدخان الاسود ٠ وسمعت محمد صدقي محمود الذي كان يراقب ما يجري بالمنظار الكبير يسب ويشتم ثم يأمر أحد الضباط باجراء التحقيق ومحاكمة الطيار بأسرع وقت ٠ وعادت التشكيلات

الجوية الاخرى الى أرض المطار ٠

قمت بتصوير الرسالة وتصغيرها حتى أصبحت عبارة عن نقطة سوداء بحجم رأس الدبوس ٠ والصقت هذه النقطة (الرسالة الصغيرة) على المغلف الذي عنونته الى زيجفريد لاها وكيل بورصتي في زوريخ ٠ وألصقت على النقطة الصغيرة ورقة الطوابع المصرية وأدخلت المغلف في درج طاولتي ٠ لو جاء واحد وأزال الطوابع وقام بتكبير النقطة السوداء ٢٠٠ مرة يستطيع أن يرى فيها مجموعة من الارقام وكل منها يتكون من أربعة أعداد ٠ ولو عاد أحد الى الورقة التي كتبت عليها الرموز السرية لاستطاع أن يؤلف من تلك الارقام جملة كاملة مفيدة هذا معناها :

الى ـ المسؤول ٠ من ـ روما ٠

يبدو أن سلاح الجو المصري قد فشل في استيعاب الطائرات النفاثة ٠ ان ٦٠ طائرة فقط في حالة جاهزة للعمل ٠ طائرة الميج ١٥ لا تصلح للمعارك الجوية مع الطائرات المقاتلة الاخرى ، وانما هي تصلح لمقاتلة القاذفات ٠ القوات العاملة تشمل سرب طائرات اليوشن وسربي ميج ١٥ وسرب فامباير وسرب متيئور ٠ والاقصر ٠ طائرات الميج موزعة في مطارات الماظة ٠٠ كباريت ٠٠ وأبو صوير ٠ طائرات النقل موزعة في مطارات الماظة القاهرة غرب والاقصر ٠

يجري توسيع مطارات الماظة ، والقاهرة غرب ، وأنشاص ليكون باستطاعتها استقبال النفاثات ٠ الطائرات البريطانية بوخنا موزعة في مطاري فايد والماظة ٠ سيناء خالية من الطائرات يجري اعداد مطار بيرحمة لاستقبال طائرات الميج ٠ واعداد مطاري العريش وبير كفكفا لطائرات بوخنا البريطانية ٠ لا أعتقد أن بوسع المصريين استيعاب الطائرات النفاثة قبل سنتين ٠

وان الاشهر الثلاثة التي أمضيتها حتى الآن في القاهرة حققت جميع رغبات فيشل الطويل . تركت مصر مرة واحدة فقط قبل حوالي شهر وسافرت الى فرنسا ، وما أن وصلت فرنسا حتى قابلت صديقي الموظف الكبير بوزارة الخارجية الفرنسية واستطعت بمساعدته أن أحصل على تصريح بنقل آخر دفعة من الاسلحة التي اشتريتها من فرنسا الى مصر ، وكانت تلك الصفقة عبارة عن عشرات الدبابات الحديثة والمدافع المضادة للطائرات التي تحولت فيما بعد الى خردوات حينما قصفتها الطائرات النفاثة الفرنسية بالقرب من مطار الماظة ، وبعد هذه الصفقة ، حينما عدت الى مصر كنت بطل حديث الساعة بين الضباط المصريين . ووضع محمد صدقي محمود يده الواسعة علي كأنه يخشى أن يسلبني منه ضابط كبير غيره . وصارت تتوالى الدعوات علي لحضور الحفلات في بيوت ضباط سلاح الجو وفي نواديهم الراقية . كان الضباط في منازلهم يمثلون عائلات محترمة ، يتحدثون عن مستقبل بلادهم التي نجحت في أن تضع نفسها في مركز اهتمام العالم كله . وكانوا يتحدثون عن السد العالي الذي سيغير معالم البلاد وعن الاسلحة الحديثة التي تتدفق من الاصدقاء الجدد ـ الاتحاد السوفياتي ـ والتي جعلت من الجيش المصري قوة عالمية . وكان ضباط سلاح الجو يتحدثون مع زوجاتهم عن آخر الكتب التي صدرت في السوق وعن الادباء القدماء ، مثل توفيق الحكيم وطه حسين ويوسف السباعي ذلك الضابط الذي تحول الى كاتب فذ ، وعن زوجة محمد مندور العزيز التي اكتشفت فجأة أنها شاعرة موهوبة .

كان هذا في المنازل ، أما في النوادي العسكرية حيث كنا نمضي الايام اللذيذة والليالي الحمراء ، فكانت تحضر نساء أخريات وبصحبتهن كان الضباط غيرهم في منازلهم . كان من بينهن نجوم السينما . كنا نجلس مجموعات حول الموائد نشرب

شرابا يطلقون عليه عصير فواكه ولكنه كان خمرا لاذعة ،وكانت فرق الفنانات تظهر أمامنا تسخر من المجتمع القديم وتغني لنظام الثورة . وما كانت الفنانة تنتهي من وصلتها الغنائية أوالراقصة حتى تأتي الينا ، ان قوة الجاذبية في الملابس العسكرية هناك كانت تأسر قلوب جميع الفتيات والطالبات من الاسر المحترمة فيتدفقن علينا .

ان سكان أكواخ اللبن المترامية على ضفاف النيل لم يحصلوا تحت ظل الثورة التي قامت باسمهم بأي شيء ، ولكن هؤلاء الضباط في النوادي الراقية التي تحيطها الحدائق الغناء حصلوا على كل شيء ويتمتعون بكل شيء . وكان قائدهم قائد سلاح الجو المصري محمد صدقي محمود يشجعهم ويدفعهم للمزيد من المتعة .

قال لي صدقي محمود مرة بعد عودتي من فرنسا ، بينما كان الطيارون يرقصون مع فتياتهم في الانوار الخافتة على أنغام الموسيقى الشرقية ، ان الطيار الماهر هو عاشق ماهر ، فالطائرات تماما مثل النساء ولا تكون جميلة الا في العمل وهي تؤدي العمل الذي من أجله وجدت المرأة التي تقوم بأعمال الطبخ ، تكون في منتهى المثالية ، ولكن حتى ترتدي فستانا عصريا مشدودالاطراف مكشوف الجوانب ، وتشرب كأسا من الويسكي وترتمي على صدر طيار شاب ، نجدها تغيرت تماما ، نجدها أكثر جاذبية ورونقا فلماذا ؟ لانها تكون تنفذ عملها الخاص بها ، عملها الذي خلقت من أجله ، انها على وشك أن تنام مع الرجل ، ومن أجل ذلك خلقت وهكذا هي الطائرة .

كانت عيني قائد سلاح الجو المصري تتقدان بنار غريبة ، وجهه الاسمر يعلوه الاحمرار ، كنت أصغي اليه باهتمام حقيقي، ربما لم ينجح صدقي محمود في أن يقيم سلاحا جويا مشهورا

ولكنه أحب مهنته ، بل كانت له فلسفة خاصة به ازاء السلاح الذي يقوده ٠

قال لي صدقي محمود في ذلك الوقت : الطائرة التي تلقي قذيفة على الهدف مثلها مثل الرجل الذي يركب امرأة ، وبما أن هذا العمل كله يفعله الطيار ، فلذلك يجب أن يكون رجلاحقيقيا أعني عاشقا مدلها ٠

قلت لصدقي : أرجو ذلك ، وآمل أن لا يلقي طياروك جميع قذائفهم على الاهداف ساعة التمرين ، بل يحتفظوا ببعضهـا للفنانات والطالبات الموجودات هنا ٠

وعض صدقي على شفته السفلى بشهوة وقال ٠٠ أنظر اليهم هل ينقصهم أي شيء ؟ والواقع أن الطيارين المصريين كانوا شبابا حلوين صحيح أن قاماتهم قصيرة ، كبقية أبناء الشعب المصري وأجسامهم ممتلئة قليلا كعادة أهل الشرق ، ولكنهم شباب فيهم الجمال ويفاخرون بمهنتهم ومراكزهم ٠ يرقصون مع خيرة نساء بلاد النيل ، يعرفون أنهم سيأخذونهن الليلة الى الفراش ، ليبرهنوا على نجاحهم في الامتحان الذي وصفه لهم قائدهم ٠

كنا نجلس حول احدى الموائد ، أنا وقائد سلاح الجو وضابطين كل منهما برتبة رائد ، من المقربين الى صدقي محمود ، وهما صديقي (عبد السلام دغيري) و (اسماعيل محمد لبيب) الذي كان كما عرفت تلك الليلة خبيرا في الدفاع الجوي ٠ كنا نجلس وبجانب كل واحد فتاته ، وبما أنني كنت تلك الليلة ضيف الشرف ، وبما أن الرائد (لبيب) اعتبرني ضيفه الخاص ، تقديرا على خدماتي باحضار المدافع المضادة للطائرات التي اشتريتها من فرنسا فقد حرص بأن يسلمني فتاة جميلة واحدة من نجوم السينما تدعى (دنيا) ٠ ورأت (دنيا) هذه أن من

واجبها أن تعلمني كيف أحب المصريين وأحب أنوثتها ، وفعلت كل ما أرادت تلك الليلة ٠ بين الحين والحين كنا نقوم نرقص ، وكانت دنيا تعلمني أن الرقص معناه الالتصاق جسدا بجسد ٠ حرصت أن لا أكثر من الشراب ، ولكني شعرت في آخر الليل أن زمام لساني قد أفلت وكذلك كان حال جميع الموجودين ، وخاصة الطيارين وفتياتهم ، فقد بلغ الجميع ذروة النشوة والصخب ، ولم يكن داعي لحذري ٠ في احدى الرقصات اصطدم بنا ضابط طويل برتبة رئيس ، سرعان ما جاء يعتذر ثم عرفني على نفسه قائلا : قائد الجناح صالح عبد النبي من مطار الاقصر ، وبما أنه لم يكن داعي لأعرفه على نفسي ، اذ المفروض أن الجميع يعرفونني فقد جرى التعارف بين الفتاتين وجلسنا الاربعة الى احدى الموائد لنستريح ، ونتناول كأسا من الشراب ٠ سألت قائد الجناح صالح بعد أن استلقينا على الكراسي : هل جئت من الاقصر حتى هنا من أجل هذه الحفلة ؟ كلا ـ قالها مبتسما بسبب السكر والتأدب معا ، لقد جئت للاشتراك في دورة طائرات اليوشن فسنستلمها قريبا ، كان هذا يتكلم بحرية لأنه يعرف أنه يتكلم الى صديق قائد الى المورد الرئيسي لسلاح الجو المصري ٠ قلت له : فهمت من خلال أحاديثي في القيادة أن هذا المطار سيكون من أكبر المطارات ؟ قال ٠٠ بل اليوم يعتبر هذا المطار هو الثاني بمساحته بعد مطار ألماظة ، فقد جرى توسيع المدرجات الى أكثر من كيلومترين ونعمل باستمرار باضافة مدرجات جديدة اليه ، أدعوك لزيارة المطار والمحطة الجديدة ، فلدينا طائرات نقل روسية تستطيع أن تحمل سرية جنود كاملة دفعة واحدة ٠ وسألته متظاهرا بأن سؤالي عابرا ، كيف يجد رجالكم التدريب على الطائرات الروسية النفاثة ؟ فهي تعتبر جديدة عليكم بالنسبة لطائرات الفامباير والميتئور ، وانحنى قائد الجناح صالح نحوي ليقول :

اننا لا نتدرب ما فيه الكفاية ، ولكن هذا هو شعوري

الخاص بالطبع ربما من المتعذر زيادة التدريب أكثر . لا يسمح لنا بالطيران سوى ٢ـ٣ ساعات في الشهر فقط . ولكـــن لا داعي للطيران أكثر من ذلك . دعوته لنعـود الى الرقـــص ، شكرني وسألني بأدب محاولا ان يدلل على محبته لي : هل ترقص معها وأشار الى صاحبته ؟ تبادلنا الفتيات طوال الرقصة ثـم عدت مع دنيا الى مائدة القائد ، الذي ابتدرني قائلا : رأيتـك تتحدث مع قائد الجناح عبد النبي ، فما هو رأيك فيه ؟ كنـت مضطرا أن أتعلم كيف أحترم صدقي محمود ، كان يعرف رجاله، يحبهم ، ويهتم بأمورهم . قلت مجيبا على سؤاله .. انه ضابط جدي ، يسير في الطليعة . ونظر الي القائد وابتسامة خفيفـة امتدت بين تجاعيد وجهه ثم قال ـ ان لك نظرة لا تخيب يـا آرام ـ فعبد النبي هو من خيرة رجالنا . ولكنه دائما متسرع . ان الطيار الممتاز يا آرام مثل العاشق الممتاز يجب أن يعرف متى يسرع ومتى يعمل ببطء رويدا ، رويدا .

افترقنا في ساعة متأخرة من الليل ، وصحبني الرائـد لبيب بسيارته حتى المنزل الذي اشتريته قبل بضعة أيام فـي طرف حي (هليوبولس) ودّعته أنا ودنيا وسرت معها الى المنزل الذي تحيط به وتغطيه الاشجار . وفجأة استدارت دنياوالتصقت بي وقالت هامسة : ان أحدا في الحديقة : والصحيح أنـني شاهدت شبح رجل يهرب من الحديقة ويقفز عن السيـاج ويتوارى ، وقلت لدنيا : لا تخافي ، انه واحد من الحراس الذين أرسلهم صديقي صلاح نصر ليهتموا بسلامتي . ومررت بيدي بخفة على أردافها الممتلئة وفتحت الباب . كنت آمل أن يكـون رجال صلاح نصر قد تمكنوا من اجراء تفتيش دقيق في المنزل .

القسم الرابع والعشرون

سرّ الفجوة المزدوجة

٣ يوليو ١٩٥٦ الساعة ١٥ر٠٧ حتى ٣٠ر١٠
(حسب توقيت القاهرة)

نادي المؤذن من فوق المسجد ، ارام أنوير ـ ارام أنوير ، وصحوت من النوم . واختفى صوت المـؤذن ، ولكـن جرس التلفون ظل يدق . استدرت في الظلمة ورفعت السماعة قائلا : صباح الخير ، من أنت ؟ . أنا محمد لبيب ، هل سمعت الاخبار؟ نظرت حولي ، كانت دنيا بجانبي تتلوى تحت الغطاء ، تشـد صدرها العامر الذي يشتهيه ملايين المصريين ويرونه بأحلامهم في قصور القاهرة وفي الاكواخ الممتدة على النيل . قلت أية أخبار يا حبيبي ؟ اننا لم نستيقظ بعد . قال أرجو المعذرة ، ولكـن الامر مستعجل جدا ، ان القوات الفرنسية على وشك أن تنزل في بور سعيد . وطلبت السفارة من جميع الرعايا الفرنسيين أن يغادروا البلاد خلال يومين . أفاقت دنيا مذعورة ، وضعت يدي اليسرى على جسدها العاري وأمسكت السماعة بيمناي وكانت دنيا تتململ تحت يدي ، ثم وخزتني باصبعهـا تحت ابطي ، وانفجرت ضاحكا . وهنا قال لبيب غاضبا : ما الذي يضحكك في هذا ؟ كلا كلا ، قلت وطلبت من دنيا أن تكف عن مزاحهـا . وسألني لبيب ، ما الذي تنشغل فيه في مثل هذا الصباح ، الا

يمكنك أن تكون جديا مرة واحدة ، اننا في حالة يائسة يا ارام ، سيهاجموننا من الجو والبحر • قلت مستغربا ، ولماذا تقول لي ذلك انا بالذات ؟ ألم تستعدوا لمثل هذه الحالة منذ أن أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم قناة السويس ؟ وقال لبيب واليأس يبدو عليه •• يا أنوير بك ، أنا المسؤول عن الدفاع الجوي في منطقة القناة • لقد وعدتنا بأن تشتري لنا أجهزة رادار من تركيا • قلت له : سنلتقي عندك في المكتب بعد ساعة ، مجرد أن أرتدي ملابسي فقط •

تناولنا طعام الفطور على شرفة منزلي المطلة على النيل ، وكان مطار ألماظة يتراءى أمامنا بعيدا عند الافق ، كما كانت تبدو أمامنا جدران مصنع الصواريخ الجديد الذي أقيم عند طرف (هليوبولس) • وبالقرب من هناك يوجد معسكر القيادة المصرية وبجانبه سفارة الشقيقة الكبرى « الاتحاد السوفياتي » • ووجود جميع هذه المنشآت الهامة في تلك المنطقة جعلت من شراء منزلي فيها عملا تجاريا كبيرا • وعلاوة على ذلك كانت للمنزل ميزات أخرى جعلته ملائما لطبيعة عملي الحقيقي ، كأن صاحبه بناه خصيصا لي •

اشتريت ذلك المنزل في فصل الربيع بعد وصولي القاهرة بمدة قصيرة من شخص يدعى (طارج) وكيل تاجر انجليزي للمواد الكيماوية ، وقد قرر ذلك الوكيل مغادرة مصر وبيع المنزل • وأثناء المفاوضات التي أجريتها معه في صالة الاستقبال المكيفة الهواء أكد لي ضرورة دفع الثمن بواسطة شك مسحوب على أحد البنوك السويسرية ، وقال : ان أموالي التي كنت أخفيها في الفجوة السفلى لم أكن أستطيع دائما اخراجها من مصر ، ولذلك لا أحب أن تدفع لي ثمن المنزل هنا ، فتبقى أموالي داخل مصر دون أن أستطيع اخراجها • والصحيح أن الفجوة السفلى التي تحدث عنها هي التي دفعتني أكثر من أي شيء آخر لشراء

المنزل • وحينما ترددت ازاء السعر المرتفع الذي طلبه قادني الى غرفة عمله ، ومن على أحد الجدران أزاح صورة كبيرة ، وظهر تحتها ثقب ، أدخل فيه مفتاح ، ثم جذب بابا صغيرا من الفولاذ كان مستويا مع الجدار ولا يمكن تمييزه بالعين • وخلف هذا الباب الصغير أدار جهاز فتح صغير ، وعندها فتح باب مصفح يغطي قاعة فولاذية كبيرة داخلة كلها في وسط الجدار : ما رأيك ؟ سألني وأضاف : ألا تحتاج لمثل هذا ؟ واستمر يقول كأنه يكشف سرا ، انني أعلم بماذا تشتغل ، ضحكت وقلت له : وهل تعتقد أن الرجل المحترف الذي سيجري تفتيشا عن مبالغ كبيرة من المال محفوظة داخل هذه القاصة سيعجز عن كسرها أو معالجتها بأية طريقة ؟ قال : طارج •• تفحصها جيدا ، ان فيها شيئا خاصا • أثار ذلك اهتمامي ، ورحت أتفحص القاصة من كل جانب وتحسست مكان اتصالها بالجدار ومررت بأصابعي على جدرانها الداخلية وعلى سقفها وأرضيتها ، فلم أجد شيئا خاصا بها • ورمقني طارج بنظرة غاضبة ، ثم تقدم من طاولة ، وأخرج من درجها جسما أشبه ما يكون بازميل حاد ، ثم أخذه وانحنى داخل القاصة وغرس الازميل فيها وبعد جهد بسيط ارتفعت قطعة فولاذ مربعة صغيرة من أرض القاعة ، ومرة أخرى سحب طارج مفتاحا صغيرا من جيبه وأدخله في الثقب الذي نجم عن خروج قطعة الفولاذ المربعة ورأيت أرضية القاصة ترتفع من أحد جوانبها • ثم قام طارج برفع الارضية كلها ، وظهرت تحتها فجوة كبيرة ، عبارة عن قاصة أخرى • ثم عاد طارج وأغلق القاصة ثم قال لي : يا مستر أنوير ان أعمالك لا شك تعود عليك من حين لآخر بمبالغ كبيرة لا تحب أن يعلم بها أحد غيرك • وكل رجل أعمال تتوفر لديه مثل تلك المبالغ ، حتى أنا كنت أحتفظ هنا دائما برزمات كبيرة من الجنيه الانجليزي والدولار • ان الرجل الذي صنع هذه القاصة موجود في انجلترا وسأكون أنا هناك قريبا ، وبذلك لا يظل في مصر أي انسان يعلم بأمر

القاصة سواك أنت · ما رأيك كم تستحق هذه الصفقة ؟ قلت ، لا بأس سأشتري المنزل · كنت أحمل معي دائما مبالغ كبيرة من العملة الاجنبية تحرمها قوانين الجمهورية المصرية ، كما كنت أحتفظ بنسخ من الرسائل التي أبعث بها الى وكيلي في سويسرة (زيجفرد لاها) أعلمه فيها كيف يتصرف بالاموال · وكانت عندي فواتير ومستندات توضح بسهولة أن المبالغ التي ربحتها من تجارة السلاح مع المصريين هي أكبر بكثير مما كنت أعترف به لهم · كانت عندي بلا شك معلومات وافية تهم صلاح نصر ، لو استطاعوا أن يصلوا الى القاصة الجديدة هذه المبالغ وضعتها كلها في القاصة العليا ، أما السفلى فوضعت أشياء أخرى آلة تصوير خاصة ـ ميكروفيلم ـ وأدوات صغيرة لتحميض وطبع الصور ، وتحويل الوثائق الى صور صغيرة بحجم عين الذبابة ، وعلبة معدنية تحتوي على سائل يحول الاوراق عند سكبه عليها الى مادة لزجة على الفور · وفي علبة أخرى كانت رموز لاسلكية صالحة للاستخدام مرة واحدة فقط · وكان في القاصة السفلى أيضا صحن صغير يحتوي على عدد من الحبوب الصغيرة البيضاء وكل حبة منها تقتل رجلا سليما خلال ٢ـ٣ دقائق · كنت أنا ذلك الرجل السليم الذي خصصت له تلك الحبوب البيضاء وكان لا يزال في القاصة السفلى مكان كبير يتسع لاخفاء جهاز لاسلكي يعمل على موجة قصيرة وبقوة عالية · أنهينا طعام الفطور ـ أنا ودنيا ـ وهنا وصلت الخادمة العجوز التي كانت تتولى تنظيف المنزل يوميا ·

قلت لدنيا ·· يجب عليك أن تبحثي لك عن صديق آخر ، فان علاقاتك معي لن تفيدك بشيء · فاليوم أنا هنا ، وبعد سنة حيث تنشب حرب في جزء آخر من العالم سأطير الى هناك ، الى البرازيل أو السويد مثلا ·· وراء تجارتي ، كانت الصحراء على بعد مئة خطوة من منزلي · وكان وهج الشمس الحار يلفح

وجوهنا ، مع أننا لا نزال في بداية النهار · وعلى بعد قليل منا كانت قناة الاسماعيلية المؤدية الى بحيرة التمساح · حيث تتوسع هناك قناة السويس ، تلك القناة التي تربط المحيطات والبلدان والتي تقرر مصائر شعوب ودول لا يبعد مكانها عنا أكثر من مسيرة أسبوع واحد في سفينة سريعة ·

وفي الكراج ، الكائن عند نهاية حديقة المنزل ، كانت تقف السيارة التي استأجرتها مؤخرا لتنقلاتي · استأجرتها ولم أشتريها لأؤكد لمعارفي بأن اقامتي في القاهرة مؤقتة وليست دائمة · وكنت بها أنتقل أنا ودنيا ، بين الصالات الكبيرة وضواحي القاهرة ثم أعود الى هليوبولس التي يطلق عليها مصر الجديدة ·

عدت الى المنزل بعد ساعتين ، وأعطيت الخادمة اجازة لأسبوع ثم فتحت القاصة وحشوت محفظتي بالنقود ، ثم فتحت القاصة السفلى ، وأحرقت نسخ الرموز اللاسلكية وحملت حبة بيضاء لففتها بقطعة من الورق وأغلقت القاصتين ثم ألصقت الحبة البيضاء بمادة لاصقة على جانب الطاولة · وقلت في نفسي اذا اكتشفوا هويتي الحقيقية أثناء غيابي ، فسينتظرون لي هنا ، وعندها ، سأجد بلا شك الفرصة لأصل الى الطاولة وأنزع الحبة البيضاء وأبتلعها وبعد لحظات يكون (آرام أنوير) في عالم آخر · أغلقت المنزل وتوجهت الى المطار وكانت القيادة المصرية قد حجزت لي مكانا في الطائرة المتوجهة الى تركيا لأشتري من هناك أجهزة رادار حديثة لحساب سلاح الجو المصري ، وهي نفس أجهزة الرادار التي كانت قبل بضعة سنوات منصوبة على الحدود بين تركيا والاتحاد السوفياتي · أما اليوم فلم تعد قيمة لتلك الاجهزة في تركيا بعد أن وضعت على حدودها شبكة رادار واسعة وحديثة أكثر بالتعاون مع الدول المشتركة في حلف بغداد · وكانت أجهزة الرادار التركية السابقة لازمة لمصر لتكمل حزام الرادار على طول قناة السويس ومنطقة الدلتا · وكانت

القوات الانجليزية قد تركت في مصر بعد جلائها أجهزة رادار محلية فقط ، بينما رفضت الشقيقة الكبرى ـ الاتحاد السوفياتي ـ تزويد مصر بأجهزة الرادار بحجة أنه لا توجد في مصر القوى البشرية المؤهلة والمدربة على استخدام أجهزة الرادار الحديثة ٠

وصلت المطار في نهاية الوقت المحدد لاقلاع الطائرة ، ووصلت في أعقابي سيارة أخرى ٠ وخرج منها تاجر ممتلىء البدن وقطع تذكرة للسفر الى تركيا ، وصعدنا معا الى الطائرة ، وجلس كل منا في مكانه وفجأة شعرت أن هذ التاجر البدين سيكون بلا شك الظل الذي سيتبعني في كل مكان أزوره في تركيا ، وحتى عودتي الى مصر ٠ وكان علي أن أقوم بالسفر الى اسرائيل من تركيا لمقابلة المسؤولين عني فكيف أفعل وهذا الظل التاجر البدين يتبعني في كل مكان ٠ وكانت الرسالة الاخيرة التي وصلتني الى مصر من وكيل أعمالي (زيجفرد لاها) من سويسرا تتضمن نقطة صغيرة سوداء بحجم عين الذبابة ، ولما قمت بتكبير النقطة وحل رموزها علمت أن المسؤولين عنييطلبون عودتي الى اسرائيل حالا ٠

القسم الخامس والعشرون

قائمة أسلحة خان يونس

٤ يونيو ١٩٦٧ الساعة ٠٠ر١٣ حتى ٠٠ر١٤

على مقربة من مستعمرة جؤليم ، تحت شجرة سرو بجانب الطريق الرئيسي دار نقاش بين العريف قائد الحظيرة التابعة للفئة الثانية من السرية الثانية التابعة للكتيبة (٧٦٢) وبين مساعده الجندي ٠ وبعد أن انتهيا من وجبة الغداء التي وصلت من مطبخ الكتيبة جلسا يشربان القهوة بالوعاء الطويل الذي أحضرته أمس زوجة العريف وقال العريف لمساعده : ان هذا الوعاء الطويل يطلق عليه اسم (فنجان) بالعربية ٠ ورمق العريف الجندي بنظرة غاضبة وقال باصرار ، كلا ، ان اسمه فنجان وهذا هو المعنى الصحيح الدارج ، ولا تذكر مرة أخرى كلمة (كبريق) ، وضحك الجندي ملء شدقيه وقال ـ ابريق ـ وليس كبريق ـ ، ملأ العريف ملعقة صغيرة بالسكر وسكبها في الماء ، وفعل ذلك خمس مرات ثم فتح وعاء القهوة فصاح به الجندي : ليس الآن سيتلف طعم القهوة ونكهتها ، لا تضع القهوة في الماء الا بعد أن يغلي جيدا ٠ ورد عليه العريف قائلا ٠٠ أتريد أن تعلمني كيف تصنع القهوة ؟ الماء يجب أن يغلي ببطء بينما تكون القهوة ممزوجة فيه ، وبالغليان تذوب القهوة تماما في الماء ٠ ولكن الجندي هز رأسه يائسا وقال : ولكن بهذه

الطريقة ستتلف القهوة ، ولكن على كيفك افعـــل ما تريد ٠٠
وبالفعل فعل العريف ما أراد فسكب ثلاث معالق صغيرة مـــن
القهوة على الماء وعبقت في الانوف رائحة القهوة اللذيذة وعلت
على وجهيهما ابتسامة الرضا ثم تدلا من جلستهما على الحقائب
ثم قال الجندي : قهوة لذيذة ان لك حظا مع زوجتك ٠ أمـــا
زوجتي فهي غير ذلك تماما ، انها كالطفلة ٠ لا تريد أن تطبخ
ولا تريد أن ترتب البيت ، وانما تريد فقط أن تخرج تتنزه ،
ترقص ، وتمضي الوقت في السينما٠ قال العريف٠٠ اسمعني
جيدا ، أنتما لا تزالان شابان ، وليس لكما أطفال ، فمن الضروري
أن تغتنما الوقت وتتنزها ، لانه بعد أن ترزقا بالاطفال لن تستطيعا
الخروج وعندها ستندمان على كل فرصة ضاعت منكما ٠ ورد
الجندي ، صحيح ، ولكن أرجو أن تفهم ، أنا الان في الوقت
الحاضر لست في البيت ، وقد شرعت ترتب البيت بكل فـــن
وذوق ، وحينما حصلت على الاجازة أمس وعدت وقالت لـــي :
أنظر ما أجمل بيتنا ، فطوال الوقت أنتظر عودتك ٠ وحـــرك
العريف رأسه قائلا ٠٠ مسكينات ، خسارة عليهن حقا ، أخذوا
منهن جميع الازواج ، وتركوهن لوحدهن مع الاطفال والقلق ،
زوجتي تقول ان الناس في تل أبيب يقولون ان الحرب ستقع
ومعها ضحايا كبيرة ٠

ثم أزال وعاء القهوة عن النار لئلا تفور القهوة على الارض،
وعاد وقرّب الوعاء من جديد الى النار ، ثم أبعده وهكذا ظل يقربه
ويبعده والماء يغلي ، القهوة فوق النار ٠ وقال الجندي : لا أدري
في الواقع ما هي الفائدة من الحرب ؟ هل يفكرون بدخول الحرب
أم بابقائنا هنا حتى نهاية العالم ؟ وهدأت القهوة قليلا ، ثـــم
سكب العريف منها داخل الفناجين المصفوفة ثم قال لزملائه :
الحظيرة رقم واحد من يريد قهوة حقيقية ؟ كذلك دار نقاش آخر
في القاعدة الجوية قرب المدنية ٠ كان يدور داخل النادي عـــلى

الربيع بالقرب من غرفـــة الطوارىء وبداخـــل غرفة الطوارىء
نفسها ٠

انه لا يستطيع القدوم ، قالها للمرة العاشرة ضابط شاب
برتبة رئيس وهو ممدد على الارض انه معطل في جنوب افريقيا ،
وتوقفت الرحلات الجوية من هناك الينا فكيف يستطيع القدوم ؟
وقال ضابط آخر برتبة رائد ، دخيلكم يا أصدقائي ، ان امنون
سيصل الينا رأسا الى القاعدة قبل الموعد المحدد بخمس دقائق
حتى لو اضطره الامر الى السفر بطائرة من ورق ٠ اتركوا الكلام
وأعدوا له لباس الطيران ٠ وسأل ضابط آخر ، ولـــكن كيف
سيصل ، فليست أمامه أية امكانية ؟

في هذا الوقت خرج قائد القاعدة راكضا من غرفة القيادة
يلوح بيديه ويصرخ بصوت مرتفع ٠ قفز الطيارون على أقدامهم
يثبتون لباسهم الحربي وهم يركضون ومن بعيد وصل عـــدد
من الطيارين على دراجاتهم ٠ وتسأل الجميع ٠٠ ما الذي حدث ،
ماذا جرى ؟ وقال القائد مبتسما وسعيدا : لقد حضر ، انه في
الطريق الينا ٠ وقالوا من هو ماذا حدث ، من هو الذي حضر ؟
وقال القائد باسما ، أمنون ، لقد وصل مطار اللد قبل نصـــف
ساعة وهو في الطريق الينا ٠

وسأل ضابط برتبة رئيس مستغربا : ولكن لماذا كل هذا
الشوق والفرح له هل ينقصنا الطيارون ؟ الطيارون ؟ قالهـــا
ضابط أسمر برتبة رئيس وهو يقترب من قائد القاعدة ، هـــل
رأيت طائرة الميراج التي يقودها أمنون ؟ وكم طائرة ميج مرسومة
عليها ؟ التف الجميع حول القائد ، بينما صاح أحدهم قائـــلا ،
هناك هناك وعند باب مدخل المعسكر شوهدت سيارة تدلف الى
الداخل بعد أن أذن لها الحراس بالدخول ٠ وتوجهت السيارة
نحو الطيارين في الوقت الذي ركض الطيارون نحوها وفـــي
منتصف الطريق التقوا ووقفوا ٠ ثم هجم الطيارون على القادم

يحتضنوه ويقبلوه ، وأخيرا رفعوه عاليا على رؤوس أيديهم وساروا باتجاه غرفة القيادة · وقال ضابط ·· قلت لكم انه سيأتي كنت أعرف أن أمنون سيصل حتى ولو سباحة ·

وفي نفس اليوم وصلت الى خان يونس الاسلحة المخصصة لتوزيعها على السكان المدنيين · وفي غزة كان كل رجل يفاخر بالبندقية الجديدة التي يحملها · حتى في المدينة الفقيرة دير البلح جرى توزيع السلاح منذ يوم الجمعة على أثر خروج المصلين من المسجد · والآن جاء دور خان يونس · كان آلاف الرجال يتجمهرون في الميادين الرئيسية ينتظرون بفارغ الصبر في صفوف طويلة قرب مراكز توزيع السلاح · وما أن قاربت الساعة الثانية عشر ظهرا حتى تم توزيع أكثر من (٣٠٠٠) بندقية ، وكل من استلم بندقية كان ينضم الى قائمة السعداء الذين يسيرون في الشوارع باستمرار يلوحون بسلاحهم الى الاعلى ويهتفون ويصرخون · ومسيرتهم تلك التي ليست لها بداية ولا نهاية كانت تكبر وتتوسع وكلما ازداد توزيع السلاح· وهكذا أصبح موت اليهود وتحرير فلسطين في متناول اليد ·

كانت الجماهير تتزاحم بدون أن تعرف الى أين تتجه ، تملأ الطرق والشوارع تهتف كالرعد بصوت واحد ، تقلق المدينة بالضجة العالية · أصوات الرصاص كانت تلعلع هنا وهناك ، في احدى المرات أصيب رجل برصاصة فأخذوه الى مركز الاسعاف الذي أقيم كغيره من المراكز في المدارس والمساجد · واستمرت المظاهرة وهاجت الخواطر والنفوس ، فان تحرير فلسطين قاب قوسين أو أدنى ·

انتهى توزيع السلاح في مراكز التوزيع الخمسة عند غروب الشمس · وكل مواطن تسلم سلاحه كان يملأ نموذجا خاصا من جيش التحرير الفلسطيني · وكانت تبقى في كل

مركز نسخة واحدة من النموذج بينما ترسل النسخة الأولى الى المركز الرئيسي · الى الضابط المسؤول عن توزيع السلاح على المدنيين ، وكان ذلك الضابط وهو من جيش التحرير الفلسطيني يطلب من جميع المراكز أن تتأكد من وصول جميع النسخ اليه · ولما فحص الاوراق وتأكد من أن جميع النسخ وصلت اليه ،طواها بحرص وأدخلها في جيبه الداخلي ، ولما توجه الى منزله في المساء أضافها الى النسخ السابقة في بيته لتظل هناك · تنتظر قدوم جيش الدفاع الاسرائيلي ·فحينما تدخل قوات الجيش الاسرائيلي الى المدينة لن تواجه أية صعوبة في جمع الاسلحة من المدنيين فبواسطة هذه القوائم يستطيع الحاكم العسكري الاسرائيلي أن يعرف عنوان كل مواطن ونوع البندقية التي استلمها ·

ان هذا الضابط الذي جمع نسخ توزيع السلاح في منزله لن يستطيع العودة الى اسرائيل ، لقد أمضى بعيدا عن اسرائيل احدى عشر سنة يعمل في غزة ، تابعا في البداية لمنظمة التحرير ومن ثم عين ضابطا في جيش التحرير الفلسطيني · انه يضحك في نفسه الآن وهو يتصور منظر زملائه جنود جيش التحرير حينما يعرفون من هو وما هي هويته الحقيقية ·

وقال في نفسه ·· أرجو فقط أن لا أقتل في المظاهرات ، فعندما ستضيع جميع النسخ التي جمعتها · ثم قام وأخفى نسخ توزيع السلاح في مكان سري ، وأمر زوجته أن تعد له طعام العشاء ، ونظر اليها نظرة جانبية ، حينما تعرف أنه يهودي وليس مسلم · وهو من ناحيته اعتاد خلال السنوات العشر التي مضت على زواجهما اعتاد أن يحبها حقا ·

القسم السادس والعشرون

يجب أن أتصل بالجنرال محمد نجيب

٣ أغسطس ١٩٥٦ الساعة ٣٠ر٢٢ حتى ٤ أغسطس ١٩٥٦
الساعة ٠٠ر٠٢

كان الرجل الجالس قبالتي يتكلم طوال ربع ساعة بدون توقف وأنا أنصت لكل كلمة ، وشعرت كيف أن العزلة تمسك بي باحكام • لقد مات أستاذي فيشل الطويل ، وحل محله أقزام • وكان محدثي يكرر الحديث حول نفس الموضوع ويقلبه من كل جوانبه ، يشرح ميزاته وخصائله كأنه يريد أن يقنع بذلك نفسه قبل أن يقنعني أنا •

قال : الحراسة ضعيفة جدا ، ويمكن بسهولة تمرير ورقة صغيرة اليه •

قلت : أعرف ذلك ، فأنا الذي قدم لك معلومات حول الحراسة •

قال : صحيح ، ولذلك يكون ميسورا بالنسبة لك أن تصل اليه •

وقررت أن أضع حدا لحديثه • فليس من أجل هذا خاطرت بالقدوم من مصر عبر تركيا الى اسرائيل ليلا ، بعد أن أبقيت

(الظل) التاجر المصري البدين الذي تبعه الى تركيا ينتظر مخدوعا أمام باب غرفتي •

قلت لمحدثي •• لن يكون ميسورا علي الوصول اليه • والأهم من ذلك لن أغامر بكل ما أحرزته من تقدم في عملي خلال سنين من أجل عمل فارغ من هذا النوع •

وعندها تذكرت ما قاله لي فيشل : اذا فرضوا عليك أعمالا ثانوية غير مهمة ارفضها بكل شدة • واذا ضغطوا عليك ، اطلب مقابلتي شخصيا • واذا لم أكن موجودا اطلب مقابلة مدير المخابرات نفسه وحدثه عن ذلك •

ولكن فيشل الان ليس حيا • ومدير المخابرات نفسه هو الذي يطلب مني تنفيذ تلك الفكرة الخرقاء • قال لي محدثي (مساعد مدير المخابرات الاسرائيلية) نحن الذي نقرر ما اذا كان العمل فارغا أم لا •• و •• وأكملت بدلا منه قائلا : ربما ولكن يجب أن لا أقوم بمثل ذلك العمل ، فقبل مدة طلبتم من العملاء في القاهرة تنفيذ أعمال مماثلة تتعارض مع أعمالهم الرئيسية هناك ، وكلنا نعرف ماذا كانت النتيجة ، وأحب أن أقول لك بصراحة اذا كنتم تصرون على قيامي بذلك العمل ، فذلك يعني أنه ليس لكم عميل واحد صادق تعتمدون عليه في القاهرة غيري • فاذا كان الحال كذلك بالفعل ، فبالطبع يجب أن لا أخاطر أنا من أجل ذلك العمل ، أعود وأقول من أجل عمل فارغ• فرد علي قائلا _ حسنا _ عد الى غرفتك، سنلتقي هنا غدا بحضور مدير المخابرات نفسه • قلت •• ليست لي غرفة • ولن أقابلكم غدا ، وقلت لك : ان الظل ، يرابط على باب غرفتي في الفندق بتركيا بعد أن تسللت من الغرفة ليلا بدون أن يراني ويجب أن أعود الليلة الى هناك قبل أن يكتشف أنني لم أكن في الغرفة • ولذلك سأعود في الطائرة التي تقلع الى تركيا عند منتصف الليل وأتسلل الى غرفتي بدون أن يشعر بي أحد •

وفي الصباح سأخرج مع صديقتي ـ كأننا لم نفترق طوال الليل ـ ليلاحقنا الظل من جديد ·

ان الظل في الوقت الحاضر يعتقد أنني مع صديقتي نتبادل الحب والغرام ، وقد قلت لها ـ لصديقتي ـ أن تقف داخل الغرفة وهي مضاءة · ليراها الظل وهي تحتضن رأس التمثال الذي لا شك يحسبه الظل أنه رأسي أنا فما رأيك بذلك ؟ رد علي : يبدو لي كل ما ذكرته لا أهمية له ومن ناحية أخرى فان المهمة التي أكلفك بها تربطها علاقة كبيرة بالمهمة الرئيسية التي تقوم فيها بالقاهرة · قلت غاضبا ·· ان المهمة الرئيسية لي في القاهرة هي اقامة علاقات وثيقة مع كبار قادة سلاح الجو المصري ، وتقديم التقارير المطلوبة والمعلومات اليكم · وهذا كل شيء · وهذه مهمة كبرى شاقة وهي بنفس الوقت لا تكلفكم شيء · ومن ناحية أخرى أقول لك : ان الفكرة التي تعملون لتنفيذها وهي اعادة الجنرال محمد نجيب الى كرسي الحكم فكرة خاطئة لان الرجل نفسه عاجز تماما · لقد كان محمد نجيب ولا يزال مجرد لعبة بأيدي ضباط الثورة · فهو لم يكن يعرف الموعد الذي تقرر للقيام بالثورة ، وكل ما في الامر أن الضباط الاحرار كانوا بحاجة له ، بمثابة أب لهم فقط · هل تعرف من الذي أخبر محمد نجيب ليلة الثالث والعشرين من يونيو بقيام الثورة ونجاحها ؟ انهم الانجليز وهم الذين استدعوه ليكبح جماح ضباطه ، واليوم وهو معتقل في منزله تحت الحراسة مجرد ببغاء منتفخة في قفص · فهل مثل هذا الشخص يسعى الفرنسيون لاعادته الى الحكم ؟ ان حراسه سيقتلوه قبل أن يتمكنوا من اطلاق سراحه · ولو فرضنا أنكم نجحتم في اطلاق سراحه فانه لن يبدو حتى كلعبة وانما كلعبة من قش · وأنا لن أحاول الاتصال به ولن أغامر بكل ما أحرزته من نجاح من أجل فكرة مهبولة ·

كانت هذه أطول خطبة القيتها في حياتي ، وخلالها كنت أشتاط غضبا ولاول مرة أضرب الطاولة بيدي · لقد مضت سنوات طويلة وأنا بحكم عملي أنصت ولا أتكلم · ولكن في هذه الليلة الوحيدة كنت أحس أن فاصلا كبيرا يقوم بيني وبين الماضي ، كنت أحس نفسي غريبا في وطني الام ، أسرع في العودة الى البلد الذي يكتنفني فيه الخوف باستمرار · وفي تلك الليلة وجدت المتنفس للتنفيس عن كل ما اختزن في قلبي خلال السنين ، منذ أن أدخلني فيشل الى الفراش مع فتاة واستدعى صديقتي الحامل ـ نعومي ـ لتراني في الفراش مع امرأة غيرها · ولكنني لا أستطيع أن أغضب علي فيشل لأن فيشل كان فوق ذلك ·

بدأ مساعد مدير المخابرات يتحدث الآن في صلب الموضوع وقال :

تهمنا معلومات مفصلة جدا عن القوات المصرية في سيناء ، المطارات، أنواع الاسلحة والطائرات، توزيع القوات الارضية بالتفصيل اذا استطعت · والاهم الحصول على خرائط دقيقة للمعسكرات والمواقع والطرق الصالحة للمرور والمناطق غير الصالحة للحركة ، والخطط الاستراتيجية المصرية بالنسبة للحرب في سيناء · ان هذا الرجل يكاد يفقدني صوابي · انه يطلب مني معلومات مفصلة أرسلتها اليه من مصر قبل بضعة أسابيع فقط · فما الذي حدث له ؟

قلت له بحذر : بالنسبة للمطارات فقد أرسلت لكم معلومات وافية عنها ، أما بخصوص أنواع الطائرات في سيناء فليس في سيناء طائرات بالمرة فيما عدا طائرات نقل قديمة · كذلك أبلغت أماكن توزيع السلاح الجوي المصري وأبديت لكم رأيي الشخصي في السلاح الجوي ككل وقلت انه ليس لهم

سلاح جوي حقيقي تقريبا · ففي المرحلة الحالية لا تزال الصفقة
التشيكية تشكل عبئا ثقيلا عليهم · وبخصوص خططهم
الاستراتيجية فقد أبلغتكم بذلك وقلت ان التحصينات الموجودة
تماما على الحدود ، وسيقوم سلاح الجو المصري بحمايتها من
بعيد بواسطة طائرات الميج · ولكن ليس لديهم سوى سربان
صالحان ، أحدهما في مطار (كبريت) والثاني في أبو صوير
وعلاوة على ذلك فان طائرة ميج ١٥ لا تناسب حسب رأيي ورأي
خبراء الطيران مثل هذه الاعمال فهذه الطائرة مخصصة فقط
لمقاتلة القاذفات ، فنيران مدافعها بطيئة ولا يستطيع الطيار
استخدامها الا وهو يطير على ارتفاع منخفض وبسرعة بطيئة ·
كما أن كمية الذخيرة التي تحملها هذه الطائرة قليلة ، وتنقصها
أجهزة أوتوماتيكية كثيرة بحيث أنه حينما تشتبك الطائرة في
معركة جوية أو باطلاق النار على قوات أرضية يكون الطيار
مشغولا بتوجيه الطائرة ولا يمكن لنيرانه أن تصيب أو تفيد ·
وبالاجمال أعتقد أن المصريين ليسوا مستعدين حتى الان للحرب
أية حرب على نطاق واسع حقيقي · ولما انتهيت قال محدثي : ان
آراءك هذه لم توافق عليها المخابرات ، وقال الاختصاصيون بأن
الجيش المصري في سيناء يشكل خطرا على وجودنا ونريد منك
أن تأخذ معك الى مصر جهاز ارسال وحينما تبدأ الامور بالتوتر ،
سنجري معك عدة اتصالات في الاسبوع ·

لم أتمكن من اللحاق بالطائرة التي توجهت الى تركيا في
منتصف الليل · فقد أمضيت ساعة كاملة أتعلم طريقة استخدام
جهاز الارسال اللاسلكي الذي سلم الي والذي لم أعرف بأية
وسيلة سأدخله الى مصر · ومع أن الجهاز كان صغير الحجم
بالنسبة لقوته الا أنه ملأ حقيبة غير صغيرة وهو مفكك الاقسام ·

لقد حسب فيشل الحساب لكل هذا في حينه بل حسب
حساب صدور أوامر وتعليمات خرقاء الي ، ولكن فيشل لا

يستطيع الان أن يمنع المسؤولين عني من القيام بالعمل الذي
تتحول اليه أجهزة المخابرات في كل بلدان العالم اذا كان رؤساء
تلك الاجهزة أغبياء ، سذج ، والواقع أن جميع أجهزة المخابرات
وحتى الباردة المزاج منها يتهددها خطر وجود رؤساء أغبياء لها ·

وهكذا كان المسؤولين عني يحبون أن يحسوا بأن لهم
جاسوسا في مصر ولذلك من الضروري أن يكون معه جهاز
لاسلكي · ويبدو أن وسيلة الاتصال البسيطة المأمونة بواسطة
رسائل الى وكيلي « زيجفريد لاها » لم تكن كافية لاشباع
رغباتهم وشعورهم بأنه ينقصهم شيء ما ·

ومع ذلك وجدت أن معهم الحق حينما قالوا بأن وسيلة
الاتصال البسيطة وهي رسائلي الى (زيجفريد لاها) لا تعتبر
وسيلة سريعة ·

والان والساعة الثانية بعد منتصف الليل دخلت الطائرة
المتوجهة الى تركيا عن طريق قبرص وبيدي حقيبة مليئة بمادة
هي أخطر في نظر الكثيرين من مادة (النيتروجليسرين) ·

القسم السابع والعشرون

كيف هرّبت جهاز اللاسلكي إلى مصر

٢٥ أغسطس ١٩٥٦ الساعة ١٠٫٠٠ حتى الساعة ١٢٫١٥

(حسب توقيت القاهرة)

يقع المطار الصغير في مدينة دمياط على شاطىء البحر المتوسط في طرف نهاية بحيرة المنزلة • وهذه البحيرة عبارة عن مستنقع كبير ، أكبر مستنقع في منطقة الدلتا • وتدخل مياه البحر الى هذه البحيرة التي تحيط بها أراضي خصبة بسبب وجود الطمي الذي يجرفه اليها نهر النيل من جبال الحبشة على بعد ستة آلاف كيلومتر • ولا تعيش في البحيرة سوى الاسماك وعصافير البحر وكذلك الصيادين • ولكن في صباح اليوم لم يسمح لصيادي الاسماك بالاقتراب من الطرف الغربي لبحيرة المنزلة حيث المطار الصغير • وقدم الى المطار في ذلك اليوم كبار الشخصيات لاستقبال سفينة تركية ، يجري سحبها الى المياه بقارب بخاري •

وكان من بين تلك الشخصيات التي حضرت لتستقبل حمولة السفينة القادمة من تركيا قائد سلاح الجو المصري محمد صدقي محمود يرافقه البكباشي جمال الدين محمود عفيفي من فرع العمليات الجوية ، وصديقي لبيب مدير فرع الدفاع الجوي،

والصديقين اللذين تعرفت عليهما في باريس قديما وهما البكباشي محمد مدكور أبو العز ، والصاغ عبد الحميد عبد السلام دغيري • كان هؤلاء هم المسيطرون على سلاح الجو وجاؤوا الآن ليروا الحمولة الثمينة التي أحضرتها من تركيا ، ألا وهي أجهزة الرادار التي ستكمل شبكة الدفاع عن القناة بوجه العدوان الانجلو فرنسي المتوقع في كل لحظة • مكثت في تركيا أربعة أسابيع تقريبا أبحث عن أجهزة الرادار ، وخلال ذلك أهرب بعض الاسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة الى جبال كردستان • أما التاجر البدين (الظل) الذي كان يتعقبني طوال الوقت سيقدم ولا شك تقارير في غير صالحي بسبب ارسال السلاح الى كردستان كما أن تقاريره ستوضح أيضا مدى حبي بالمال والنساء •

فأنا بعيد عن موطني ، أتجول معظم الوقت في مدينة كبيرة ، ولذلك سمحت لنفسي بأن تظهر مدى شغفي بملذات هذا العالم •

كانت الاموال تسيل في يدي كنهر النيل الذي لا نهاية لمياهه ، وكل فتاة مشهورة في أنقرة ، فتاة تحترم نفسها ، رأت من واجبها أن تساهم في تبذير أموالي • ولكن الآن تركت كل ذلك ورائي ، فأنا أقف حاليا على ظهر السفينة (أ/ق) أناضوليا، أنظر بهدوء للمياه الزرقاء التي تخف زرقتها كلما اقتربنا من الشاطىء ، الذي تتدفق اليه بكل عام ملايين الاطنان من الطمي • واقتربت السفينة من المرسى الصغير ، وكنت الوح بيدي الى أصدقائي الذين كانوا ردوا علي بحركات حماسية تعبيرا عن الفرح • نزلت الى الشاطىء ، وتصافحنا بحرارة ،وكأن أكثرهم حماسا صديقي لبيب الذي عاد وقال : يا أنور بك ، أنت دائما تقف معنا عند الشدة • أنت صديق حميم للجمهورية المصرية • ربت على كتفيه وابتسمت وقلت : يا محمد لبيب يا بؤبؤ عيني ، لا تركن على أصدقاء مثلي ، فأنا على استعداد دائما

لابيعك مقابل صفقة سلاح كبيرة • ضحك الحضور **فيما عدا** محمد مدكور أبو العز الذي ظل طيلة الوقت مقطبا وجهه ، وبعد ذلك الوقت باحدى عشرة سنة حينما اقتيدوا جميعهم الى السجن العسكري ما عدا أبو العز ، كان لديهم الوقت الكافي ليتأملوا انذاري ذاك • ولكنهم كبقية الناس لم يستمعوا الى انذاري الحكيم • وضحكنا كلنا بصوت مرتفع ، وقال لي محمد صدقي محمود •• بعد أن تكمل جميع الاستعدادات ، ستكون في ضيافتي وسنخرج معا الى بالقي (مكان نزهة جميل غرب الاسكندرية) وسنعطي بنات الاسكندرية فرصة الحياة • ومرة أخرى ضحكنا ، فيما عدا أبو العز • وثارت مخاوفي القديمة منه ، وقررت ، في قلبي أن أبحث عن طريق لابعاده ، واقصائه عن المكان الذي فيه تتقرر شؤون سلاح الجو • وكنت أعرف أن سلاح الجو المصري قادر على التقدم بدون أبو العز •

تم انزال الصناديق الكبيرة التي تحتوي على أجزاء أجهزة الرادار الثمينة بحذر كبير من السفينة الى المرسى • وكان من بينها صندوق واحد لا يتطلب انزاله الحذر الكبير • وعلى ذلك الصندوق كتبت بحروف بارزة كلمات (أنوير – شخصي – هليوبولس / مصر) وفي داخل هذا الصندوق تتمدد زجاجات الويسكي الفاخر ، وجرى تحميل الصندوق على سيارة شحن صغيرة بجانب حقائبي المحشوة بالملابس • وقيل للسائق بأن يوصل هذه الحمولة حتى باب منزلي ، وينتظر قدومي هناك • وتحركت أنا نفسي بسيارة صدقي محمود ، وطوال الطريق كان يحدثني عن احتمال الغزو المتوقع • فقد كانت مصر قد أممت القناة والانجليز والفرنسيون يعتزمون استرجاعها بقوة السلاح عن طريق غزو منسق بين الاسلحة المصفحة والمشاة من ليبيا والسلاح البحري من قبرص • ولم يذكر صدقي محمود شيئا عن العدو الاسرائيلي •

أدخلت بمساعدة سائق الشاحنة ومعاونه صندوق

المشروبات الى شرفة مطبخ المنزل • وفتحت الصندوق بواسطة فأس ووزعت على الحضور زجاجة لكل واحد بالرغم من تظاهرهم بالرفض • وعندما انصرفوا فككت بقية أجزاء الصندوق وظهرت علب كبيرة من الكرتون مكتوب عليها اسم الشركة التي تنتج الويسكي وعليها صورة الرجل الاسكتلندي بتنورته التقليدية وهو يرقص على أنغام المزمار • أدخلت الشراب الى المطبخ وأغلقت جميع الابواب وفتحت احدى علب الكرتون وكانت عليها علامة خاصة ، واخرجت ما بداخلها وكان جهاز لاسلكي يعمل على موجة قصيرة وبقوة كبيرة ، وسلك الانتين (هوائي للجهاز) ويمكن وضعه داخل الغرفة ، وبقية التوابع الاخرى ثم فتحت القاصة الحديدية في جدار المنزل ، تفحصتها فعرفت ان الايدي في غيابي عبثت بها ، أما القاصة الحديدية السفلى فلم يهتد اليها أحد • فتحتها وأدخلت فيها الجهاز وتوابعه ، وأعدت اغلاقها واستلقيت على فراشي • ان طريقا طويلا قد قطعته في العامين الاخيرين وانا الان متعب للغاية • وفي أحلامي رأيت الجنرال محمد نجيب يمد لي يده من فوق سور منزله المحجوز فيه • رأيت أنه كان يعلم بأن هذه الفرصة الاخيرة له ليهرب من سجنه ويعود ليقف على رأس الثورة التي قام بها ويعود بها الى الطريق الذي انحرفت عنه • ولكنه كان يعرف كذلك بأنني لن أمد له يدي • ورأيت التعب باد عليه وأنه أخذ يتزحلق الى الوراء ليقع في حديقة منزله • ولم أستطع أن أفعل شيئا ، فهناك عند زاوية البيت المجاور رأيت فيشل الطويل والكولونيل ابو العز ينظرون الي • لم أستغرب وقوفهما معا ، ولا يحاول أحدهما التستر من الثاني، ذلك لأن هدفا واحدا لهما وهو أن يدفعا آرام أنوير الى الامام بكل قوة •

صحوت من نومي ، وأنا أتلمس بيدي أرداف دنيا وقلت لها : تعالي هيا نهرب من هنا ، لنذهب الى منتزه بالقي ، فهناك ينتظرنا صدقي محمود ومعه جميع فاتنات الاسكندرية •

القسم الثامن والعشرون

في أحضان الفاتنة القبطية

٨ اكتوبر ١٩٥٦ الساعة ١٠ر٨ حتى ٣٠ر١٤
(حسب توقيت القاهرة)

لقد جرى تصليح وتوسيع الطريق الواصل بين القاهرة وأسوان، واستغرق العمل فيه مدة طويلة بدأت في صيف سنة ١٩٥٥ ، وعندها بدأت فكرة انشاء السد العالي • هذا السد الذي يهدف انشاؤه الى زيادة مخزون المياه بمعدل ٢٥ ضعفا عن المخزون الحالي من مياه نهر النيل • والمؤكد أن انشاء السد سيستغرق مدة طويلة • والعمل في السد يتطلب الاتصال الدائم بين مكان السد والعاصمة ـ القاهرة • ولهذا الغرض جرى تصليح وتوسيع الطريق ، ووصلت الاتصال حتى الآن الى مدينة (قنا) وعند هذه المدينة ينحرف نهر النيل بعد أن يسير باتجاه الشرق على طول عشرات الكيلومترات بخط مستقيم نحو الاقصر • وعند الاقصر يعود النهر الى التعرج نحو الغرب ثم يعود ويستقيم حيث يعبر الصحراء الى الجنوب باتجاه أسوان ومنها الى قلب منطقة خط الاستواء •

كانت سيارة (الشوفروليت) الكبيرة التي استخدمها وهي من نفس النوع الذي يستخدمه الرئيس عبد الناصر نفسه كانت تلتهم الطريق بسرعة كبيرة وأصوات محركها تختلط

بأصوات احتكاك العجلات بالشارع • كنا نسير نحو الجنوب في منطقة زراعية تكثر فيها القوات الخاصة بالري والتي تشرف عليها الحكومة المصرية نفسها • ومررنا على عشرات الجسور فوق قنوات المياه • وكان الفلاحون ينتشرون في المزارع يرون من مياه النيل حقول القطن والارز • وقلت في نفسي : لو كان الرئيس عبد الناصر قد انصرف الى انشاء السد العالي فقط ولم ينصرف الى شراء القاذفات النفاثة ، لكانت بلاده قد انتعشت وازدهرت وكان بوسع المهندسين الاسرائيليين أن يقيموا هناك الصناعات الخفيفة والثقيلة • وقطعت هذا الحديث الذي كان يدور بيني وبين نفسي ، وأدركت أنني أرتكب به خطأ كبيرا ، ولكن السبب في ذلك كانت (صوفي) •

صوفي ياسين •• الفاتنة القبطية ، التي أمضي معها منذ حوالي الشهر عدة ساعات في كل يوم تقريبا • وفي الايام التي يتعذر علي لقاءها كنت أحس أن شوقي اليها ينقلب الى مرض حقيقي في سائر أنحاء جسدي •

قابلتها في حفلة نادي الجزيرة ، نادي الضباط الفخم ، الذي يقوم على جزيرة في وسط نهر النيل مقابل القاهرة • وعرفنا على بعض في ذلك النادي ضابط مصري برتبة رئيس طويل القامة من قاعدة الاقصر الجوية ، وهو قائد الجناح (صالح عبد النبي) • وأتذكر ذلك اليوم جيدا فقد كان في اليوم العاشر من شهر سبتمبر ، بعد أسبوعين من عودتي من تركيا حاملا أجهزة الرادار والمدافع المضادة للطائرات التي اشتريتها من تركيا • وكان الجو الذي يسود القاهرة ، جو ترقب وتوقع للضربة الكبيرة التي يمكن ان تنزل في أية لحظة • ولم يقم أحد من المسؤولين في القاهرة بوضع خطة دفاعية ، اذ لم يكن أحد يعرف من أين ستنزل الضربة ، وماذا يجب أن يحضر لها • كان الجميع يشعرون بأنه حينما تنزل الضربة سيجدون الطريقة التي

يردون بها عليها ·

ان هذا الشعب الغارق منذ مئات الاجيال في أوحال نهر النيل والجندي الساذج الذي سيحارب عند صدور الاوامر اليه، والضباط الذين جرى تدريبهم سنوات طويلة ، جميعهم سيهبون ضد الغزاة حينما يعرفون من أين سيأتي الغزاة ·و على الكثيرين في القاهرة نزل شعور كئيب ، شعورهم بالساعة الاخيرة لحياتهم · وكان آلاف المواطنين الاجانب يتجمعون على أبواب وزارة الداخلية المصرية ليحصلوا على أذونات السفر ومغادرة البلاد · عائلات كثيرة كان أجدادها من أول المستوطنين في القاهرة ، يوم كانت مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ربع مليون نسمة ، أخذت تنهي أعمالها في المدينة وتبيع عقاراتها بأبخس الاثمان وترحل · ومع أن جميع المواطنين المصريين كانوا يتمنون رحيل هؤلاء الاجانب الا ان هؤلاء الاجانب كانوا يقفون على أبواب وزارة الداخلية يرجون ويتوسلون اعطاءهم أذونات المغادرة والرحيل · فان وزارة الداخلية برئاسة (السفاح) وهو اللقب الذي كان يطلقه معظم أهالي القاهرة على وزير الداخلية زكريا عبد المجيد محي الدين، لم تفوت أية مناسبة لتثبت للاجانب مدى قسوة الجمهورية المصرية ·

ورحل الاجانب ، وخلفوا وراءهم أحياء كاملة في القاهرة خالية ، وأقيمت الخنادق من أكياس الرمل في المواقع والمنشآت الحساسة والحيوية في المدينة ، والاجتماعات تتوالى بين كبار قادة الجيش ·

ولكن أحدا منهم لم يفعل شيئا · الجميع كان بانتظار الضربة التي ستنزل تماما كالمرأة التي استسلمت لغاصبيها قبل أن يصلوا اليها ، وبعد ان فعلوا بها ما أرادوا ، هبت لتنتقم من شرفها المثلوم ·

أعلنت حالة الطوارىء في سلاح الجو المصري في بداية شهر سبتمبر ، ثم ألغيت بعد أسبوع حينما لم يقع أي حادث · وفي ذلك اليوم اجتمعنا في حفلة بنادي الجزيرة · دخلت النادي بصحبة الرائد لبيب وفتاته · ولم تكن معي في تلك الحفلة صديقتي (دنيا) بسبب انشغالها في أحد الأدوار بفلم سينمائي جديد يدور حول قصة غرام وطنية ، وكانت دنيا تأمل في أن يرفعها دورها الرئيسي في هذا الفيلم الى مصاف نجوم السينما الشهيرات · جلست في النادي ، وأنا أحاول أن أخفي مشاعر القلق · وكان يبدو لي كل شيء كأحلام ضائعة ، لا يخضع لحكم المنطق ، ولا يستطيع ان يصمد امام المنطق · ان اشياء كثيرة تعلمتها من (فيشل) ولكن كانت تنقصني رباطة جأشه ومقدرته على تقبل كل حالة وأمر واقع ومواجهتهما كما يجب · كان فيشل يستطيع اذا توفر له الوقت الكافي ، أن يقوم بتنظيم جهاز مخابرات نقال في أي مكان في الدنيا · ولكنه أنفق جميع علومه علي أنا · وأنا لم أستطع أن أفهم فكرة اشتراكي في مؤامرة تهدف القضاء على جيش ، ليس قائما تقريبا ، كما أنني عجزت عن تكييف نفسي على ما يجري هنا · انتظار سلبي عدم فعل اي شيء لمواجهة حرب مؤكدة الوقوع · هل هو دينهم الذي جعل منهم لا مبالين بهذا الشكل ؟ ولكني أعرف أن ضباط الجيش ليسوا متمسكين بأهداف الدين · اذن هل السبب في ذلك هو تعلقهم واعتمادهم على خيرات النيل ، ذلك الاعتماد القائم منذ بداية تاريخهم ، وبذلك شعروا بعدم قدرتهم على محاربة المنتظر ؟؟ ولكني أعرف أن ضباط الجيش ابتعدوا كثيرا عن آبائهم الفلاحين ·

شعرت أنني أقوم بمهمة شيطانية ضد جيش من الرياح · وفي تلك اللحظة ومن خلال الاصوات الغنائية ، سمعت صوت عبد النبي الذي أميزه عن غيره بسهولة يقول : أنوير بك سعيدة:

سعيدة يا صالح قلتها بفرح ، ولقـد تعلمت انه من الضروري مناداة كل انسان باسمه الشخصي دون اضافة اللقب ، اذا كان ذلك ممكنا ، وذلك لأجل خلق اتصال شخصي فوري معه • وها أنذا الان أتصرف كما تعلمت •

كيف حالك يا آرام ؟ ، قال صالح وبدون أن ينتظر جوابي استطرد اسمح لي أن أقدم لك (صوفي ياسين) طالبة جامعية في كلية الآثار وهي تحاول أن تبرهن علي ، وهنا لم أسمع بقية كلامه ، فقد رفعت وجهي ، وكانت تقف أمامي ، بصورة قريبة ومجسدة فتاة أحلامي • كيف أعرف أن لوني قد امتقع ، وشعرت بأن أنفاسي قد انسلخت مني ، ولكن عجزت عن فعل أي شيء • وضغطت بيدي على الطاولة حتى آلمتني وأنا أحـاول أن أتظاهر بالابتسام • وأخيرا نجحت ، وابتسمت ، وأدركت خلال ذلك أن شفتي السفلى قد تحركت بحركة غير محمـــودة ، وعرفت بعد ذلك أن السبب هو وقوعي تحت تأثير وسحر هذه الفاتنة التي قلدت شفتي حركات شفتها الناضجة بدون ارادتي• كانت لها شفتان ممتلئتان ، لذيذتان ، والسفلى منهما مسترخية بعض الشيء الى الاسفل • وأذكر أنني في ذلك الموقف لم أفكر الا بشيء واحد وهو أنني كنت على استعداد لدفع أي ثمن ، من أجل تقبيل هاتين الشفتين ، وأحس بأنهما تستجيبان لقبلتي • ابتسمت لي ، وابتسامة خفيفة ، فثارت مشاعري ، وتطلعت من طرف عيني الى صالح عبد النبي ، كنت أتخيل أنه يسخر مني ، ولكن سرعان ما عاد فكري الى التركيز في الفتاة الفاتنة الساحرة التي أراها حقيقة أمامي •

قمت وصافحتها وقلت (آرام أنوير) يا ستويسعدني التعرف بك (صوفى ياسين) قالت بصوت ناعم يثير الشهوة ، تتراقص فيه الحنيات ، واستطردت : سمعت الكثير عنك يا أنوير بك وأنا أتمنى منذ مدة أن أراك • شـــعرت أن نغمـــة

غريبة تحاول الاختلاط بصوتها الناعم ، صوت جرس الانذار ولكني لم أسمع سوى نغمات جرس فضي • وقفت قريبا منها ، جبهتها العالية مقابل ذقني وصدرها المرتفــع يلامس قميصي الحريري • واستطعت مرة اخرى أن أسيطر على حواسي ، تلك الحواس الخمس التي جهد فيشدل كثيرا في تصويرها وجعلها وسائل حربية ممتازة • لن أكشف سرا بالطبع قلت وأنا أحاول أن أعطي صوتي نبرة جادة ، اذا قلت لك بأنك جميلة• كلا قالت صوفي ، فهذا أول أمر يقوله لي كل رجل • اذن قلت سأكشف لك سرا آخر أنت مدينة لي بشيء ما ، بماذا ؟ قالت مندهشة • أنت مدينة لي بقلبي ، فقد أخذتيه مني حينما وقع نظري عليك ، وضحكنا ولكن قلبي لم يضحك لانه كان أسيرا بالفعل •

في ساعة متأخرة من تلك الليلة وبعد أن رقصنا عدة مرات ملتصقين ببعض في جميع أجزاء جسدينا وروحينا ، قالت لـي صوفي فجأة : دعني أذهب الى منزلي ، انني أشتهيك جدا ، ولكن ليس الليلة ، في أول يوم لتعارفنا على بعض • وكانت هذه أول مرة في تاريخ علاقاتي بالنساء أرضخ فيها لرغبة امرأة بـــدون جدال •

بالقرب من مدينة الاسكندرية ، وهي الميناء الذي أقامـــه (اسكندر المقدوني) ورأى أيام ازدهار أيام حكم الرومان، كما رأى أيام فقر قبل أجيال ، تقع بحيرة (مريوط) • وتعتبر الشواطىء الجنوبية لهذه البحيرة مكانا ممتازا للصيد • فالعصافير تنتشر بكثرة بين الاشجار ، ومن جميع الانواع • وبعد وقت قليل من افتراقي عن صوفي في نادي الجزيرة وصل عدة اشخاص الى شاطىء بحيرة (مريوط) • أحدهم ظل داخل السيارة الفخمة ، بينما اختبأ أربعة بين الاشجار • وشخص سادس كان طويل القامة رفيعها ، يرتدي بدلة أنيقة وعلى رأسه قبعة ذات غطاء للجيش ، ظل ظاهرا دون البقية، وكان يحمل بندقية صيد ويربط

على وسطه حزام الخراطيش ، وعلى عنقه حزام المنظار • راح يسير هذا الشخص بين الشجيرات ببطء حتى عثر على مطلبه ـ عصفور كبير ملون على غصن شجرة • وما كاد العصفور يهم بالفرار حتى بدأ هذا الرجل ينقر بلسانه مقلدا صوت العصفور، فهدأ العصفور في مكانه ، وهنا أطلق الرجل النار عليه وأسقطه على الارض وبسبب العيار الناري سقطت أيضا القبعة عن رأس الرجل وظهر وجهه لي تماما •

كان الرجل زكريا محي الدين بعينه ، وزير الداخلية المصرية ، ورئيس جهاز المخابرات والتجسس الذي يلقبه الشعب باسم (السفاح) بينما يلقبه جميع أصدقائه باسم (السكاكت)•

وفي مساء ذلك اليوم ، وأذكر أنه يوم ١١ سبتمبر حضرت الى جامعة عين شمس لآخذ صوفي بعد انتهاء دراستها • وقد تأسست هذه الجامعة قبل سنوات ، ولكن الحكومة حرصت على العناية بها وتطويرها لان الجامعة القديمة ، جامعة القاهرة لم يعد فيها متسع للطلاب • ومع ان وزارة التربية والتعليم المصرية وجهت جل اهتمامها على العلوم الا أنه أقيمت في هذه الجامعة كلية للآثار •

كانت مئات الطلبة والطالبات يخرجون من الكلية الى الخارج ومن خلال نافذة السيارة رأيتها قادمة ، تختال زهوا ، تختلف عن الجميع وتسير بدون الحركات المفتعلة المعروفة عن جميع النساء المصريات • أنوثتها الشابة ، الناضجة ، كانت تتفجر من وجهها الفتان • جبهتها المرتفعة ، أكتافها الدقيقة عينيها العميقتين الكبيرتين ، كل ذلك كان يدل على جمالها وسمو نفسها •

شفتاها المتلثلثتان ، وذقنها ، وكل شيء فيها كان يدل على مدى نضارتها وشهوتها كامرأة ، تماما كما كنت أتمنى • وحينما

شاهدتني ، افترقت عن زميلاتها وركضت باتجاهي ، وفستانها يداعب مفاتن ساقيها • وفجأة تقطب جبيني وتذكر ان صديقتي السابقة التي تركتها في اسرائيل ، كانت تركض بهذا الشكل ، بنفس الطريقة •

سأناديك ياسمين •• قلت لها في نفس الليلة في غرفتي، في سريري المزدوج الواسع ، سأناديك باسم الزهرة التي تنبعث منها رائحة شهية وأوراقها دائما خضراء ، الزهرة التي تأخذ منها أجود العطور ، ولكن جذعها بحاجة الى ركيزة ، حتى تزهر كما يجب •

كان يجب أن تكون شاعرا رقيقا ، قالت لي صوفي وهي تضحك • ثم عادت والتصقت بي ، شفتاها المتلثلثتان تبحثان بنهم عن شفتي •

مرت أربعة أسابيع ، والناس يعيشون في شبح الغزو ، أربعة أسابيع في عالم خيالي حاول فيه انسان برتبة كولونيل وجد نفسه زعيما للعالم العربي أن يضع شعبا من الفلاحين والتجار في مقابل انجازات القرن العشرين ، يساعدوه في ذلك ضباط يقضون ايامهم ولياليهم في النوادي والمواخير •

وفي المطارات المحيطة بالقاهرة ، كانت تقف الى جانب بعضها البعض الطائرات النفاثة والطائرات القديمة البريطانية ، ومستودعات الاسلحة والذخيرة ، وسيارات الوقود والاجهزة الالكترونية التي لم يكن أحد يعرف استخدامها • ولم يشأ أحد أن يفرق هذه المواد عن بعضها وهي التي ستكون أول هدف للغارات الجوية • كما لم يشأ أحد أن يقيم الحواجز قرب القناة ، تلك القناة التي أثار تأميمها العالم بأسره • وأنا كنت في عالم خيالي خاص بي • عالم يمكن ان ينمو فيه حب حقيقي بين جاسوس اسرائيلي وطالبة قبطية • عالم يمكن ان يتحقق فيه

اشياء فوق ارادتنا ٠

أربعة أسابيع مرت ، ولم يقع الغزو ، ولذلك قررنا اليوم
أن نسافر الى مدينة الآثار (قبطس الواقعة بين قنا والاقصر ٠
ففي هذه المدينة اكتشفت قبل سنين بعيدة آثار هامة منها عمود
من (الجرانيت) محفور عليه اسم (تحتميس الثالث) وهو
الملك الذي كان في عهده يسكن أجدادي القدماء في مصر ٠ وكانت
تجري في هذه المدينة حفريات مختلفة ، ورغبت صوفي في أن
أشاهد المكان على أمل أن تشترك مستقبلا في الوفد الذي سيحضر
لاكمال الحفريات الاثرية في هذه المدينة ٠

كانت السيارة تلتهم الطريق ، وكانت صوفي تجلس
بجانبي تماما كأنها في حضني ٠ ويدها كانت تداعب بلطف
فخذاي ٠ قلت لها : احذري لا استطيع قيادة السيارة بهذه
الحالة ، فربما يقع لنا حادث ٠

قالت ٠٠ لا أخاف الحوادث ، أقصى شيء يمكن ان يصيبني
فيها هو الموت ، قلت : بل ربما يتحطم في الحادث أنفك أو
فمك اللذيذ ٠ ولكن صوفي ، مثلها مثل ضباط سلاح الجو
المصريين لم تهتم بتحذيري ٠

غادرنا منزلي صباحا فور استماعنا الى أنباء الساعة الثامنة
صباحا وبعد أن عرفنا ان العدوان المرتقب لم يقع ٠ تناولنا طعام
الغداء في مطعم صغير في مدينة قنا ، أكلنا (الدوالي) أوراق
العنب المحشوة بالارز واللحم والثوم ، وشربنا القهوة المصرية ٠
ووصلنا مدينة (قبطس) حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ٠
وخلال الطريق الطويل حدثتني صوفي عن الاقباط في مصر ،
وهم بقايا النصارى الذين اعتنقوا المسيحية قبل اكثر من ١٥٠٠
عام ورفضوا استبدال دينهم بالدين الاسلامي ٠ وقالت لي ، اننا
أمة عريقة حافظت على ديانتها في جميع الظروف ٠ وهنا ، مرة

اخرى بدأت تدق في أذني أجراس الخطر ٠ ان الحاسة السادسة
التي حرص فيشل على تنميتها أكثر من الحواس الخمس الاخرى
أفاقت ٠ لقد حاولت صوفي أن تثير بي شعور المصير المشترك ٠
ولكن ماذا يهمني ، أنا تاجر السلاح التركي واحد من أمة
فخورة ، تكره جميع الاقليات فيها ، ماذا يهمني من أمر الاقباط ؟
ولكن أنا في الحقيقة لست تركيا ، وانما من أقلية تشبه تماما
الاقلية القبطية ٠

وعدت وأبعدت عني هذه الافكار باعتبار أنني لست سوى
(أرام أنوير) ابن التاجر الغني في مدينة (سميرنه) ووالدتي
(مريام نورهان الجميلة) ٠ ولن أقع في الفخ ٠ وقلت لصوفي :
كذلك نحن لا نحب أبناء الاقليات عندنا ، اذ انه من الصعب على
شعب فخور أن يهضم وجود الغرباء فيه ٠ وقالت صوفي
باستغراب : ولكننا لسنا بغرباء ، فنحن أبناء المصريين القدماء ٠
قلت ٠٠ الله أكبر ، هل تؤمنين بهذا الكلام ؟ أنتم الاقباط ،
حافظتم على النصرانية التي أخذتموها من الاحتلال البيزنطي ٠
وآخرون اعتنقوا ديانة المحتلين الجدد ٠ وهذا هو الفارق ، ان
اله المنتصرين يبدو دائما أقوى وأكبر وأنت طالبة الآثار في
الجامعة تصدقين هذه الافكار ؟ فجأة تغيرت نفسانيا ، وابتعدت
صوفي عني قليلا ، وانطوت في الطرف الثاني من مقعد السيارة٠
ووقفنا بالقرب من بناية قديمة ، في آثار (قبطس) ، وأشارت
صوفي باصبعها الى طريق يؤدي الى الاسفل ، ويتعرج في سهل
مبسط ثم يرتفع عبر واد ضيق حتى جبال الصحراء الغربية ٠
وخلف تلك الجبال التي ترتفع حتى ١٥٠٠ متر تمتد الصخور
حتى البحر الاحمر ٠

قالت صوفي ٠٠ هل ترى ذلك الطريق المار بالوادي ؟
بواسطة هذا الطريق كانت (قبطس) مركزا هاما للقوافل في
العهد الهليني ٠ وكانت فيها تلتقي القوافل من الجنوب والشمال،

وتشق الطريق بين الجبال نحو مدينة (برنيكا) على شاطىء البحر الاحمر ٠

شعرت أن قشعريرة اجتاحت جسمي مع أن الشمس كانت حارقة ، تذكرت أن (برنيكا) هي احدى ملكات اليهود القدماء ٠ وقالت صوفي ان برنيكا نفسها مدينة هامة ، وهي تدعى على اسم الملكة (برنيكا) ٠

وسألتها ٠٠ الى أي عهد يرجع تاريخ الملكة برنيكا ؟
قالت ٠٠ الى عهد مصر الوسطى ٠

كنت على استعداد لان أقسم بأنه لم تخلق على الاطلاق أية ملكة مصرية باسم (برنيكا) ، وكنت أعرف كذلك ان مدينة برنيكا الواقعة على شاطىء البحر الاحمر تأسست قبل كثير من مولد الاميرة (برنيكا) الجميلة ابنة الملك أجريفاس الاول وهي أخت أجريفاس الثاني ، وعشيقة تيتوس الروماني ٠ وهي بطلة تمثيلية (راسين) التي تدرس كعلاقة من علاقات العهد الكلاسيكي الفرنسي ، وهي بالتالي من بقايا اليهود القدماء ٠

هل سافرت مسافة ٦٠٠ كيلومتر من القاهرة حتى أنجح في امتحان حول برنيكا ؟

القسم التاسع والعشرون

القبض على متلبسا بالجريمة

٨ أكتوبر ١٩٥٦ ـ الساعة ٠٠ر٢٢ حتى ٩ اكتوبر ١٩٥٦ الساعة ٥٠ر١٠ (حسب توقيت القاهرة)

كنت متعبا بسبب رحلتنا الى (قبطس) ، ومحاولاتي المستمرة في التظاهر بغير شخصيتي الحقيقية ٠٠ التي أصبحت من صفاتي الرئيسية ٠٠ نجحت هذه المرة أيضا وأعتقد أن صوفي صدقت تماما بأن تعبي ناجم عن الرحلة الطويلة ٠ فخلال الطريق كانت صوفي تحاول مداعبتي على المقعد وكنت أرمقها بالنظرات خلسة ، أتفحص وجهها وجسدها المكور داخل ثيابها المجعدة ٠ ليالي كثيرة أمضيتها ثملا مع هذا الجسد أداعبه ألتهمه حتى النهاية ٠ أما الآن وأنا أحرص على التظاهر بابتسامة عاشقة من طرف فمي ، كان فكري يعمل منفصلا في شيء آخر بعيدا عن شهواتي ، وذكريات الليالي الحمراء ، منفصلا عما تراه عيني ويشتهيه قلبي ٠

عدت الى جميع أحاديثنا ، أحللها بازميل حاد بارد ، أزيل الاجزاء التي لا أهمية لها من تلك الاحاديث ، وأبحث عما اذا كان يختبىء فيها شيء من المكيدة والخداع ٠ كنت أتنقل بالحديث من قسم لآخر كالمسلم يعد حبات مسبحته ، لم أصل الى نتيجة، ففي جميع الاحاديث التي دارت بيننا ، وفي جميع الاوقات التي

كنا نفقد فيها السيطرة على أعصابنا وندع الشهوات والملذات تسيطر علينا ، لم أنطق بكلمة واحدة يمكن أن تلحق الضرر بي ، وأن تكشف شيئا من هويتي الحقيقية ٠

أعدت لنا صوفي وجبة مساء خفيفة ، مع الشراب البارد وتناولنا الطعام على الشرفة ٠ أكلنا بصمت ، ورأسي يميل من حين لآخر على صدري متظاهرا بأنني أقاوم كابوس النعاس ٠ ثم دخلنا الى المنزل واستلقيت على السرير الكبير : وأغمضت عيناي بينما ظل ازميل التحليل الحاد يعمل في فكري ٠

غمرني نور الصباح حينما صحوت على دغدغات صوفي ٠ كانت قد ارتدت ملابسها وسرحت شعرها وقالت لي: انني ذاهبة، تعال مساء لتأخذني من الجامعة ٠٠ قلت بالطبع يا قلبي ٠

نزلت بالسلم الداخلي في المنزل ، ثم سمعتها تفتح الباب الخارجي وتغلقه ، فعدت ونمت من جديد ٠ ولم أفق من النوم الا بعد أن قرعت الخادمة العجوز جرس الباب عدة مرات ٠ فتحت لها الباب وقلت !!

« أعدي لي وجبة كبيرة ، مع كمية من القهوة واحضريها الي الى فوق » ٠

دخلت الحمام ، واستحممت لمدة طويلة ، مرة بالماء الساخن وأخرى بالبارد وأعدت الكرة مرة أخرى ٠ ثم تناولت الطعام ، كان عبارة عن سلطة بزيت الزيتون ، وبيضة مسلوقة بداخل صحن حمص ، وشربت من القهوة الساخنة التي كانت تضع بها الخدامة دائما حبوبا خاصة تجعل لها نكهة لذيذة منعشة ٠

كان علي أن أسرع ، فقد اقترب موعد الاتصال اللاسلكي الاسبوعي ويجب أن اتصل بهم ، وكنت قد رفضت أن أتصل بهم باتصالات معينة في أوقات منتظمة ، لان الاتصالات المنتظمة

في ساعات معينة تجعل من السهل على العدو أن ينصت اليها ويكتشف الامر ٠ ولذلك فقد اتفقت معهم على اجراء اتصال لاسلكي قصير مرة في الاسبوع ، في أي يوم من أيام الاسبوع ، وذلك كان من واجب المحطة الرئيسية ان تظل منصتة لي طوال أيام الاسبوع ، أي في الساعة الرابعة مساء وفي اليوم الذي يليه في العاشرة صباحا ٠

أعطيت اجازة للخادمة العجوز بحجة أنني سأغادر المنزل وكانت تعرف الخادمة أنه لا يمكنها البقاء في منزلي أثناء غيابي ٠ خرجت الخادمة تجر ساقيها على الطريق خارج المنزل ، وكانت أرض ذلك الطريق مفروشة بالحصى الصغير ٠ ثم قمت بتفحص الابواب والشبابيك واحدا واحدا للتأكد من اغلاقها باحكام ٠ ثم صعدت الى الطابق الثاني وأخرجت من درج صغير مفتاح القاصة الحديدية وفتحتها ، ثم تحسست مكان مفتاح القاصة الثانية وفتحتها وأخرجت جهاز الارسال ٠٠ وضعته على الطاولة وسحبت سلك (الانتين) الهوائي وأخرجت الرموز اللاسلكية ٠ ولكن في تلك اللحظة بالذات خطرت في فكري خاطرة مريعة مخيفة ٠٠ تذكرت وقع أقدام الخادمة العجوز حينما خرجت على الطريق المفروش بالحصى تجر ساقيها وتذكرت انه في صباح ذلك اليوم ، حينما غادرت صوفي المنزل ، بينما كنت في الفراش لم أسمع لقدميها أي وقع أو صوت على ذلك الطريق ٠ صحيح أنني سمعتها تفتح الباب الخارجي ثم تغلقه ، ولكنني لم أسمع وقع أقدامها تخطو على الحصى ٠

وعند باب الغرفة في الخارج رأيت عينيها مشدودتان الى عيني كانت هناك تقف صوفي ياسين ٠

القسم الثلاثون

نساؤنا في المؤخرة

٤ يونيو ١٩٦٧ الساعة ٠٠ر١٥ حتى الساعة ٠٠ر١٦

كان ذلك بعد ساعة واحدة من استدعاء العريف قائد الحظيرة الاولى افراده ليشربوا معه القهوة الحقيقية ، من نفس النوع الذي أحضرته له زوجته يوم السبت أمس .

نزل جو غريب على ذلك البلد الصغير الممتد على شاطىء البحر ، من جهات ثلاث ، كان البلد محاطا بسور من الفولاذ يضيق عليه أكثر فأكثر حتى أولئك الذين ليست لهم دراية بالامور العسكرية أحسوا بأن السور الفولاذي يضيق اكثر فأكثر . ولكن ظل الرجال يصلون الى هذا البلد الى داخل المصيدة ، كانوا يصلون بالطائرات . كان في الخارج عند أبواب السفارات والقنصليات يتدافعون في طوابير طويلة للحصول على اذونات السفر الى البلد الصغير . وصل رجال لأول مرة الى هذا البلد .

رجل له خمسة اولاد ، ظل سنوات عديدة يتهرب من الخدمة العسكرية سلم نفسه للشرطة العسكرية وطلب الالتحاق بالجبهة فورا . وفي أحد معسكرات الاعتقال انصرف الحراس الى الجبهة ، بعد أن تعهد السجناء بعدم الفرار ، ومع ذلك فر منهم اثنان وخلفا وراءهما بطاقة صغيرة كتبا عليها : ذهبنا

للتجنيد ، سنعود الى السجن بعد انتهاء القتال .

وأبلغ قائد المعسكر جميع المسؤولين بأن لا يهتموا بأمر الفارين . في النقب كانت قوات المظليين تنتظر منذ أسبوع واحد من تلك القوات طويل القامة يرتدي لباسا مموها ويتمنطق السلاح والعتاد اقترب من الشارع القريب .

ثم فتاة رقيقة القوام ، ترتدي بنطلونا طويلا ازرق اللون ، وسترة خاكي ، رقيقة كانت تسير في نفس الطريق . وتقابلا خلف شجرة عند مفترق الطرق . وقف المظلي يفتح الطريق للفتاة ، وهي وقفت لتفسح له الطريق . ابتسم الرجل وألقى بحمله على الارض وخلع طاقية الفولاذ عن رأسه . كان شعره أشقر اللون مبللا بالعرق وكانت شفته العليا بارزة الى الامام ، تعطيه شكل غلام فتي . نظرت اليه الفتاة وقالت شالوم . كان شعرها القصير افتح من لون شعره ، كان شعرها يتحرك مع حركتها . ورد عليها المظلي : شالوم ونظر اليها ثم ابتسم وسألته : هل أنت من كتيبة المظلات ؟ قال نعم .. أنا من الكتيبة . وعاد يبتسم مرة اخرى لقد خرجت من المستشفى قبل أن أشفى تماما . ووقفا في ظل الشجرة شابان ، منتصبان ، يتطلعان الى الحياة ، وفهمت الفتاة ان عليه أن يلتحق بالكتيبة بالرغم من مرضه وفهمت أنها لا تستطيع أن ترجوه في أن يبقى ولو للحظة واحدة ، ولا كذلك أن يعود الى هنا بعد أن ينتهي القتال . رفعت اليه عينيها وقالت : حافظ على نفسك ، ثم لمست طرف خده باصبعها وتحركت بين الاعشاب الجافة ، ورفع الرجل حمله وسلاحه وسار على عجل ليعوض الوقت الذي فاته .

وفي غضون ذلك ظهر رجال كثيرون ...

ان ضغط السور الفولاذي ، وحّد الاطراف المشتتة وأدخل

النظام في كل شيء • وكل انسان أصبح يعرف واجبه تحت
وطأة الضغط الفولاذي • وحمل كل انسان المسؤولية المترتبة
عليه ازاء السور المحيط بالبلد الصغير •

في معسكر لسلاح المدفعية أحضرت المجندة (النائبة)
رزمة من الاوراق المطبوعة الى رجل مدني جالس في كرسي
وثير • وتفحص الرجل الاوراق ثم هز رأسه راضيا وقال لضابطين
يجلسان قبالته : الآن تبدو الامور بسيطة للغاية • هنا توجد
بطاقة خاصة مبسطة لكل نوع من المدافع ، وما عليكما الا أن
تبلغا قائد البطارية بالمسافة والاتجاه فقط • وعندها سيتطلع
الى البطاقة ويوجه المدفع حسبما هو مكتوب في البطاقة ، ولا
يمكن الخطأ •

قال أحدهما •• والغريب أن هذه المدافع تعمل في جميع
الظروف جربناها وكانت جميع الاصابات دقيقة جدا بول •
وسأله الثاني •• لماذا لم تتصل بنا في وقت مبكر أكثر ؟ قال
الرجل المدني •• طلبت ذلك ولكنهم لم يصدقونني ولم يأتوا
الي الا قبل بضعة أيام حينما كنت وسط الدرس وأخذوني الى
هنا • وقال الضابط •• يجب أن تسرع ، شكرا •

وصافح الرجل الذي قال له ، لا تشكرني لهذا واجبي •

حينما كان العريف يوزع القهوة على أفراد حظيرته ، وهو
منتشيا بمديح الجنود وثناءهم ، ذهبت زوجته (ملكه) الى
مقابلة غريبة • فقبل يومين عرفها الجندي الاول مساعد زوجها
على (نيرا) زوجة روبين ، وهو من حظيرة زوجها أيضا وكانت
زوجته قد أخذت معها بالسيارة (ملكه) ليزورا زوجيهما المرابطين
في النقب • وطلب اليهما الجندي الاول ان يتعرف على زوجته
(راحيل) ومواساتها وقال لهما لقد تزوجنا منذ فترة قريبة
وهي قلقة علي ، ولكن حينما تتعرف عليكما ، سيزول قلقها بعض

الشيء •

وهكذا قررت (ملكة) و (نيرا) مقابلة (راحيل) اليوم •
وقامت (نيرا) باعداد هدية بينما ذهبت (ملكة) وأرسلت أطفالها
الى والدتها • كانت نيرا معلمة في احدى المدارس ولكنها منذ
أسبوع لا تعمل شيئابعد اغلاق المدارس•ولقد اقلق اغلاق المدارس
جميع الامهات اللواتي بقين دون ازواجهن • ولكن القلق والخوف
من الاحتمالات المقبلة ، وخاصة اذا قامت القاذفات الثقيلة بقصف
البنايات الكبيرة التي يقيم فيها حوالي الف طفل ، كان أكبر
من كل شيء • كان ذلك الاسبوع من أصعب الايام التي مرت على
الامهات ولكنه أسبوع مسرات بالنسبة للاولاد • فقد سنحت
لهم الفرصة ليلعبوا في الشوارع بدون رقيب • كما أن معظم
السيارات جندت لخدمة الجيش وجميع الآباء التحقوا بالخدمة ،
وأصبحت الشوارع خالية وجاهزة لتأدية الغرض الذي من أجله
فتحت ، النط بالحبال ، ولعبة الغماية وغير ذلك •

أمس التقت (ملكة) بصديقتها نيرا ورأتها متأنقة على
أحسن حال • ولكن لدى عودتها كانت منطوية على نفسها ، ربما
حدث لها أمر ما حينما شاهدت آلاف الجنود موزعين في المنطقة
الجنوبية على طول الطريق وفي الغابات والحقول والجبال •

وصلتا منزل راحيل ودخلتا • وقالت راحيل لنيرا : اننا
لم نخرج بالمرة أنا وزوجي بعد الزواج ، فلم تكن بي رغبة
للذهاب الى السينما أو ما شابه ، وردت عليها نيرا : ولكنكما
استمتعتما على الاقل باليومين اللذين أمضيتماهما معا قبل أن
يغادر زوجك الى الميدان • وردت عليها راحيل : ماذا تقولين ؟
ان حالتي النفسية في ذلك اليومين لم تكن على ما يرام ،والواقع
ان البيت يبدو كئيبا حينما يكون غائبا عنه •

وقالت (ملكة) معلقة •• خلفوا لكما طفلا ، ان أفضل شيء

بالنسبة للمرأة هو أن تحمل وتخلف الاطفال • فحينما تسير المرأة ، وطول بطنها نصف متر الى الامام وتحس بالطفل يلعب داخل بطنها تشعر بأنها امرأة بالفعل •

وقالت راحيل كأنها لم تسمع شيئا :

تعرفين أنه تزوجنا منذ شهرين فقط ، وقبل ذلك كنا مع بعض نتجول في كل مكان طوال سنتين ، وكان والدي يقولان لي انتظري • لا تزالي صغيرة • ولكن بعد أن تزوجنا ، جاءوا ليأخذوه الى الجيش ، ويقال بأن الحرب ستكون طاحنة وتقع فيها خسائر فادحة •

وقالت لها نيرا •• ليتك ذهبت معنا أمس اليهم في المعسكر لتشاهدي كيف أن رجالنا ، هناك في الخنادق على جوانب الدبابات ، يجلسون بهدوء ، والحقيقة شعرت أنني قادرة على احتضانهم جميعا •

وقالت ملكة : هل تعرفين الى أي شيء ركزت اهتمامي هناك ؟

ركزت اهتمامي اليهم ، الى الجنود ، ولم أجد واحدا منهم ينظر الى زوجة رفيقه انهم تماما كما يجب أن يكون الرجال دائما • وأضافت نيرا •• لقد كانوا رجالا آخرين ، غير ما نعرفهم • أحسست أن كل واحد منهم على استعداد ليدفع بصدره الى الامام ويدافع عن كل امرأة وطفل في البلاد • لقد أحببتهم كلهم •

وسألت راحيل •• كيف أحببتهم كلهم ؟

وتطلعت اليها نيرا ، ولكن أدركت أنها عاجزة عن أن تفسر لها ما رأته على طول الطريق الممتد على حدود قطاع غزه ، ولذلك قامت وقالت : سأحضر لكما القهوة ، ثم نخرج الى الشارع قليلا،

لنرى ما هناك ، ولما غادرت الغرفة ، نظرت (راحيل) الى الخلف وقالت وهي تتنهد الى (ملكه) انني أحسدك ، فأنت تقدرين حتى في مثل هذه الظروف على التفكير بالامور الوطنية • بينما أفكر أنا طوال الوقت بزوجي وسروري معه • هل تعلمين أنه حينما سيعود سأقول له : انني أريد طفلا •

في الطريق الذي يخترق الحي كان الاولاد يلعبون وبينهم ولد أشعث الشعر خائف ، كان بقية الاولاد يطاردونه ويضربونه بوحشية ، يلاحقونه في الشارع ، يوقعونه على الارض ثم يتركونه يقف ، ويطاردوه من جديد • وحينما رأت ذلك احدى الامهات هرعت الى الشارع لتنقذ الطفل ، أمسكته من يده ورفعته وحمته من الاولاد وقالت لهم : استحوا ، ماذا تفعلون به ؟ ومع المجموعة رأت ابنها ، ورفاقه يطلبون منه أن يرد عليها • ولكنها قالت له عد الى البيت حالا • وقال الولد لامه ، ولكن هذا الولد الذي معك واسمه (روني) انما هو مصري • وقال غيره انه عبد الناصر يريد أن يقتل جميع الاولاد في الحي ويأخذ جميع الامهات واستطرد ولد آخر يقول للام •

•• احذريه ، ربما يفعل لك شيئا لا تعرفيه ••

وكان الولد (روني) يقف ملاصقا لهذه المرأة يحس أنها ملاذه الوحيد أمام هذا البحر الهائج ضده • ظلت ممسكة بيده ، وأدخلته الدار ثم قالت لابنها : قم وصافحه ولكن ابنها قال باصرار (كلا) لن المس هذا أل •• عبد الناصر ، وأخيرا ، وبعد أن أرغمت الام ابنها على التصالح مع العدو المخيف ، ووزعت عليهما الحلوى ، خرجت الى غرفة النوم التي لم يدخلها زوجها منذ أسبوعين • أستلقت على الفراش ووجهها مغروس في المخدة، وراحت تبكي بحرقة والدموع تكاد تخنقها • وهناك بعيدا كان الجميع يسمعون صوت أسطول الفولاذ يقترب من البلاد •

القسم الحادي والثلاثون

مقتل صوفي ياسين

٩ أكتوبر الساعة ٥٠ر١٠ حتى الساعة ١٥ر١٢

(حسب توقيت القاهرة)

راحت الافكار تمر في خيالي بسرعة ، وبدون ترتيب ،لقد حذرني فيشل من المرأة وأكثر امرأة أعترضت سبيلي لاقت حتفها ، والآن هل يمكن أن يقبض علي بواسطة هذه الجاسوسة التي استخدمت معي أبسط وأقدم وسائل مكافحة التجسس ، الابتسامة الماكرة والصدر العاري ، وجسد في الفراش ، ثم سقوط في المصيدة ، هل يمكن أن يحدث هذا مع تلميذ فيشل ؟

امتقع لون وجه صوفي وأصبح بلون غرفتي • وأطل الخوف من عينيها وهما تنظران الى عيني • ثم ما لبثت أن استدارت الى الخلف وولت هاربة ، فتبعتها بدون وعي ،ولحقت بها ولطمتها بضربة من كف يدي المفتوح على مؤخرة عنقها • كانت الضربة حادة وقاسية بحيث كل من تنزل عليه لا بد أن يهبط على الارض ككيس من الحبوب أنفرط فجأة •

قبل أكثر من أربعين سنة وفي نادي الجواسيس الذي أقامته اليزابيت شرجميلر في شارع ـ لا بابينيير رقم ١٠ في (أنتفورفان) ، وهي المرأة المعروفة أكثر بلقبها (السيدة دكتور) وضعت عددا من القواعد الاساسية بالنسبة لتصرف الجواسيس

ويتوجب على كل تلميذ جاسوس أن يحفظ تلك القواعد الاساسية عن ظهر قلب ، وتقول احدى تلك القواعد :

(صادق فقط النساء المعروفات لك والمخلصات لك) •

وأنا مررت بهذه القواعد ، والآن أجدني أتذكر ابتسامة الهزء التي أبسمها قائد الجناح عبد النبي حينما رآني استسلم لاغراء صوفي • ولكن من الذي أرسلها يا ترى ؟

ان رجلا واحدا فقط ، يتجرأ على ذلك • ويستطيع أن يخطط لمثل هذه العملية من أولها الى آخرها ، ينفذها بدقة متناهية • رجلا واحدا فقط ، من مثل مركز فيشل ، يستطيع أن يتغلب على أفضل تلميذ من تلاميذ فيشل ، وهذا الرجل ، عرفت الان أنه صياد ماهر رئيس صيادين •

لقد استطاعت (صوفي ياسين) أن تخدعني • ففي الصباح حينما أبلغتني أنها ذاهبة الى الجامعة لم تغادر المنزل ، وانما قامت بفتح الباب الخارجي ، ثم أغلقته واختبأت في داخل المنزل • ولهذا لم أسمع في الصباح وقع أقدامها على الطريق المفروش بالحصى خارج المنزل • ولكن ليس المجال الآن للتفكير بما حدث • فهي الان ممدة هنا ، بعد أن شاهدت جهاز الارسال وسلك الانتين (الهوائي) وورقة الرموز اللاسلكية •

يجب أن تموتي صوفي •

سأناديك ياسمين ، قلت لها مرة في هذه الغرفة فياحدى الليالي الملتهبة • ويومها كانت رياح الصحراء ، وحرارة دمائنا قد جفت جلدها وجعلته ناعما يثير الشهوة ويومها قالت لي ،كان يجب أن تكون شاعرا • نعم سأكون شاعرا يا صوفي ياسين ، ولكن أشعاري لن تروق أذنيك • هدأت أفكاري ، وعادتأعصابي الى برودتها ـ وأصبحت أفكاري منتظمة منطقية • اذا لم تكن

تحب أن تكون ممدا على طاولة خشب ، وجسدك مجمدا بدرجة ٢٠ مئوية تحت الصفر كجسد الرجل الذي أؤدي دوره فاحرص اذن على أن تتجمد أعصابك ومشاعرك ·

الأمر في غاية الوضوح ، صوفي حبيبتي يجب أن تموت ·

فتاة أحلامي ، فاتنة صحرائي ، طالبة الجامعة التي ركضت نحوي وفستانها يتطاير يكشف عن ساقيها السمراوين ، يجب أن تزول من العالم · انها هي التي ستمدد على طاولة خشب ، ويقوم الاطباء المصريون بتشريح جثتها بأمر من الرجل الذي أرسلها ليعرف كيف ماتت ·

حبيبتي صوفي ·· زهرة حياتي ·· يجب علي أن أقتلك ·

تركزت أفكاري كلها في القضية المطروحة أمامي · القضية الملقاة في وسط غرفتي على الارض ، انها العقبة التي يجب أن تزول من طريقي ولكن قبل ذلك يجب أن أقوم بالاتصال اللاسلكي · وعلى الفور فككت أزرار فستانها ، فستان صوفي ، وخلعته عن جسدها ، ليتني أستطيع أن أدفن رأسي في أحضانها وأبكي ·

ومرة أخرى أختلطت الافكار برأسي ·· رأيت أن طائرة (موسكينو) قديمة تنفجر في الجو ، لقدمها ، والطيارون يقتلون بمجرد هبوط طائراتهم القديمة على الارض · ورأيت أسرابا عديدة من طائرات (اليوشن) تقف في مطار الماظة ، ورؤوسها متجهة نحو الشرق · ثم هدأت أفكاري قذفت الفستان المجعد على السرير اذ لن يحتاجه أحد بعد الان · وجردت صوفي من بقية ملابسها بسرعة ، وهكذا أصبحت عارية تماما ، ثم أوثقت يديها خلف ظهرها ·

أمرا واحدا كنت أعرفه بكل تأكيد وهو ··

ان أية امرأة لن تحاول الهرب وهي عارية · وكل امرأة تفضل حتى أن تموت على أن تركض في الشوارع وهي عارية كما ولدتها امها ويديها مقيدتين خلف ظهرها · أعدت جهاز الارسال للعمل وأرسلت اشارة المحطة الرئيسية · وكررت ذلك أربع مرات ، وجاءني صوت المحطة الرئيسية ثم أرسلت العلامة اللاسلكية المميزة من روما الى المسؤول امال ·· انتهى · وأغلقت الجهاز · كانت المحادثة قصيرة جدا (لا جديد)وأحرقت أوراق الرموز · وانتهيت من هذه المشكلة · وأعدت الجهاز الى مكانه وبعد أن أغلقت أبواب القاصتين وضعت المفاتيح في مكانها السري ·

أستطيع الان أن أتفرغ لقضية صوفي ياسين

كنت أعرف أن صوفي ستصحوا خلال دقيقة أو دقيقتين ، وعندها لن تشعر بشيء سوى صداع حاد · ويجب أن أدعها تصحو قليلا مع بقائها عارية مكتوفة اليدين ممدة على أرض الغرفة ولكن يجب أن أبتعد عن استخدام العنف معها · فالعلاقات بيننا ليست علاقات محقق مع متهم ، ولكنها علاقات « ذكر بأنثى » وكل عمل عنيف من شأنه أن يثير أنوثتها ويشجع فيها العناد والمقاومة ولن أحصل على شيء عن طريق العنف ، خاصة وأنا أعرف نفسي جيدا ·

أنا نفسي الذي كنت السبب في نقل الاسلحة والمعدات الحربية العديدة من ناحية الى أخرى في العالم ، وقطعت بالاسلحة والمعدات البحار والبراري ، لم يكن بحوزتي حتى مسدس قديم ·

فتحت صوفي عينيها ، ونظرت الي نظرة استغراب وخوف، وعادت اليها ذاكرتها وحالتها الطبيعية وتذكرت كل شيء وفهمت كل شيء · كانت تضم ساقيها الى بعضهما البعض ، وتكورت على نفسها قدر ما استطاعت واستدارت بظهرها الي ثم عادت وجلست (مستلقية) القرفصاء ورأسها الى الخلف تتطلع

الي وتحاول رسم ابتسامة على شفتيها ٠

زهرة صحراوية أدوسها بقدمي ٠

أطلق يدي ، قالت صوفي هامسة ، وأغمضت عينيها بينما أبقت شفتيها منفرجتين قليلا كأنهما تدعوان تعالى الي ٠ جلست بجانبها وسألتها بما يشبه الهمس ٠ من أرسلك يا صوفي ؟ السفاح ؟ ترددت صوفي قليلا ثم هزت رأسها بالايجاب ٠

كل انسان في القاهرة يعرف من هو المقصود بالسفاح ، فقد كان هذا اللقب ، هو اللقب الرسمي تقريبا لمحيي الدين رئيس مصلحة التجسس والامن الداخلي ٠ وقلت لها ــ وبماذا أخبرتيه ؟ وكيف علمت أنني أعمل لحساب الانجليز ؟ كنت أحاول خداعها ، فقد أصبحت صفة المخادعة صفة رئيسيةطبيعية في نفسي ، وها أنذا أسلك طريق الخداع مع هذه المكتوفة التي لا تقدر على الحركة ، والتي صدر الحكم عليها بالاعدام من قبل محكمة ميدان سريعة الحكم ، تتكون من قاضي واحد فقط ٠ الانجليز ؟ قالت صوفي وهي تستدير الي ، لقد كان محي الدين يشك بأنك تعمل لحساب الاسرائيليين ٠

الاسرائيليون ؟ قلت ضاحكا ونهضت على قدمي ، ولكن بماذا أعلمتيه أنت ؟

وابتسمت ولكن ابتسامتي لم تكن ابتسامة النصر ٠ وسألتها كم من مرة اختفيت هنا في بيتي بدون علمي ؟ هذه هي المرة الرابعة قالت صوفي وأعتقد أنها كانت صادقة ، ثم واصلت ، لقد مللت ذلك ، ولكن فجأة سمعت الضجة التيأحدثها اخراج جهاز الارسال (يا أرام) ماذا ستفعل الان ؟

قطبت جبيني ، كمن يجهد نفسه في البحث عن مخرج ٠ ولكن في تلك اللحظة وجدت المخرج واضحا جليا ٠ تقدمت من

صوفي ، وركعت الى جانبها ، وفككت الحبل عن يديها ٠ كان جسدها يرتعش من الموت المنتظر ، وخوفا من العذاب الذي سأنزله بها ، تعذيب الذكر للانثى ٠

التصقت بي بجسدها العاري ، وتحولت جميع مخاوفها وآلامها الى رغبة جامحة ، وشهوة عارمة ، بعضها مصطنع ، وبعضها حقيقي ٠ انها شهوة المرأة في أن تكون مداسا تحت الرجل الذي انتصر عليها ٠

صوفي حبيبتي جميلتي !!

رفعتها بين ذراعي ، أشد جسدها الطويل الى جسدي بقوة ، أخفف من خوفها ، وأنشر في جسدها رعشة جديدة ٠

خلف شاطىء الاستحمام في الاسكندرية ، ووراء شاطىء (بلقالي) الهادىء ، يدخل البحر في الاراضي المصرية مسافة طويلة ويشكل بذلك خليجا صغيرا تنكسر أمواجه على الصخور الحادة المنتشرة في أرض البحر وفوق سطح الماء ٠ وهذا المكان مهجور ومهمل بسبب خطورته للاستحمام ، حتى أن العشاق الذين يتفرقون في منطقة شاطىء بلقالي للاختلاء ببعضهم لا يصلون الى هذه المنطقة ٠

ولكن في هذا اليوم ، قررت أن يصل الى هذه المنطقة عاشقان مدلهان ويغطسان في مياه البحر ٠ وأحدهما ستسحبه التيارات المائية ويرتطم رأسه في صخور البحر ، وعندما يلفظ أنفاسه سأرفعه من داخل الماء وأسرع بالسيارة الى المستشفى في الاسكندرية ٠٠ ان طريقة الموت هذه ربما تثير الشكوك حولي ، ولكنني لم أجد أفضل منها ٠

واذا تزايدت الشكوك ، سأقوم بتدمير جهاز اللاسلكي وأغادر البلاد ٠ جلسنا القرفصاء ، مغمضي العينين ، نخاف أن نفتحها لئلا نرى الواقع الرهيب ، ورحت أداعب صوفي وألاطفها

بخفة ثم قلت هامسا تعالي يا حبيبتي لنخرج من هنا نسافر
نبحث عن أي مخرج ٠ كنت بحاجة الى تعاونها ، على الاقل حتى
نصل السيارة وندخلها ٠ فلا أستطيع أن أغامر بجرها جرا رغم
ارادتها الى السيارة ٠ يكفي أن يرانا أحد الجيران أو أي انسان
وعندها سأدفع الثمن غاليا ٠

ارتدينا ملابسنا بأناقة ، وتظاهرت بتناسي ما حدث ،
حتى لا تشعر صوفي بأنني أخفي شيئا في نفسي ٠ الابواب مغلقة
جميعها ولن تستطيع صوفي أن تهرب ، فقبل أن تحاول الوصول
الى المفتاح أستطيع أن أوجه ضربة الى رأسها وألقيها على الارض
مغمى عليها ٠

هبطنا بهدوء الى الطابق الارضي في المنزل ، ولدى مرورنا
بجانب غرفة المطبخ هربت صوفي وأمسكت بقطعة خشب من
المطبخ تستخدمها الخادمة في تحريك مواد الطبخ على النار ،
ورفعتها صوفي لتلقي بها على رأسي ، ولكني قفزت خلفها
واحتضنتها بقوة ومنعت يديها من الحركة وأنزلت يديها الى
الاسفل ، وألصقتها الى جسدي وهمست في أذنيها ٠ « لا تفعلي
شيئا من ذلك يا صوفي » ٠ راحت صوفي تبكي بحرقة ،وشعرت
كأنها تفرغ جميع مخاوفها ودموعها على كتفي فهدأت من روعها ،
ثم سألت نفسي — ترى أي منا سينتصر بخداعه على الثاني — ٠
وخرجنا من المنزل ، ممسكين بأيدي بعض ، نبتسم ، وعند
وصولنا السيارة فتحت الباب أمام صوفي ،وبعد أن دخلت
أغلقت الباب واستدرت لادخل من الباب الثاني وعلى المقعد
الخلفي القيت ملابس الاستحمام التي أخذتها من المنزل وتحركنا
الى الطريق المؤدي نحو الاسكندرية ٠

وبعد أن خرجت من المدينة أوقفت السيارة ، وأخرجت من
جيبي الحبل الذي كنت أربط به يديها في المنزل وقلت ، هاتي
يديك أربطهما يا صوفي ، لن أدع الحبل يؤلمك ، سأربطك من

الامام بلطف لئلا تقومي بعمل متهور ، ربطت يديها ، وطبعت
قبلة على جبينها ٠ لقد أحببتها حبا جارفا ، أما الآن فسأقتلها
بدون تأنيب من ضميري ، بدون أن تهتز يدي ٠ لقد أخطأت ،
ويجب علي أن أصحح الخطأ وأواصل السير الى الامام ٠ واصلنا
السير على الطريق المستقيم المؤدي شمالا الى شاطىء البحر ،
نظرت الي صوفي بعينيها السوداوين وهمست بدون صوت
تقريبا ٠٠ أنا أعرف من أنت يا آرام ، اسمك ليس آرام ولست
بتركي ، ولا تعمل لحساب الانجليز ولا من أجل المال ، انك
ستقتلني بعد قليل ، أعرف ذلك ، وبما أنني أعرف أنني سأموت
بالتأكيد أقول لك كلمة أخيرة ، لقد أحببتك ، ٠٠ لم أجب بل
ضاعفت سرعة السيارة بدون أي تفكير أو احساس بما قالته ٠

على بعد حوالي ١٠٠ كيلومتر شمالي القاهرة ، مقابل
المدينة العمرانية الجديدة (طنطا) التي تعرض على أنها نماذج
من أعمال النظام المصري الجديد ، هناك ينحني طريق الاسكندرية
القاهرة ، ويمر بعدة منعطفات خطيرة ٠ كما أن أعمال الانشاء
والعمران الواسعة التي تجري في تلك المدينة وضواحيها سببت
زيادة في الحركة على الطريق ولكن المنعطفات الخطيرة هنا تمنع
سواقي السيارات من رؤية الطريق على مسافة بعيدة ، وصلت
تلك المنعطفات ، ولا تزال سرعة السيارة كبيرة كأنت العجلات
تحدث صوتا حادا وهي تدور في المنعطفات كأننا نهرب من
أنفسنا ، وبنفس الوقت نقود أنفسنا بسرعة نحو النهاية التي
خشيناها كثيرا ٠

وقع حادث مفاجيء في الطريق ، سيارة شحن كبيرة من
سيارات الشركة التي تقوم بالعمل هناك ، جنحت في الجهة
اليسرى وسارت في خط سيرى المقابل تماما ٠ انعطفت نحو
اليمين لابتعد عن السيارة الكبيرة وأتحاشى الاصطدام بها ،
ولكنني فقدت السيطرة على سيارتي وخرجت عن الطريق العام ،

وسقطنا في وادي سحيق واستقرت السيارة على ظهرها مستندة الى جذع شجرة كبيرة · وتداخل جذع الشجرة بالسيارة من بابها الايمن وهشم صوفي · فقد سالت الدماء من رأسها ، وانتفخ وجهها حتى لم أعد أعرفه · وانفجر البنزين من محرك السيارة واشتعلت النار فيها · وقمت لأخرج السيارة ثم عدت الى صوفي وفككت الحبل عن يديها بسرعة لئلا يجدوها محروقة في السيارة وبقايا حبل متفحم مربوط حول يديها · وقذفت بنفسي من شباك السيارة وهربت زحفا على ركبي لئلا أتعرض لشظايا السيارة حينما تنفجر · وبعد ٣٠ خطوة من زحفي على أربع ، وقع الانفجار · فألقيت بنفسي مرة أخرى على الارض وشعرت باللهيب الحار يمر من فوق جسدي ملامسا له ورأيت رجلا يأتي مسرعا نحوي · وفي هذه اللحظة سمحت لنفسي بالاغماء ، تظاهرت بأنه مغمى علي ·

القسم الثاني والثلاثون

سباع النفاثات بدون أسنان

٢٥ أكتوبر ١٩٥٦ ـ الساعة ٠٠ر١٣ حتى الساعة ١٠ر١٧
(حسب توقيت القاهرة)

على الجدار كانت تبتسم لنا صورة (الريس) لدى قيامه بزيارة القاعدة الجوية في العريش قبل نصف سنة · وكان يقف الى جانبه في الصورة قائد الجناح (الشرعبي) وهو أيضا قائد القاعدة · وبعد تلك الزيارة رفع الشرعبي الى رتبة صاغ (رائد) ·

وفي صورة ثانية يبدو (الريس) بلباسه العسكري لدى قيامه بجولة في القاعدة وبجانبه اللواء (عبد الحكيم عامر) وبجانبه من الناحية الاخرى صديقي (محمد صدقي محمود) الجالس في هذا الوقت الى جانبي يواسيني ويشجعني على الاكل والشرب ·

وقلت في نفسي ·· عالم غريب ، لا حدود فيه بين الصور والحياة نفسها · وبجانب تلك الصور كانت معلقة يافطة كبيرة تقول :

اعرف طائرات العدو ـ طائرة متيئور وتحت هذه العبارة صورة لطائرة متيئور وعلى وسطها صورة لنجمة داوود بحجم كبير ·

قلت في نفسي : ان جميع الجالسين معي هنا من طياري طائرات الميتئور ويعرفون هذه الطائرة جيدا ، فلماذا وضعت هذه اليافطة الضخمة ؟ وعلى جانب اليافطة شريط من الورق عليه عبارة ، « بعد أن اتضحت للعدو حقائق التفوق المصري في الجو، راح يستخدم الطائرات المقاتلة النفاثة ، وطائرات المتيئور هي الاولى من ذلك النوع » .

قلت في نفسي .. هذا صحيح ، فحتى فيشمل كان يؤمن هو الآخر بتفوق مصر في الجو ، ولكنني أنا الان أعرف ما لم يعرفه انسان في اسرائيل . فان أية طائرة عسكرية ليست موجودة في العريش ولا حتى في شبه جزيرة سيناء بأكملها . كما أنه ليس في سيناء كلها مطار واحد يستطيع استقبال الطائرات النفاثة . ان هؤلاء الطيارين الذين يتناولون طعامهم معنا يضحكون على الفكاهات التي يلقيها قائدهم المحبوب صدقي محمود ليسوا سوى سباع بدون أسنان . انهم يجلسون هنا على بعد خمسين كيلومترا عن حدود العدو ، بينما الطائرات المخصصة للدفاع عن سيناء موجودة في مطار (كبريت) على بعد مئات الاميال من هنا .

ما هي وظيفة هؤلاء الطيارين ، ما عدا الاستعراضات الجوية أمام (الريس) أو قائد سلاحهم الجوي ؟ فلو وقع الهجوم هنا لن يستطيع هؤلاء الطيارين أن يجدوا حتى طائرة نقل واحدة يهربوا فيها من الموت .

كانت زيارتي لسيناء بطريق الصدفة ، فحينما خرجت من مستشفى طنطا الذي نقلت اليه بعد حادث التدهور ، قال لي الطبيب ، يا أنوير بك يجب أن تعيش بهدوء لمدة بضعة أسابيع اذا كنت لا تريد العودة الى المستشفى ثانية ، فلزمت منزلي ، أطالع مجلة المصور ، وكان أصدقائي ضباط سلاح الجو المصري يأتون لزيارتي ومنهم (محمد لبيب) ، عبد السلام دغيرى ،

وحتى مدكور أبو العز ، وأخيرا صالح عبد النبي الذي اعتذر لي وسألني عن صحتي وقال لي : أنا الذي قتلتها يا أنوير بك .

نظرت اليه باستغراب ، وأنا أقطب جبيني بدون معنى ، ورددت عليه ان الله هو الذي أخذ روحها ، كانت جميلة وملائمة جدا لعالمنا ولكن هذا ما كتبه الله وهكذا صار ، وحينما تقوم القيامة ، ويبعث الاموات سنسجد على ركبنا نطلب السماح منها، وهكذا تحولت الى رجل متدين أعترف بالقدر الذي يؤمن به كل مسلم .

وطأطأ عبد النبي رأسه وقال .. كذلك اخطأت بحقك فهل تسمح لي ذلك ؟ ولكنني هززت رأسي نفيا وقلت ، لم تخطىء بحقي يا صالح ، وانما منحتني أجمل شهر في حياتي ، لقد جعلتني أقابل المرأة الوحيدة التي أحببتها حقا ، وسأظل مدينا لك بذلك .

وعندما انصرف صالح قلت في نفسي ، لن أستطيع عما قريب أن أفرق بين الحقيقة والكذب . وعندها سأكون جاسوسا كاملا .

وقرع جرس التلفون في المنزل ، كان المتحدث الرائد عبد السلام دغيري ، يعلمني أن قيادة سلاح الجو ستقوم بعد غد بجولة في القواعد الجوية بسيناء برئاسة قائد سلاح الجو نفسه . وقال أعلمني قائد الجناح عبد النبي بأنك غارق في الاحزان والهموم المؤلمة وأنا أدعوك للانضمام الينا لترى كيف يقوم رجالنا باستخدام الطائرات وتنسى همومك .

وهكذا انضممت الى الجولة في سيناء ، وزرت قاعدة بير كفكفا الجوية ومطار (بيرحمة) الذي كانت مدرجاته تحت العمل لجعلها ملائمة لاستقبال طائرات الميج وأخيرا زرت قاعدة العريش حيث تناولنا طعام الغداء .. ولكني لم أشاهد بالمرة أية

طائرات عسكرية مقاتلة أو قاذفة في تلك المطارات وقال لـي صدقي محمود بأن الدفاع الجوي عن سيناء يعتمد على مطار (كبريت) وفي مطار كبريت المذكور كنت أعرف بأنه يرابط السرب رقم ٢٠ المؤلف من ١٥ طائرة ميج ١٥ ، وهي غير ملائمة لضرب الاهداف الارضية ٠

عرفت أن كل ما في الامر عبارة عن عملية خداع كبيرة موجهة لي ، فقد دار في خلدي أنه بعد أن أغادر المنطقة والمطارات ستأتي طائرات الميج والاليوشن لتهبط في مطار العريش ، ترافقها طائرات (فامباير ـ ومتيئور) وعندها سيضحك الطيارون ملء أشداقهم على نجاحهم في تضليل الجاسوس الاسرائيلي ٠

وفي قاعدة العريش انضم الينا أثناء طعام الغداء الجنرال علي عامر قائد القوات المصرية في سيناء والزعيم عبد الوهاب القاضي قائد فرقة المشاة الثالثة التي كانت تدافع عن شمال سيناء وأواسطها ٠ وتحدث الاثنان طويلا مع صدقي محمود عن القوات الموجودة في سيناء واستطاعتها احباط هجوم اسرائيلي في حالة قيام القوات الفرنسية والبريطانية بمهاجمة قناة السويس ٠

ومرة أخرى أصابتني الدهشة ٠ فقد اتضح لي من محادثاتهم أن القوات المصرية في سيناء موزعة على أساس مخطط دفاعي فقط ولا تكفي لشن أي هجوم وتنقصها تماما القوات المصفحة ٠

جلست بجانب المتحدثين والحزن والاسى يطلان عن يميني، وكنت أتظاهر بعدم الاهتمام بالحديث ، بينما كان يعمل فكري بسرعة وجهد يسجل ويصور كل شيء ، يقرر الحقائق ويشطب الاحتمالات ، حتى يصل بالنهاية الى المجمل ٠

في ذلك اليوم كانت المحطة الرئيسية في اسرائيل تستمع

الي ابتداء من الساعة الخامسة مساء ٠ ووصلت البيت في الوقت المحدد تقريبا ، وقبل أن أستحم من غبار سيناء جلست الى جهاز الارسال ، لارسال المعلومات التالية : ـ

« قائد قوات سيناء الجنرال علي عامر (٠) الفرقة الثامنة الفلسطينية في قطاع غزة (٠) الفرقة الثالثة مشاة في شمال ووسط سيناء (٠) كتيبة سيارات حدود في محور الكونتيلا المتيلة (٠) كتيبة ٢١ مشاة و ١٠ حاملات برن ومجموعة من مدفعية السواحل وبطاريتي مدفعية مضادة للطائرات وفرقيطة في منطقة شرم الشيخ (٠) وضعت لحماية خليج السويس سرية من الهجانة (٠) ليست في سيناء أسلحة مصفحة فيما عدا كتيبة دبابات شيرمان (٠) خصصت للقيام بهجمات مضادة في سيناء مجموعة لواء مصفح في معسكر فنارا في القناة (٠) لا توجد طائرات في سيناء (٠) الدفاع الجوي عن سيناء من مطار كبريت (٠) الدفاع عن سيناء يعتمد على مواقع متحركة في رفح والعريش وأبو عجيلة (٠) القوات الخاصة لسيناء ومنها الفرقة الثانية مشاة موجودة في القناة وستبقى فيها اذا تعرضت القناة للهجوم (٠) قائد الفرقة الثالثة هو عبد الوهاب القاضي وهو ضابط من النوعية القديمة يعتمد على التحصينات (٠) في رفح يوجد اللواء الخامس وسرايا دبابات شيرمان والقائد هناك هو عبد المجيد (٠) وتوجد فيها تحصينات ضخمة (٠) في أبو عجيلة اللواء السادس وفي العريش الكتيبة ١١ مشاة والكتيبة الثانية عشر وسريتي دبابات شيرمان (٠) قائد الفرقة الفلسطينية يوسف عبد الله العجرودي انتهى ٠

كانت المعلومات طويلة جدا ومع ذلك يتطلب الموقف الان تمريرها كلها ، فمع قرب نشوب المعركة هناك أهمية لكل خبر مهما كان صغيرا ، في الوقت الذي تستحق المعلومات التي مررتها التضحية بكتيبة كاملة من أجلها ٠ ومن ناحية أخرى

فلست الان أخشى تمرير معلومات مطولة باللاسلكي • لان المنطقة زاخرة الان بالمخابرات اللاسلكية من جميع الاتجاهات ولجميع الاتجاهات ، فبالقرب من منزلي يوجد معسكر القيادة ، وبجانبه السفارة الروسية ، وتوجد على مقربة منا المطارات العسكرية ولكنها كانت ترسل مخابراتها اللاسلكية ليل نهار بدون توقف وفي غمرة هذا الازدحام اللاسلكي لن يستطيع انسان تحديد مكاني شريطة أن لا أداوم على الارسال في أوقات منتظمة •

ابلغتني المحطة الرئيسية أنها تريد تمرير معلومات لي فاستلمت ذلك وانتهى الارسال •• ان سباع النفاثات في سيناء لم تكن لها أسنان •

القسم الثالث والثلاثون

كيف أنقذت طائرات الأليوشن

٢ نوفمبر ١٩٥٦ ـ الساعة ٣٠ر٠٨ حتى الساعة ١٥ر١١
(حسب توقيت القاهرة)

جلست في شرفة المنزل في حي هليوبولس وأمامي أرى التاريخ وأحداثه • كانت طائرات (الكانبرا) البريطانية وطائرات (سايبر) التي أهدتها الولايات المتحدة لفرنسا تغير من الشمال وتنقض على مطارات ألماظة والقاهرة غرب وتفرغ عليها حمولات ضخمة ترتفع في الجو حتى تحطمت كاللعب حينما يحطمها الاطفال • أما طائرات الكوماندو التابعة للسرب السابع وطائرات (الداكوتا) ـ السرب رقم ١١ فقد كانت هابطة في المطار منذ يوم أمس كأنها كتل محروقة ، كما أن طائرات المتيئور السريعة في مطار الماظة ، لم تساعدها سرعتها هذه المرة للافلات من مصير الطائرات الاخرى • فقد تحولت جميعها الى قطع صغيرة يتصاعد منها الدخان • ونزلت القنابل المحرقة على مستودعات مطار ألماظة وأبراج المراقبة وورش الطائرات وحتى مباني السكن

أما مطار القاهرة غرب ، بما فيه من سربي الاليوشن ٢٨ وهي أسراب القاذفات الثقيلة فقد نجا أمس من قذائف الطائرات الفرنسية والانجليزية المعادية ولكن اليوم لم يهتم أحد من المسؤولين لابعاد تلك الطائرات من مرمى الخطر • وقد قدمت

اليوم موجة جديدة من قاذفات (الكانبيرا) من ناحية الدلتا وحلقت فوق مطار القاهرة غرب وراحت تمر فوقه جيئة وذهابا وتمطره بوابل من القنابل ذات الدوي الشديد ٠

ان هذا المطار منذ ساعة وهو بمثابة هدف للطائرات البريطانية والفرنسية في البداية قصفت الطائرات مواقع المدفعية المضادة ، وبالتالي تفرغت للمطار نفسه تفعل به كما تشاء تماما مثل الغاضب الذي أرضخ المرأة لمآربه ثم مارس معها شتى أنواع التعذيب ٠

دق التلفون في غرفتي ، فرفعت السماعة وقلت :

هلو ، من يتكلم ؟

ان قائد الاسطول الجوي صدقي محمود يريد مقابلتك في القيادة حالا ٠

كان صدقي محمود يقف الى جانب الشباك ينظر كالمشدوه على أمواج القاذفات وهي تبصق النار والدمار على جميع المطارات، وتحول سلاحه الجوي الى أكوام من الخردوات ٠

وكان معه في الغرفة أيضا المقدم عفيفي مدير العمليات الجوية والرائد محمد لبيب رئيس فرع الدفاع الجوي ، وكذلك المقدم محمد مدكور ابو العز ٠

استدار صدقي محمود نحوي لدى دخولي الغرفة ،ورأيت على وجهه الانهيار المريع ، قال وهو يرتجف : انهم يقومون باغتصاب نسائنا أمام أعيننا بدون أن نستطيع أن نفعل شيئا ، وحاول محمد لبيب أن يتحدث ولكنه فضل السكوت ٠ أمامحمود عفيفي فقد أرسل نظرة الى الارض ، الا أن مدكور أبو العز ظل يبدو عليه أنه لم يفقد صبره تماما ٠ ومرة أخرى حاول لبيب أن يقول شيئا ما ٠ ولكنقائد السلاح الجويأسكته بحركة منيده

وقال لي (يا أنوير بك) أنت الرجل الوحيد هنا الذي أعتمد عليه وعلى عقله وسداد حكمه ٠ وأنت ترى ما يفعلون بنا ٠ خلال ساعات سيضيع كل شيء ٠ جهود سنين طويلة ٠

شعرت أنه بعد قليل سينسى نفسه وينتحب كالنساء ٠ وشعرت أن كل قنبلة تسقط تسبب له الالام والمهانة تماما كأن كل طائرة من طائراته مثل عشيقة تغتصب أمام عشيقها ٠ولكنه تمكن من السيطرة على نفسه وأخرج سيجارة من علبته الذهبية وأدناها من فمه بحركة عصبية ، وأشعلها بالنار التي قدمها له عفيفي ، وامتص منها نفسا كأنه ينتظر أن يأتيه الخلاص مني ٠

بدأت أفكر بسرعة ، ببرود ظاهر ٠ ان هناك مخرجا واحدا فقط ، يمكن به انقاذ ما بقي سالما من الطائرات ٠ بدأت الحديث وقلت ، هناك خطة واحدة فقط لانقاذ الطائرات وهي أن تصدر الاوامر فورا الى كل طائرة تستطيع أن تطير لتغادر جميع المطارات في منطقة القاهرة والقناة وأن تقلع جنوبا الى الاقصر ٠ حيث لا تستطيع الوصول الى هناك لا طائرات سايبر ولا طائرات الكانبيرا واذا وصلت ستنقطع في الجو من الوقود وهي عائدة الى قبرص وبذلك تسقط في البحر ٠

دهشت مما فعله أبو العز في تلك اللحظة ، فقد رفع سماعة التلفون بحركة عصبية سريعة وقال لعاملة المقسم ، أعطني فورا وواحدا بعد الآخر قائد مطار ألماظة وقائد مطار القاهرة غرب ، وقائد مطار أنشاص فورا ، ثم أعاد السماعة الى مكانها ورفع سماعة أخرى ليقول : أعطني فورا قادة مطارات أبو سوير وفايد وكبريت ، ودق جرس التلفون الاول ورد عليه أبو العز ليقول :

أصدر اوامر الاقلاع فورا لجميع الطائرات القادرة على ذلك جميع الطائرات عليها أن تغادر الى الاقصر وتهبط هناك ٠ سأقوم

شخصيا بمتابعة تنفيذ هذا الامر أو اذا دمرت طائرات واحد بعد صدور الامر . الساعة الان الثامنة و ٥٥ دقيقة صباحا مفهوم .

ودق الجرس الثاني ، وعاد صدقي محمود يمارس عمله كقائد لسلاح الجو . وبعد نصف ساعة كانت الطائرات كلها قد أقلعت الى الاقصر تقدم مني قائد سلاح الجو وأمسك رأسي بين يديه ونظر الى عيني وقال بصوت غريب :

(لقد أرسلك الله لنا يا أنوير أفندي الله أرسلك)

لقد نسي صدقي محمود في غمرة الانفعال أن كلمة (أفندي) قد بطل استعمالها وتقدم كل من عفيفي ولبيب لمصافحتي وهز كتفي تعبيرا عن امتنانهم وفرحهم . ولكن أكثرهم انفعالا وامتنانا كان أبو العز ، الذي ظل ينتظر حتى هدأ انفعالهم ثم اقترب مني وقال : اسمح لي يا أنوير بك اذا كنت قد قلت أو فكرت بالسوء بالنسبة لك ، أنت صديق حقا .. ضحكت وقلت ، انك لم توفني أجري يا أبو العز ، انتظر حتى آتي وآخذه .. وضحكنا جميعا بصوت مرتفع ، بينما كانت طائرات الكانبيرا تدور الى الخلف وتختفي عن النظر فوق منطقة الدلتا وهي عائدة الى قبرص لتتزود بالوقود والقنابل من جديد .

أنهى عفيفي ، قائد فرع العمليات الجوية محادثاته الهاتفية ثم رفع عينيه وقال بنشوة منتصر : ان ٢٠ طائرة من قاذفات اليوشن ٢٨ قد تمكنت من الاقلاع من مطار القاهرة غرب ، كانت هذه هي الطائرات الروسية الثقيلة ذات المدى البعيد وتستطيع حمل شحنات كبيرة من القنابل ، وكانت هي الطائرات التي تقلق كل مواطن في بلدي ، وبسببها أرسلني فيشدل الى هنا .

بعد ذلك بحوالي ساعة ونصف ، وفي منزلي الواقع على بعد ثلاثة كيلو مترات من قيادة سلاح الجو أرسلت الى المحطة

الرئيسية الخبر اللاسلكي التالي :

من روما

الى المسؤول .

٢٠ طائرة اليوشن ٢٨ خرجت من القاهرة غرب الى الاقصر (٠)

طائرات ميج خرجت من كبريت الى الاقصر (٠) في الاقصر الان ما يقرب من ٤٠ قاذفة اليوشن ٢٨ انتهى .

كنت أعرف أنه بعد مرور ساعتين فقط من هبوط القاذفات المصرية في الاقصر ستأتي اليها طائرات السايبر الفرنسية وتدمرها عن بكرة أبيها .

أبلغت أمس عن خروج مجموعة لواء مصفح كان يرابط في معسكر (فارا) الى سيناء ، ولما مر هذا اللواء فوق جسر الاسماعيلية وأصبح على شكل خط ضيق طوله كيلومتر تصدت له طائرات نفاثة فرنسية وصلت من اسرائيل وهاجمته بالصواريخ والرشاشات الثقيلة . ولم يصل هذا اللواء الى سيناء وانما عاد ادراجه تاركا خلفه عشرات الدبابات الروسية من نوع (تي ٣٤) ذات المدفع البالغ قطره ٧٥ ملم والذي يستطيع أن يدمر أية دبابة اسرائيلية قبل أن تصل الى المدى المناسب لرمايته . وتبلغ سرعة هذه الدبابة ٥٥ كيلومتر في الساعة وتستطيع أن تقطع صحراء سيناء بكاملها بدون أن تحتاج الى وقود جديد . أما الدبابة الاسرائيلية فهي دبابات شيرمان قديمة خفيفة وليست لها كما يقول الخبراء امكانيات المواجهة مع دبابات (تي ٣٤) .

في ذلك المساء أبلغني (لبيب) بأن سربا من قاذفات اليوشن ٢٨ انتقل من الاقصر الى أحد المطارات في المملكة العربية السعودية . وسيقوم سربان غدا بعبور البحر الاحمر والاختباء

من القاذفات الفرنسية والبريطانية وكذلك انتقلت طائرات الميج من الاقصر الى السودان ومعها سرب اليوشن ٢٨ ·

مرت أربعة أيام حتى وصلت طائرات السايبر الفرنسية الى الاقصر ولم يكن في المطار سوى عدد قليل من طائرات اليوشن ٢٨ فقضت عليها وعادت من حيث أتت ·

جلست في منزلي أتطلع الى الصورة التي تختفي وراءها القاصات الحديدية وفكرت بماذا سيقوله المسؤولون عني في اسرائيل اذا فتحت جهاز الارسال ووجهت لهم الشتيمة تلو الشتيمة على تأخرهم في قصف مطار الاقصر ·

القسم الرابع والثلاثون

حديث بين الجواسيس

٢٠ يناير ١٩٥٧ ـ الساعة ٠٠ر٠٩ حتى الساعة ٠٠ر١١

لم أشعر بميل نحو الرجل المقابل لي ، ولم أحاول أن أخفي ذلك · وربما لم يكن هو الآخر يشعر بميل نحوي ولكنه بذل جهده في أن يخفي ذلك عني ·

كنت في ذلك الصباح عصبي المزاج ، ربما كان السبب في ذلك بلوغي اليوم سن الثانية والثلاثين ـ على أساس أنني ولدت في اليوم الذي ولد فيه آرام أنوير الحقيقي · ولكن ليس من شك أن السبب الحقيقي لعصبيتي هي المقابلة غير المتوقعة مع (صوفي ياسين) شريطة أن تكون صوفي التي احترقت في السيارة على طريق طنطا قد عادت اليها الحياة وجاءت الى تل أبيب · وزيادة على ذلك كانت صوفي سمراء البشرة شعرها أسود كالليل ومسرح الى الخلف ، وعينيها سوداوين عميقتين كليالي العشاق · أما نعومي التي قابلتها صباح اليوم في تل أبيب فقد كانت شقراء الشعر وعينيها بلون زيت الزيتون وفيما عدا ذلك فقد كان الشبه كبير بين الاثنتين حتى عجزت عن التمييز بينهما ·

باختصار ، كانت حالتي النفسية ، هي الحالة التي يجب على الجاسوس اذا ما وصلها أن يبتعد فورا عن العمل ، ويبحث

له عن مصدر رزق أخف وأسهل مثل العناية بالحيوانات وما شابه ذلك من الاعمال التي لا تتطلب درجة كبيرة من الانتباه والحذر كما هو مطلوب من الجاسوس باستمرار ·

كنت أنا الذي طلبت هذه المقابلة عن طريق مخابرة لاسلكية من مصر لاقابل المسؤول عني · ولكن المسؤول بالطبع لم يجد متسعا ليخصص من وقته جزءا لمقابلتي ، لمقابلة واحد من مئات عملائه المنتشرين في جميع أنحاء المعمورة ·

لم يكن فيشل يتصرف كذلك · ولكن فيشل نفسه قال : ان عهد المسؤولين القدماء قد مر وانتهى ·

وصلت من تركيا في ساعة متأخرة من الليل ، واستأجرت غرفة عند أرملة عجوز · وفي الصباح خرجت بسيارة للمقابلة في مكتب صغير بشارع جانبي تابع للشركة التي تعمل في استيراد الاغذية من تركيا · وأثناء مروري في الطريق شاهدت (نعومي) لقد تغيرت كثيرا منذ لقائنا الاخير حينما لطمتني على وجهي وخرجت بدون أن تقول شيئا · ومع ذلك فهي لم تتغير شيئا · لقد أصبحت نعومي خلال مدة غيابي امرأة ، امرأة مدهشة بجمالها الداخلي الذي يبعث منها · لم يكن بها شيء من جمالها السابق الذي يبهر العين كما كانت صوفي ومع ذلك فقد كان الشبه كبير بينهما · ومع أن نعومي حينما تركتها كانت أشبه بوردة لم تزهر بعد فقد عرفتها اليوم من النظرة الاولى · وعند ذلك غصت في مقعد السيارة وتابعتها بنظري من الشباك وسرعان ما اختفت عن ناظري ، وهنا بدأت السرحان ، هل هي نعومي حقا أم لا ، وأخيرا وصلت مكان الاجتماع وأنا لا أزال سارح الفكر ·

في مكتب شركة استيراد الأغذية التركية (أيمبور تورك) كان ينتظرني الوسيط ، رجل عادى ، ولكن له عقلا داخل رأسه

يمكن به اقامة امبراطورية عسكرية أو اقتصادية أو أن يجعل منه وسيطا مجهولا في شبكة تجسس ، كما هو حاله ·

بدأت حديثي معه قائلا : انني أفهم أن المسؤول لم يكن بوسعه أن يكرس ساعة من وقته الثمين لأحد عملائه الصغار في بلد افريقي غير مهم ·

قال الرجل بهدوء :

لقد طلب مني المسؤول أن أعتذر لك عن عدم استطاعته مقابلتك فهي لم تكن متوقعة الى حد ما · قلت : صحيح فقبل أسبوع فقط أبلغتكم بذلك خلال ساعة الاتصال اللاسلكي الخاصة بافريقيا · قال ·· اننا نعتبر مصر من دول الشرق الأوسط ، كما نقدر هنا عملك بدرجة لا تقل أبدا عما تقدره أنت · قلت ·· وأنا أحاول أن أبدو ساخرا :

لقد شعرت بذلك ، وخاصة قبل شهرين ونصف حينما أبلغتكم أن جميع قاذفات القنابل النفاثة الثقيلة التي تخشونها كثيرا ، متجمعة في مطار واحد لم تهيأ مدرجاته بعد لاستقبال مثل هذه الطائرات · أنا ، أنا نفسي قمت بتجميع الطائرات المصرية هناك ، أنقذتها من طائرات الكانبيرا البريطانية على أمل أن تفهموا الأشارة الصغيرة ·

قال الرجل بهدوء ، لقد فهمنا اشارتك جيدا ، ولكن مطار الأقصر كان ضمن المنطقة المخصصة للطائرات البريطانية ، وقد رفضت هذه الطائرات أن تقصف المطار ·

قلت ، ولكن بعد يومين ، حينما أصبح المطار خاليا من الطائرات جاءت الطائرات الفرنسية السايبر اليه · قال ، لقد تناقشنا معهم يومين كاملين الفرنسيون كانوا يطلبون بالحاح السماح لهم بتدمير الطائرات المصرية الثقيلة ، ولم يسمح لهم

بذلك الا بعد يومين وشريطة أن يتم ذلك خلال ساعات معدودة ٠

تركت الجدال في هذه الناحية وانتقلت الى ناحية أخرى٠

قلت : أفهم بأن تقديراتي ازاء القوات المصرية في سيناء لم توافق عليها الدائرة لأنها لم تكن موثوقة بالنسبة للمصادر الأخرى ٠

قال : تعرف بأننا لا نحدد سياسة وأنما نمرر معلومات عسكرية ٠

قلت : ان هناك أنواعا كثيرة من الخونة ، النوع الأول من الخونة هو الذي يقدم المعلومات للعدو ٠ والنوع الثاني هو الذي يزود المسؤولين عنه بمعلومات كاذبة لينال رضاهم ٠

قال : لا أريد أن أتدخل في السياسة ، ولكن من المؤكد أننا بالغنا جدا في تقدير القوات المصرية عامة وفي سيناء خاصة ٠ ولم نتقبل المعلومات التي مررتها الينا ، حتى عرفنا الحقيقة عندما دخلنا سيناء ٠

وسألته كأنني لا أعرف شيئا :

وماذا وجدتم في سيناء ؟

قال الرجل بما يشبه الهمس :

كانت معلوماتك صحيحة الى درجة كبيرة ، ومع ذلك فرضا أن وجدنا أنك أخطأت في بعض التفاصيل ، فمثلا ، الفرقة الثالثة كانت لها قوات مساندة أكثر بقليل مما ذكرته أنت ومع ذلك فقد كنت صادقا فيما قلته عن السلاح الجوي ٠ فمن مجموع ٢٠٠ طائرة ميج لديهم لم يستخدموا ضدنا قبل أن تبدأ العملية الأنجلو فرنسية سوى (٣٠ـ ٤٠) طائرة فقط ٠ وعرفنا أن طائرة ميج ١٥ ليست ملائمة حقا لمهاجمة القوات الأرضية ، وقد استخدموا هذه الطائرات كغطاء جوي لحماية طائرات الفامباير

والمتيؤر التي كانت تهاجم قواتنا ٠

بدأت أشعر بميل نحو الرجل ، كان صريحا لم يخف شيئا عني ٠

عامان أمضيتهما وأنا أسعى نحو الهدف على الجثث والمآسي وحينما وصلت ضاع كل شيء تقريبا ٠

جلسنا مدة ساعة كاملة ، هدأت خلالها حدتي ، فان دوائر التجسس مثل أي عمل كبير لا تساوي أكثر من الرجل الذي يقف على رأسها ٠ ويومها كانت تمر ببلادي فترة عصيبة ، وانقضى عهد الرجال القدماء وجاء محلهم رجال جدد لم يحتلوا مراكزهم بنجاح بعد ٠ ولذلك يجب علي أن أنتظر ٠ فسيأتي يوم ، يضيق فيه الخناق على بلادي ، وعندها سيهرع الرجال الجدد لفك الخناق ويجب أن أكون قريبا قدر الأمكان من الجلاد الممسك بالخناق ، وما أن تحين الساعة المناسبة حتى أقوم بشل يمينه في ضربة قاضية ٠

بدأ المطر ينهمر بغزارة في الخارج ، وأطبق الظلام على الغرفة وسحبت أنفاسا من بقايا سيجارتي ثم أطفأتها في المنفضة التي كانت أعقاب السجاير تملأها ٠ سنوات طويلة لم أدخن خلالها ، ولكن اليوم أتيت على حوالي نصف علبة السجاير ٠

قلت بعد أن تحدثنا في جميع الأمور :

يقلقني أمر واحد فقط ، وهو أن يأتي يوم وأبلغكم فيه أن جيشا مصريا حديثا ومسلحا بأحدث الأسلحة المصفحة والطائرات السريعة يتوجه اليكم فعلا ، فلا تصدقون ذلك ، وبعد ذلك حينما تجدون الجنود المصريين يتدفقون عليكم تعترفوا أن معلوماتي كانت صحيحة جدا ٠

القسم الخامس والثلاثون

محي الدين يريد مقابلتك

١٣ يوليو ١٩٥٧ ـ الساعة ٠٠ر١١ حتى ٥٥ر١١
(حسب توقيت القاهرة)

كان الرسول الذي جاء الي أمس الأول قد قال لي جملة واحدة فقط « زكريا محيي الدين يريد مقابلتك » ولكن هذه الجملة كانت لها أهمية أكبر من أهمية الأحاديث التي تستمر عدة ساعات ٠ كانت الجملة شبيهة تماما بالجملة التي قالها لي الرسول حينما حضر الى بيتي في اسرائيل قبل ثلاث سنوات لمقابلة فيشل ، وعندها تذكرت ذلك الرسول وتذكرت بيتي البعيد ٠ يومها قال لي الرسول (فيشل الطويل يريد مقابلتك) ٠ وتذكرت أن فيشل حذرني كثيرا من زكريا محيي الدين ٠

ماذا يريد السفاح ؟ قلت في نفسي تلك الليلة ٠

منذ نصف سنة وأنا أمضي معظم أوقاتي في سويسرا ومنزلي في (هليوبولس) بالقاهرة خاليا طوال الوقت ما عدا الزيارات القصيرة التي كنت أعود فيها الى مصر ٠ كانت لي أعمال في سويسرا وكنت أخلط العمل الرسمي بالعمل الغير رسمي ٠ كنت أحب أن أفهم أصدقائي المصريين عن طريق سفري الى سويسرا بأنني رجل مستقل ، تاجر دولي آتي متى شئت ، وأغادر متى شئت ٠ وكنت أحرص على المحافظة على ذلك ، وبقدر

ما كنت أبتعد عن مصر ، وأمضي الوقت بعيدا عنها وكل صفقة تجارية ، كل ذلك يزيد ثقتهم بي ويزيل أية شكوك ضدي ٠ومع ذلك فقد فعلت لهم (للمصريين) الكثير ، فان حرب السويس القصيرة وحرب سيناء ، وخاصة قصف المطارات العسكرية والمنشآت الحربية اقتلعت أنيات الجيش المصري وحطمت سلاحه الجوي وأبقته بدون سلاح مصفح ، وبدون أجهزة رادار ومدافع مضادة للطائرات ، وبدون سيارات عسكرية ولا ذخيرة ٠

وبالرغم من الأنتصار السياسي ، وبالرغم من شحنات الأسلحة التي بدأت تصل من جديد على غرار صفقة الأسلحة السابقة ، فقد كانت مصر لا تزال شبيهة بالمرأة التي تدور في ثياب ممزقة بين الناس ٠ ومن خلال ثقوب الثوب يطل جسدها يجتذب عيون الناس اليها ٠ كان من الضروري أن يسلح الجيش المصري من جديد قبل أن يتمكن الأعداء من تكرار العدوان ٠

قمت بشراء أسلحة خفيفة ، ودبابات نصف مجنزرة ، ومدافع مضادة للدروع لحساب دول مختلفة في العالم ، وخلال ذلك كنت أشتري كل ما تقع عليه يدي لحساب أصدقائي المصريين ٠

ومر العالم بثورة صناعية وثورة فى المعدات الحربية وتراكمت من جراء ذلك أسلحة كثيرة في المستودعات ، كانت الى الأمس تعتبر حديثة ، بينما تحولت اليوم الى خردوات ، فصارت الدول تستبدل بسرعة آلات الدمار القديمة بآلات دمار أحدث ، وتستبدل الطائرات بما هو أفضل منها ٠ وكذلك الحال بالنسبة للدبابات والمدفعية وعرضت جميع المعدات التي استبدلت للبيع لمجموعات القتل من الفريق رقم (٢) ٠ وكان أصدقائي لا يزالون من هذا الفريق ٠ فاشتريت أسلحة لم أشاهدها بعيني وكنت أرسلها بالسفن الى مصر لتوزع على المستودعات ويجرى توضيبها وترتيبها وتسجيلها بنظام ولكن ليست لها أية فائدة ٠

فالدبابات علاها الصدأ بدون أن تجد من يدير محركاتها الكبيرة . مدافع حديثة لم تطلق طلقة واحدة لأن أحدا لم يعرف كيفية استخدام أجهزة التوجيه فيها . أجهزة الرادار كانت تدور باستمرار وتكتشف أجساما غريبة مشبوهة ولكنها ليست سوى طائرات تجارية مسموح لها بالطرق الجوية المعروفة .

ان بلادهم لم تكن بحاجة الى السلاح الحديث ، ولكنهم أرادوا ، ذلك ، فقدمته لهم وأشبعت رغباتهم التي لا تعرف الشبع .

وفي غضون ذلك حرصت على الاحتفاظ بالمظهر الخارجي لحياتي فقد واصلت مصادرة النساء ومعاقرة الشراب ، وكان عملي التجاري يجتذب بنات الجنس اللطيف ، وكان جميع تجار الأسلحة الذين يتعاملون معي يعرفون أنني أقيم لهم في نهاية كل صفقة حفلات صاخبة تشترك بها الفاتنات من الدرجة الأولى .

كان السويسريون يقولون (أنوير باند ـ أي ـفرقة أنوير) لمجموعة الفتيات التي تحيط بي باستمرار وتقوم بتوفير أسباب المتعة والرفاهية لي ولجميع من يتعامل معي .

ولكن اليوم وبعد نصف سنة من الحياة الصاخبة الماجنة أشعر بأن من واجبي أن أعود الى مصر ، ولكن لم يخطر لي من قبل أن الرجل الذي سيعيدني الى مصر هو بالذات محيي الدين الرجل المسؤول عن دوائر التجسس التي من أول واجباتها أن تكتشف أمثالي .

وفي نفس المساء ، أجريت حديثا تلفونيا غريبا مع أحد الأشخاص في سويسرا . وبعد ذلك حجزت مقعدا في طائرة (يونيتد أراب إيرلينز) ستطير غدا الى القاهرة ، وبكرت في النوم ، ولكن النوم ابتعد عن عيني ، وفكرت في أمور كان من غير المستحسن أن أفكر بها ، وقدرت احتمالات وامكانيات ثم

أهملتها وأخيرا وصلت الى استنتاج ، انني لا أعلم شيئا ولا أستطيع أن أعمل شيئا ، ومن المحتمل أن أعثر على السيف المزدوج في بيتي وفي داخله جهاز البث ، ومن المحتمل كذلك أن تكون آثار المشتبه بهم أو أمورا أجهلها هي التي كشفت عن غياب (أنوير) إنني لا أستطيع أن أرفض الذهاب الى مصر ، ولذلك فلم يبق أمامي الا أن أقف أمام الرجل الذي يناديني ، وأمد عنقي لأرى ، هل يلف عنقه حبل المشنقة (؟) .

في بيتي الكائن في حي هليوبولس لم يظهر شيء يثير الشبهة ، وعند مجيئي أسرعت الى الحمام ثم أخذت أتصل مع أصدقائي في التلفون ، وفرحوا لمجيئي وطلبوا أن يروني في أقرب وقت ولكنني أجلت كل شيء الى الغد بعد مقابلتي مع زكريا عبد المجيد محيي الدين وزير الداخلية ورئيس مصلحة الأستخبارات والأمن الداخلي والمستشار لشؤون السودان ورئيس لجنة المراقبة لمكاتب الحكومة . والمشرف على تنفيذ توزيع أراضي الأصلاح الزراعي في مصر .

وخلال الحديث منعت نفسي من الابتسام عدة مرات ذلك لأن وجه الشبه بين محيي الدين وفيشل الطويل لم يكن في المظهر الخارجي فقط ، وربما كنت مبالغ في مدى وجه الشبه بينهما من أجل تخفيف خوفي والتغلب عليه .

كانت خلف قبة قميصي المنشاة ، تلك (الحبة) البيضاء الصغيرة التي تكفل لقتل رجل بعد ابتلاعها بثلاث دقائق ، وكان وجود هذه الحبة يذكرني باستمرار أمام من أقف الآن . وكنت في الصباح قد تصورت بمخيلتي ما سيحدث لي عند دخولي الى مكتب زكريا محيي الدين ، تصورت الحالة التالية : عندما أدخل، يفتح الباب من جديد عدد من رجال الشرطة يدخلون ، وهنا أقف أنا وأدخل يدي بهدوء الى ما تحت قبة القميص وأخرج الحبة البيضاء من تحتها وأبتلعها بسرعة . وقبل أن يتمكن رجال

الشرطة من توجيه بعض الأسئلة الي أكون قد فارقت الحياة ٠

ولكن الأمور سارت على عكس ذلك حينما وصلت مكتب محيي الدين ٠٠٠

(إجلس) قال لي محي الدين وزال بريق العناد من عينيه قليلا ، وجلست محتفظا بهدوء نفسي ومظهري بينما كان قلبي يدق بشدة كعصفور داخل قفص ٠ كنت أعرف أنه لا تفيدني هنا لا الجدية التي تظاهرت بها أمام صلاح نصر ، مدير المخابرات العسكرية ، ولا التودد الزائد الذي كنت أتظاهر به أمام أصدقائي ضباط سلاح الجو المصري ٠ فأمامي يجلس الرجل الذي ضرب بيد من حديد كل محاولة ضد نظام الحكم ، الرجل الذي نجح ـ الى حد ما ـ في اصطيادي بواسطة جاسوسة جميلة * ٠

تفرس محيي الدين بوجهي جيدا ، وبدت عيناه مسالمتان الى حد ما ، ثم قال فجأة بدون أكتراث : عندي سلام لك ٠٠ أرخيت شفتي كأني أستعد بكليتي لتلقي الضربة ، لم أكن أعرف من أي جانب ستأتي الضربة ، ولذلك وقفت مستعدا في كل جانب ٠ من أين السلام ؟ قلت : من والدتك ٠ قال ، وانحسرت أسنانه قليلا ، تماما كما تبدو للشاة أسنان الذئب عند إفتراسها ٠ تلقيت الضربة بدون مقاومة ٠٠ وقلت في نفسي : وهكذا حانت نهايتك يا أبنرجاك (نفس الجاسوس) وانكشف أمرك ٠ ثم قلت له باستغراب :

والدتي ؟ كنت أفكر أنها توفيت منذ مدة طويلة فما الذي حدث ؟ هل علمت بأنني أصبحت رجلا ثريا ؟

كنت جاسوسا ، وكان من واجبي أن أواصل عملية الخداع

---

* المقصود بواسطة صوفي يوسين التي قتلت في حادث السيارة بعد أن امسكت الجاسوس الاسرائيلي متلبسا بالجريمة ٠ (المترجم)

والتضليل الى ما لا نهاية حتى ولو كانت والدتي موجودة بالفعل وتقف وراء الباب ٠ قال محي الدين (كلا) لقد أجريت في تركيا تحريات واسعة عن أعمالك هناك ووجدت والدتك تصارع المرض: هل ماتت؟ قلت بدون اهتمام٠ قال: نعم ماتت قبل أسبوع واحد ، ولكنها استطاعت أن تسمع الكثير عنك وتهديك سلامها٠ لم أحاول أن أتظاهر بالحزن ، فقد مرت أكثر من عشرين سنة لم أشاهد خلالها أمي ، ولذلك فان محاولتي التظاهر بالحزن عليها ستبدو محاولة زائفة مفضوحة ، وقلت لنفسي : ماذا يقصد هذا الرجل من ذلك ؟ ثم قلت له : لقد كانت امرأة مسكينة ، لم تكن حياتها سعيدة : ما رأيك بسلاحنا الجوي ؟ سألني محيي الدين وهو يقوم بقفزة حادة في الحديث تماما مثل قفزات فيشل ٠ لست خبيرا عسكريا وانما أشتري السلاح لأبيعه ولكن لا من أجل أن أستخدمه قلت له ٠

تظاهر مدير المخابرات المصرية بالابتسام ، محاولا قبول جوابي ٠ ثم سألني ٠٠ لماذا أنقذت قاذفات الأليوشن المصرية أثناء عملية السويس ؟ انك بذلك خسرت مبالغ طائلة ،والمعروف أنك تعمل من أجل المال ٠

هنا أحسست بفخ ناعم يطبق علي ، ان السفاح يحاول بالتودد والصداقة أن يحشرني في زاوية ضيقة ، ليرغمني على الاعتراف بأن لي أهدافا غير جني الأموال من التجارة بالسلاح ٠ ثم قلت له : رأيت صديقي ، قائد الأسطول الجوي (صدقي محمود) يكاد يتقطع مع كل قنبلة تسقط على طائراته ، وشعرت أن الأنجليز والفرنسيين يومها يقومون باغتصاب جميع بناتنا ٠

فقال : لقد وصل عدد الطائرات الصالحة للاستخدام عند صدقي محمود الى عدد الفتيات الصالحات للأستخدام فى سلاحه الجوي ٠ وتوقف عند هذا الحد ولم يكمل ، ثم سألني ، ولكن كيف حال فتياتك أنت ؟

لم أرغب في الدخول بهذا الموضوع ولذلك قلت باقتضاب: «بأحسن حال»· قال : ان واحدة من فتياتك ، كانت موفدة من قبلي لتتجسس عليك ، وهنا سدد الي نظرة باردة ، أحسست كأن عينيه تحفران في جبيني وعقلي · وتجمد قلبي وفكري خلت منهما الأحاسيس والمشاعر ، ولكن وجهي المعتاد على الأزمات ظل محتفظا بالمظهر الخارجي الذي لا يكشف عن شيء ، ثم قلت له : من هي جاسوستك ـ دنيا ؟

فهز رأسه نفيا ثم قال : لقد علمت منها أنك لا تعمل من أجل المال والنساء فقط ، مع أنك تتظاهر بذلك · ولكنني تجاهلت كلامه وعدت أسأله عن جاسوسته فقلت : هل هي فدوى ؟ ولكنه لم يجب · ثم قلت صوفي ياسين اذن ، كنت أعتقد أنها تحبني ·

كانت تحبك فعلا ، قال محيي الدين ، ولكن بالتالي شككت أنا بأمرك ، وعلى وجه الخصوص شككت بأنك جاسوس أسرائيلي ·

ماذا ؟ قلت صارخا بحدة ·

سكتنا لحظة ، وكان نظري موجها الى نظره ، الى عيني الرجل المرعب في وادي النيل · كانت نظرة انتقام ، نظرة كراهية ·

يا محيي الدين أفندي ·· قلت وأنا أتعمد استخدام اللقب المكروه وأنا أشعر بأنني أقتطع كل كلمة من جبل الكراهية ·· اذا كان في مصر من يعتقد أنني جاسوس إسرائيلي ، ولم أستطع أن أكمل فقد تحشرج صوتي من الغضب فرد محيي الدين قائلا : (إن إنسانا لا يشك بك اليوم يا أنوير بك) ·

فسألته ساخرا ، لماذا ؟ هل قررت فجأة أن أتوقف عن التجسس ؟

رمقني محيي الدين بنظره ، وأحس بالغضب يتفجر من جسمي فقرر في نفسه أن يهدىء من روعي فقال : ان طائرات الأليوشن ، ما كان أي جاسوس اسرائيلي يحاول انقاذها وهي القاذفات التي تخشاها اسرائيل كثيرا · وحينما علمت بأنك نصحت صدقي محمود بأن ينقلها الى الأقصر كنت أتوقع أن تلحق بها الطائرات المعتدية الى هناك وتدمرها · ولكن الأعداء لم يفعلوا ذلك في اليومين التاليين ولم لم يكن صدقي محمود غارقا حتى أذنيه في أعماله النسائية لوصلت جميع الطائرات الى السعودية وسلمت من القصف ·

هززت رأسي موافقا على كلامه ثم قلت :

حينما حرمت الأسرائيليين من المعدات الجوية التي كانوا يتلهفون للحصول عليها ، وبعتها لكم بسعر أقل من السعر الذي عرضه الإسرائيليون علي··· وهنا أوقفني محيي الدين عن متابعة الكلام بلطف وقال : ان كل جاسوس ماهر كان يسلك نفس المسلك ، والأسرائيليون جواسيس منذ القدم ،منذ أيام (رحاب) · قلت باستغراب : رحاب ؟ · قال محيي الدين باسما : آه ، ألا تعرف رحاب ، إنها عاهرة من أريحا · ثم سألني بشكل مفاجيء : ما رأيك بالعدوان الأسرائيلي في سيناء ؟ قلت لا أعيره أي اهتمام خاص ، فقد كنا جميعا مشغولين بالعملية الأنجلو / فرنسية ·

قال : كذلك أنا لم أهتم بالعدوان الأسرائيلي ، ولكني تعلمت منه أمرين ، أولا ·· لقد ثبت من الخطط الحربية الأسرائيلية أنهم كانوا يجهلون تقريبا توزيع قواتنا في سيناء · وهذا أيضا يرجع الفضل فيه لك · ثانيا ·· سيمر وقت طويل قبل أن يستطيع جيشنا الوقوف أمام الجيش الأسرائيلي ولكن أرجو أن لا تقل هذا في الخارج رغم أنه الحقيقة بعينها ·

قلت : ولكن لم تعط لجيشكم أية فرصة ، بسبب العدوان الأنجلو/فرنسي من الخلف ٠ قال : كلا ٠ وهنا إستغربت لماذا يلقبه زملاءه بالساكت ، فقد تحدث كثيرا وزيادة عن اللزوم ، فهل هذه من صفات مدراء دوائر التجسس ؟ وتذكرت أن فيشل هو الآخر كان يتكلم كثيرا بحضوري ٠ واستمر قائلا : كلا ستمر سنوات طويلة وخلالها يكون بوسع الجيش الأسرائيلي أن يتغلب على قواتنا الأرضية ، ولذلك ٠٠ وقاطعته قائلا ٠٠

الصواريخ ، كنت أعرف أن لهذه الكلمة فعل السحر في جميع بلاد النيل ٠ ولم يكن ذلك سرا ، فالمتحدثون الرسميون أشاروا الى ذلك بوضوح في عدة مناسبات٠ وتخيلت العلماء الألمان يشرفون على صناعة الصواريخ في مصر تحت اشراف البروفسور (باول جاركة) الذي التقيت به كثيرا وكنت أعرف أنه علاوة على عمله بالصواريخ يقوم باجراء تجارب لادخال التحسينات على أجهزة الرادار المصرية ، وعرفت أكثر من ذلك أن جميع أعماله رغم الأموال الطائلة التي تستنزفها لا تجني أية فائدة ٠ فلم يحرز العمل بالصواريخ أي تقدم ٠ ولم أكن أعرف أسباب فشل العمل ، مع أني علمت بوجود الفشل نفسه من العقيد (محمود الدين خليل) مدير الاستخبارات الجوية وهو رجل بدين له شارب تخين أشبه بشارب ضابط الماني ، وقد حدثني عن ذلك قبل ثلاثة أشهر ٠ كذلك أخبرتني (فاندا) سكرتيرة شقراء لمدير مصانع الصواريخ بأنه من الصعب صنع الصواريخ في هذه البلاد ٠

والواقع أن البروفسور (باول جاركة) كان قد ترك مصر فور عملية السويس ثم تبعه واحدا تلو الآخر بقية علماء الصواريخ الألمان ٠ وأخيرا الجالية الألمانية كلها ٠

وقال لي محيي الدين : حينما يشن الجيش الاسرائيلي هجومه في المرة القادمة ، فلن نحتاج الى التضحية بآلاف الجنود٠

فمن داخل سيناء ستنطلق الى الشمال صواريخ موجهة تحمل في رؤوسها كميات قليلة من مادة الكوبالت ٦٠ ومادة السترونيتوم ٩٠ وقبل أن يستطيع الجيش الأسرائيلي من الوصول الى قاعدة الصواريخ نكون قد دمرنا اسرائيل كلها ولا يبق للجيش الاسرائيلي ما يحارب من أجله ٠

ضحكت ، وبنفس الوقت شعرت أن القشعريرة تهزني ٠ فقد تذكرت في هذا الموقف جزءا مصورا من يوميات (هيروشيما) التقط بعد أيام قليلة من القاء القنبلة الذرية عليها ٠ وكانت تبدو في وسط الصورة طفلة محروقة ، ترقص من شدة الألم وهي لا تعرف أنها ترقص رقصة الموت ٠

ونظر محيي الدين الى ساعته ، وكان الوقت المحدد سلفا للمقابلة يقارب على الأنتهاء ، وهنا قال لي محيي الدين ٠٠

(أنا أعرف جيدا بأنك تخدمنا لا من أجل المال فقط ،ولكن يا أنوير بك لا يمكنك أن تعرف أبدا ما اذا كانت المرأة التي تنام في فراشك وتضحك معك هي جاسوسة لي ، فإياك والوقوع يا أنوير بك) ٠

قلت ، أتعهد لك بذلك ٠

قال ٠٠ كنت أعرف أنك ستتعهد به لأنك صديق مخلص لبلادنا وسنكافئك وهكذا أصبحت موضع ثقة رئيس مصلحة الأمن الداخلي ، والذي عين بعد سنة نائبا للريس ثم وزيرا للداخلية ، وفي شهر أكتوبر ١٩٦٥ أصبح رئيسا لحكومة الجمهورية العربية المتحدة ٠

وتذكرت أن أستاذي فيشل الطويل ، أخطأ في نقطة واحدة وهي خوفه من ذكاء وحيلة محيي الدين ، في الوقت الذي لم يستطع محيي الدين بذكائه وحيلته سوى أن يعرف ميولي

ورغباتي ولكنه عجز عن معرفة الدوافع السرية لوجودي هنا ٠

ربما يكون الحظ قد حالفني حتى الآن ٠

لقد علمني فيشل أن جميع أعمال التجسس ليست سوى لعبة (زوج أو فرد) فأذا كان بيدك (زوج) في المرة الأولى ورأيت أن الذي يلعب معك ساذجا فأمسك في المرة الثانية (زوج) أيضا لأن اللاعب سيعتقد أنك تمسك (فرد) ٠ ولكن اذا كان اللاعب ذكيا وصاحب حيلة فأمسك (فرد) لأن الرجل الذكي لا يصدق بأنك ستلجأ الى خدعة بسيطة ٠ ولكن اذا كان لخصمك عقلا كبيرا حادا فامسك في المرة الثانية (زوج) فأنه سيفهم أنك ستمسك (فرد) ٠

هذه هي فلسفة فيشل كلها ٠ على كل جاسوس أن يؤدي الأعمال غير المتوقعة مثل انقاذ القاذفات الثقيلة التي تخشى منها بلاده ٠ ولكن لماذا يفعل ذلك ؟ وهل تكون دوافعه شريفة أم غير شريفة ؟

الإجابة على ذلك عند مدير مصلحة الأمن الداخلي ، وبالرغم من المعلومات الكبيرة المتوفرة لديه ،والجهاز الجبار الذي يأتمر بأمره فأن عقله وقدرته على اصدار الحكم هي وحدها دون غيرها التي تحدد النصر أو الهزيمة ٠

الجزء الثالث

الحفلة

القسم السادس والثلاثون

لماذا تركت مصر ؟

٢٢ أكتوبر ١٩٦٥ ـ الساعة ٣٠ر٠٨ حتى ٠٠ر١١

تسع سنوات مرت تقريبا منذ الحديث الذي أجريته مع الوسيط الأسرائيلي في مكاتب شركة أيمبور تورك ، ولكن ذكرى ذلك الحديث عادت الي خلال الحديث الذي أجريته اليوم ٠ لا لأنه كان شبه بين الحديثين ، وإنما لوجود اختلاف بينهما بالذات

وعلى العموم فقد أصبحت في المدة الأخيرة أميل الى الرجوع الى الذكريات الماضية وأحلم بالصيف ٠ تذكرت أنني قبل تسع سنوات حينما عدت الى إسرائيل ونزلت في تل أبيب ٠ شاهدت في الطريق فتاة شابة تشبه (نعومي) أو (صوفي ياسين) ٠ وعادت الي اليوم ذكريات الفتاتين الوحيدتين اللتين أحببتهما حقا من دون جميع عشرات ومئات النساء اللواتي صادفتهن في طريقي الطويل ٠ الأثنتان أحببتهما وأنا في ريعان الصبا ، في عز رجولتي ٠ والأثنتان أيضا قتلتهما ٠

اليوم أصبحت في الأربعين من عمري ، لم تعد بي حاجة لصبغ شعري ، كما أن معارفي وأصدقائي هنا في مصر كبروا ، وبدأ الشعر الأبيض ينتشر على رؤوسهم ، الريّس ، وعبده ، وصدقي محمود ، وأبو العز ، حتى محيي الدين نفسه ٠

لقد أكلت الثورة أبناءها ، فغالبية الضباط الأحرار الذين يمثلون مختلف الوحدات العسكرية والذين ظهروا في الصورة المعروفة التي تمثل أبطال ثورة ٢٣ يوليو ، اختفوا من المسرح ، أما البقية فكانت النيران تأكلهم ببطء ، النيران التي أشعلوها قبل سنوات ، وازدادت اشتعالا بينما فقدت الثورة حماسها واندفاعها وراحت تمضغ قلوب الذين قاموا بها ٠

السنوات الثلاث الأخيرة كانت أسوأ ما عرفه أصدقائي منذ استلامهم زمام السلطة من الملك حتى اليوم ، فالصحراء اليمنية التي كان يجب أن تكون بمثابة ميدان مناورات وتدريب مؤقت للجيش المصري وخشبة قفز نحو بحار البترول العربية ، تحولت الى حيوان مفترس جائع يفغر فمه ويبتلع الجيش المصري ، ويمتص خيرات البلاد بدون أن يكفي كل ذلك لاملاء معدته ٠ ان الحرب التي كان المفروض أن تؤدي نصر باهروسريع وفي أعقابها البترول ، استمرت سنوات طويلة بدون نتيجة واضحة ، تهدم اقتصاديات البلاد ، وتهدد بالقضاء على المكاسب القليلة التي أمكن تحقيقها بجهود السنين الطوال ثم ظهرت الثغرات في نظام الحكم ٠ أنا نفسي الذي اكتشفت قبل سنة بأن شبكة تهريب المخدرات والأفيون الكبرى كانت متفرعة ومتشعبة أكبر مما كنت أتصور ٠

كنت أتصور حتى ذلك الوقت أنه يرأس تلك الشبكة مدير الاستخبارات العسكرية صلاح نصر ، ومدير المخابرات السرية (علي سمير) وقائد سلاح الجو محمد صدقي محمود ٠ ولكن حينما جذبت بخفة أطراف الخيوط راحت تتكشف لي حقائق غريبة فعرفت أن هذه الشبكة تدار من داخل منزل صديق حميم للرئيس وهو نائبه المشير عبدالحكيم عامر قائد القوات المسلحة المصرية ٠ فقد إستطاع (عبده) بالتحايل والخداع أن يسجل على اسمه مساحات من الأراضي المؤممة ، تزيد خمسين ضعفا عن

المساحات المسموح للمزارع بامتلاكها ٠

من مركز القوة هذا ، وبمساعدة مدير مكتبه المقدم شمس الدين بدران الذي أصبح فيما بعد وزيرا للحربية ، وبمساعدة صلاح نصر ، وعلي سمير ، وصدقي محمود ، استطاع المشير أن يسيطر بسهولة على جميع طرق تهريب المخدرات التي كان نظام الحكم الرسمي يحاربها بشدة ٠

أسطول خاص من سيارات الشحن ، وعشرات السيارات الخصوصية ومئات الرجال كانوا يعملون في وضح النهار في تهريب الحشيشة من لبنان الى مصر ، وحينما كنت أفكر كيف يتم التهريب هذا بكميات ضخمة الى سيناء وصلت الى نتيجة محتومة ، وأبلغت إسرائيل بالأمر ، ولكن سرعان ما جاءتني الأوامر من المسؤولين بالابتعاد كلية عن هذه الأمور ٠

تسع سنوات مرت منذ أن أنذرت الوسيط الأسرائيلي بأنه سيأتي يوم ويتهدد إسرائيل جيش مصري مدرب ومسلح ، ولكن طيلة السنوات التسع هذه كان ضباط الجيش المصري يغرقون في مستنقع متعفن ، وبنفس الوقت أرسلوا الجيش لإغراقه في رمال اليمن ٠

ان ثلاثا من بين أربع فرق للمشاة ، وأكثر من نصف القوات المصفحة المصرية موجودة الآن في اليمن ، ووصلت الى نتيجة حاسمة وهي أنه حان وقتي لمغادرة مصر كما أن جهاز الارسال متعطل عن العمل منذ عدة شهور ، ففككت أجزاءه وأخفيتها واحدا واحدا وواصلت على الإتصالات عن طريق وكيل أعمالي في سويسرا ٠ وكانت جميع المعلومات التي أرسلها عن طريق وكيلي تتأخر بضعة أيام وبذلك تضيع أهميتها وتنتشر على العالم من مصادر أخرى ٠

وهكذا فان مهمتي وصلت الى نهايتها ، ويتوجب علي الان

أن أقول بالإنسحاب المنتظم ، وأنهي أي إرتباط يمكن أن يكشف عن وجود جاسوس اسرائيلي طوال عشر سنوات كاملة في قلب مصر بين زعامتها بالضبط • يجب أن اختفي من هنا ، ثم أنزل في فندق سويسري أو فرنسي ومن جديد أعدم آرام أنوير •

كنت أعرف أن المسؤولين عني سيعارضون انتهاء مهمتي في مصر رغم أن الظروف كلها أوصلتها الى نهايتها الفعلية • ولكني جهزت نفسي للرد عليهم والدخول معهم في معركة عنيفة، ولكن ما أن وصلت ميدان المعركة حتى أدركت بأنني خسرت المعركة قبل أن أدخلها •

الرجل الذي جاء لمقابلتي بعد وصولي الى اسرائيل ، لم يكن مدير الأستخبارات العسكرية الذي كنت أتوقع مقابلته ، وانما قابلني الجندي رقم (١) في أسرائيل وجدته ينتظرني بمفرده في المكان المخصص للمقابلة • وعلى باب الدخول كانت يافطة عليها اسم مشهور ، وحينما قرعت الجرس فتحت الباب امرأة (برتبة ضابط) جميلة وقالت لي : إنه ينتظرك في غرفة الضيوف • حتى هذا الوقت كنت لا أزال أتوقع أن مقابلتي مع مدير الأستخبارات العسكرية ، ولكن ما أن دخلت الغرفة حتى رأيت رجلا آخر ينهض عن مقعده ، رجلا يختلف عن الزعيم مدير الأستخبارات الأسمر •

دخلنا المعركة ، هو يريدني أن أبقى في مصر وأنا مصمم على مغادرتها ، وخسرت المعركة • كان هذا الرجل بذكاء فيشل وأكثر • ولكنه لم يكن مثل فيشل يعتمد الخداع والتحايل ، كان صادقا في كل شيء • شعرت وأنا أمامه أنني أفاوض مدير أعمال حول صفقة تجارية •

وكان وطيد العزم لا يرضخ ، عنيد متمسك بالهدف •
أنا أعرف أنني أستطعت أن أتكلم بلغة فيشل ، كنت

أتحدث بلغة السفراء وتجار الأسلحة مع نساء الطبقة الراقية ، ونجحت في الأمتحان عندما وقفت أمام السفاح المصري ،والضباط الألمان الذين كانوا يعملون لحساب مصر للقضاء على بلادي ، ونجحت مع سكرتيراتهم الجميلات واطلعت على أسرار أجسادهن وعلى أسرار أسيادهن ولكني اليوم أواجه خصما فاقني ليس في الخداع أو التحايل وإنما بالثبات والعزيمة •

ان هذا الجندي الأول في بلادي ، كان مريضا بمرض عسكري قديم ، الطاعة التامة للأوامر وتنفيذها لتحقيق النصر •

قال لي بعد أن قام ومد يده مصافحا ••

شالوم يا سيد رفاعي ، لقد طلبت مواجهة أكبر ضابط يوافق على التحدث معك • لدينا متسع من الوقت ، ولا أحد يعلم بوجودي هنا سوى سكرتيرتي الخاصة • قلت والحارس الذي يقف في الخارج ، ويرتدي لباس عامل بستان ؟ قال صحيح ، ولكن أحدا لن يزعجنا ، كما أن هذا المكان مناسب جدا لك •

كنت قد جهزت خطابا طويلا ، أعددته بحرص ودقة لألقيه هنا ولكني الآن نسيت معظمه ، وما بقي منه تجمد على لساني • هذا الرجل لم يتحدث سوى عن صلب الموضوع ، ولذلك شعرت أن خطابي لم يعد له قيمة فقلت ببساطة : أحب أن أترك مصر • لا أدري اذا كانت هذه الجملة قد أثارت الرجل أم لا ، ولكن ظهرت على وجهه تعابير الفهم الصادق وليس المصطنع ، ثم قال (واضح) وهز رأسه ايجابا • لم تخدعني موافقته السريعة ، فبدأت بشرح الأسباب ، ولكن صوتي الذي كنت أتعمد أن أجعل منه صوتا شديدا خرج من فمي كصوت الأعتذار • أنا موجود هناك منذ عشر سنوات ، وأشعر الآن بأنني أنهيت مهمتي • تبًا لي ، لم أكن في الواقع أريد أن أقول ذلك ، ولكن وجود هذا

الرجل وانصاته المركز ، كان يضايقني ، صحيح أنني اعتدت أن أجادل الخصوم ، وأمضيت سنوات طويلة بين الأعداء وكنت مضطرا لأن أخدعهم في كل حركة وفي كل تعبير على الوجه وبكل كلمة أقولها . ولكني لم أتحدث مطلقا مع رجل كان على استعداد لينصت باهتمام وتركيز لكل كلمة أنطق بها ، ويتقبل سخريتي كحقيقة مسلم بها .

وكلما كنت أستمر في الكلام ، كانت نظراته تبدو مركزة أكثر . حاولت أن أغير لهجتي ، أن أثيره ، أدفعه للجدال ، للمناقشة لأبدي معارضتي الشديدة في الرجوع الى مصر فقلت:

أفهم أنه لا يعنيكم الأمر بشيء أن تبقوني في مصر حتى سن الأحالة على التقاعد ، فأنا لا أكلفكم فلسا واحدا ، بل ربما لا أساوي فلسا واحدا وعلى أي حال فانني لم أشعر حتى اليوم أنكم تثقون بالمعلومات التي أزودكم بها من هناك .

قال .. أعتقد أن عملك هناك يساوي في قيمته لنا ما يساويه لواء مصفح ، ثم سكت ، وطال سكوته فاضطررت لأن أقول : في سنة ١٩٥٦ قدمت لكم تفاصيل وافية عن توزيع القوات المصرية في سيناء ولكن واحدا هنا لم يثق بذلك ويأخذه كحقيقة ، كذلك حشدت يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ أي بعد يوم واحد من العدوان الثلاثي ، جميع قاذفات القنابل المصرية الثقيلة في مطار الأقصر ، وأبلغتكم بذلك ، فلم تفعلوا شيئا . وفي سنة ١٩٥٨ أبلغتكم أن المشاريع المصرية الجديدة لأنتاج الصواريخ والطائرات المقاتلة التي تفوق سرعة الصوت تمر كلها من تحت يدي . وما لا يمر من تحت يدي يمر عبر فراشي . وكل ما لا أستطيع أن أحصل عليه من العلماء الألمان أنفسهم ، كنت أحصل عليه ليلا في فراشي من سكرتيراتهم . وقلت لكم انه حينما تصل تلك المشاريع الى مرحلة نهائية خطيرة ،سأبلغكم بذلك . وحينما بدأ العلماء الألمان بانشاء مدينة الصواريخ ومشاريع الطائرات

أبلغتكم بالتفصيل أن ذلك كله ليس سوى بدع زائفة تمتص مبالغ طائلة من المال وجهودا لا حد لها . وقلت لكم يومها بصراحة انه من واجبنا أن نؤيد ذلك بصورة غير مباشرة ، لأن مصر لا تستطيع أن تقوم بعمل آخر وطالما أن حكامها مشغولين بهذا العمل (صناعة الصواريخ والطائرات) لن يستطيعوا أن يبنوا في بلادهم صناعة عسكرية حقيقية .

ونظرت اليه ، فشعرت مرة أخرى ، أن كل ما قلته كان بلا فائدة . ولكنه بدأ حديثه بصوت منخفض حتى كدت أقوم وأنحني عند رأسه لأسمع الكلام بوضوح .

لا أدري اذا كان ما قلته يشجعك على مغادرة مصر ،ولكننا في القيادة كنا نؤيد المعلومات التي ترسلها ، بينما كبارالمسؤولين كانت نظرتهم الى ذلك غير نظرتنا نحن .

قلت ، ولذلك شنوا الحرب ضد العلماء الألمان عندما ظهر بالضبط أن جميع مشاريع صناعة الصواريخ والطائرات المقاتلة ما هي الا خرافات جوفاء . وفي سنة ١٩٦١ في نهاية العام ، جئت الى هنا وأبلغكم بابعاد العالم (زيجنر) مدير مصنع (الثلاثات) وهو الاسم الذي كان يطلقه أصدقائي المصريين على مصنع (٣٣٣) الذي كان يسعى فيه (زيجنر) الى انتاج صواريخ موجهة . ويومها قلت انه قبل سنة ١٩٧٠ لن تكون لدى مصر صواريخ موجهة من انتاج مصانع (هليوبولس) وفي شهر شباط سنة ١٩٦٢ أبلغتكم بفصل العمال والموظفين الجماعي من مصنع (٣٦) مصنع الطائرات النفاثة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت . وقلت لكم عن مصنع المحركات النفاثة المصنع رقم (١٣٥) الواقع جنوب القاهرة انه يمثل ذروة جنون عبد الناصر . كان في هذا المصنع مهندسون ، يتسلمون رواتب ضخمة يمكن بواسطتها بناء قرى كاملة ، وبعد سنتين من العمل في المصنع ، اضطرت مصر لشراء المحركات من الخارج لتقوم بالتجارب الأولى

للنموذج الاول من الطائرة النفاثة ·

وهنا تذكرت أنه في كرنفال الربيع (عيد شم النسيم)في فندق هيلتون بالقاهرة الذي أنشيء حديثا وأعتقد أن ذلك كان في سنة ١٩٦١ ، قد اشتركت جميع الجالية الألمانية في حفلة صاخبة هناك وقدم الجميع من ضواحي هيلوبولس والمعادي بالسيارات الفارهة مع سكرتيراتهم الشقراوات · وكان الفندق الذي أقيم على أرض فسيحة بالقرب من ميدان الحرية يزدان بمظاهر العيد الجميل · وأنهى الرائد (البغدادي) بصفته مسؤولا عن تخطيط القاهرة شق شارع خاص يؤدي من الشمال الى الفندق ·

أما سكان القاهرة ، الذين كان يزداد عددهم ربع مليون في كل سنة سكان القاهرة الذين كانوا يسكنون في أكواخ من اللبن والطين ،في الأحياء الفقيرةفي (باب الشعرية) و (الموسكي) و (بولاق) و (عابدين) فكانوا ينظرون الى قافلة السيارات الطويلة وهي تسير على الطريق الجديد الى الفندق الرائع · وبداخل تلك السيارات كان يجلس الرجال الذين يدعون بأنهم سيصنعون لفلاحي النيل وفقراء القاهرة صواريخ موجهة ·ولكن اليوم فان جميع العلماء والمهندسين منصرفين الى الرحلات والنزهات والصيد في مياه البحر الأحمر والاستحمام في النادي الرياضي الكبير الذي أقيم في (هليوبولس) ويتمتعون بالحفلات الخلاعية الماجنة مع السكرتيرات · لم أستطع الا أن أشكرهم جدا على الطرق التي يختارون فيها سكرتيراتهم · ويومها عرفت أن اتقان العمل ونجاحه لم يؤخذ له اعتبار عند اختيار هؤلاء السكرتيرات وفي احدى المرات في السابق قلت للعالم (ولفجانج بيلتس) وهو خبير في توجيه الصواريخ وعمل في مصنع الصواريخ النازي (في ـ ٢) يوم كنت أتناول الطعام معه في فندق (شبردس) في القاهرة ـ قلت له ، ان مصانع (٣٦ـ

١٣٥ـ ٣٣٣) بحاجة كما يبدو من أجل التقدم في العمل ، الى سكرتيرات مقاساتهن (٩٠ـ ٦٠ـ ٩٠) ملاحظة (٩٠ـ ٦٠ـ ٩٠) هي أرقام القياسات بالنسبة لملكات الجمال ، ويومها ضحك بيلتس كثيرا حتى سعل أما سكرتيرته التي كانت قياساتهاتشبه تلك الأرقام فقد القت نظرة على جسدها الذي كانت تبرزمفاتنه من تحت الفستان ، نظرة شك ، فضحكت وقلت لها ، يا فاندا، أنك تلائمين جدا مصنع صواريخموجهة ، فجميع الشروط اللازمة متوفرة فيك · ويومها غضبت (فاندا) مني وظلت مدة طويلة تقاوم رغباتي · وبعد ذلك بحوالي السنة ، في أواخر سنة ١٩٦٢ انفجرت رسالة ملفوفة بين يديها فقضت على معالم الجمال في وجهها وصدرها وساقيها بينما كانت الرسالة الملغومة موجهة الى بيلتس نفسه ·

قلت له هامسا ، هل تعلم أنني هددت بمغادرة مصر في فبراير سنة ٦٣ ؟ ذلك لأن مقاومتكم للعلماء الألمان في مصر كنت أعتبرها أن واحدا منكم لا يؤمن بالمعلومات التي ازودكم بها · قلت لكم إن صواريخ عبدالناصر ، الصواريخ التي حملت أسماء كبيرة مثل (القاهر والظافر) لا يمكن أن تصيب حتى دائرة قطرها مئة كيلو متر · ومع ذلك قمتم بمحاولة لاغتيال العالم (كلانيفاختر) الذي جهد طوال ثلاثة سنوات لبناء أجهزةالتوجيه والمراقبة لتلك الصواريخ · كان يجب عليكم أن تقدموا له هدية وليس محاولة اغتيال ·

قال ·· اذا كان كل جندي يستطيع أن يقرر متى يترك الموقع الذي يرابط فيه فلا حاجة بالمرة للعدو · يجب علينا في حديثنا هنا أن نبطل استعمال بعض الكلمات ، إن الجندي لا يستطيع أن يهدد ، ولا يحق له التصرف ، بل من الأفضل له أن يتظاهر بأنه لا يعرف شيئا في مجال الاعتبارات السياسية ·

فبذلك تسهل عليه مهمته ، ربما كانت مقاومتنا للعلماء

الالمان غلطة كبرى ٠ ولكن ربما أنقذتنا من كوارث كبيرة أيضا٠ ان هناك مسؤولا أكبر مني ومنك ، وهو المخــــول في اتخاذ القرارات بهذا الشأن ٠

قلت ٠٠ ولكن لا يزال من حقك أنت أيضا أن تقول أيهـــا السادة هذا العمل ملائم أو غير ملائم ٠ واليوم وبعد عشر سنوات من العمل الشاق المضني أرجو اعفائي من العودة الى مصر ٠

تنفست الصعداء ، وكأن حملا ثقيلا قد سقط عن ظهري ، ورأيت الرجل ينهض ويقترب من الباب ويفتحه ويقول للضابطة التي وقفت هناك: قدمي للضيف القهوة وشيئا من الطعام وكذلك لي ٠

ثم عاد الى مكانه ، وتذكرت أنني نسيت شيئا فقلت : لقد مر على وجودي في العمل أربعة قادة للجيش الاسرائيلي ، وأربعة مدراء للاستخبارات العسكرية ، وفي عهد كل منهم كان يعلم بوجودي وعملي في مصر عدد كبير من المسؤولين وهـــذا يعرضني للخطر ٠ قال : ان هذه المشكلة لا أستطيع أن أحلها ٠ قلت : على أي حال ، فان الجيش المصري سيظل عاجزا عن العمل عدة سنوات ، ان حوالي ثلاثة أرباعه موجود في اليمن تتلقى الضربات الجسمانية والنفسانية ويفقد الجنود هناك صفاتهم جنود مقاتلين٠ وبذلك فان مصر لا تشكل علينا أي خطر في السنوات القريبة، فلماذا أبقى هناك ؟ يبدو أنني بدأت أتحول تدريجيا الى عضو مخلص في الزعامة المصرية ٠٠ نساء ، وأموال ، ومجون ٠ ومن ناحية أخرى فان جهاز الارسال عندي متعطل عن العمل ، هو الآخر يشعر بعدم الحاجة اليه هناك ٠

دخلت الضابطة تحمل القهوة وبعض الاطعمة ، وأزحت وجهي الى ناحية أخرى لئلا تعرفني أو أعرفها ٠ وقلت : ان الزعامة المصرية الآن غارقة في الفساد ومنقسمة على نفسها ، فالمشير

عامر ، ووزير الدفاع شمس الدين بدران ، وصلاح نصر مدير الاستخبارات العسكرية ، واللواء عبدالله هلال ووزير الداخلية عباس رضوان وصديقي صدقي محمود قائد سلاح الجو كل هؤلاء ومعهم الكثيرون يشكلون مجموعة متحدة جدا تسعى الى دفع المشير الى الأمام والصعود معه ٠ أما قائد القوات المسلحة محمود فوزي ، وعدد من كبار الضباط الذين لهم ماضي عسكري كبير مثل سعدالدين متولي وعبدالمنعم رياض واللواء شاذلي وصديقي اللواء أبو العز من سلاح الجو بتأييد من علي صبري مساعد الرئيس يقاومون مجموعة المشير عبدالحكيم عامر ٠

قلت لكم إن إثنين من كل ثلاثة ممن يتخرجون من دورات الطيران النفاث في روسيا يبعدون عن أي منصب في سلاح الجو لسبب ميولهم اليسارية ، ويبعدون الى قواعد نائية ليست فيها بالمرة طائرات نفاثة وبعد نصف سنة يفقدون كل ما تعلموه في تلك الدورات في روسيا ٠ ولهذا السبب هرب اليكم الطيار محمد حلمي ٠

في الأسابيع الأخيرة جرت عدة محاولات لاغتيال الريس ٠

الاقتصاد المصري على وشك الانهيار بسبب أعباء حرب اليمن ٠ فالموازنة الحربية البالغة ٤٠٠ مليون دولار تحرم القطاع الاقتصادي من موازنته ٠

شعرت أنني أبالغ في رسم الصورة عن مصر لأجعل هذا الرجل يوافق على عدم عودتي ٠

قال : في قيادة الجيش الألماني أقام ضابط انجليزي ٠ وكان قد زرع في القيادة فور انتهاء الحرب العالمية الأولى وظل في القيادة مدة ١٣ سنة حتى تسلم هتلر الحكم ٠

أصابتني القشعريرة ، وأدركت أنني هزمت أمام هـــذا

الرجل · أدركت أنني سأعود اليوم الى تركيا فمصر أحمل في حقيبتي جهاز لاسلكي جديد بدل الجهاز المتعطل ·

وقال الجندي الأول في اسرائيل لي :

سنحتاجك في يوم من الأيام ولو لمدة ساعة واحدة فقط · ولكن تلك الساعة ستكون هامة · فعليك أن تنتظرها · وقال لي شيئا آخر :

ابحث لك عن هواية تشغل وقت فراغك الطويل : أنا أمثل هوايتي التصوير · قلت : شكرا لهذه النصيحة مع أنني سمعتها قبل احدى عشر سنة من الانسان الذي زرعني في مصر ، ومن الانسان الوحيد الذي أحببته واحترمته ، وأنا أنفذ تلك النصيحة منذ عدة سنوات ، وأمارسها في مصر ·

ثم نهضت وأحسست بأن ظهري يؤلمنــــي من الجلوس المستمر ·· لم أعد شابا ولا أدري كم من الوقت سأمضي في مصر من جديد · ولكني أعرف أن الجاسوس الانجليزي أقام في قيادة الجيش الألماني مدة خمسة وعشرين سنة ، وكان كل عمله يقتصر على تمرير معلومات بسيطة ، واغراء هتلر سنة ١٩٤٥ على أن يرسل الى الجبهة الغربية فرقة عسكرية حديثة ليست لهـــا خبرة عسكرية ، وبذلك انهزم هتلر ·

القسم السابع والثلاثون

تدمير سلاح الجوّ الاسرائيلي في ساعتين

٣٠ أكتوبر ١٩٦٦ ـ الساعة ٤٥ر٢٠ حتى ٠٠ر٢٢

(حسب توقيت القاهرة)

في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢ قام ثـلاثة اخـوة يلبسون الطرابيش الجميلة والبدلات الأنيقة باجراء أول رحلة طـيران تجريبية بطائرة تدريب عسكرية · وبعد مدة أعلن عن هذا اليوم بأنه يوم تأسيس سلاح الجو المصري · واليوم وبعد مرور أربع وثلاثون سنة احتفلنا بذكرى ذلك اليوم وأقمنا حفلة ضخمة · وقد احتفل بعيد سلاح الجو في جميع المدن المصرية وحتى سكان أكواخ اللبن أتيحت لهم فرصة مشاهدة التمارين الجوية التي قام بها سلاح الجو على طول نهر النيل من الاسكندرية حتى أسوان · والواقع أنه كان لسلاح الجو ما يفاخر به ·· فبعد سنوات طويلة من التقدم أصبح لنا ما نستعرضه · وحينما أقول (لنا) أقصد مصر ذلك لأنه بعد عودتي من اسرائيل قبل سنة الى مصر استدعاني محيي‌الدين الى مكتبه ، وعينني عميلا سريا له في سلاح الجو المصري · ومع أن هذا التعيين لم يكن رسميا بالطبع الا أنه منحني ، لأول مرة ، صلاحية فعلية لأقوم بما كنت أقوم به طوال عشر سنوات بدون صلاحية وهو التجسس على

كل ما يجري في السلاح . وأثناء الحديث الذي دار بيننا في مكتبه ، تسرب الى قلبي مرة أخرى التفكير الذي كان يقلقني دائما منذ وجودي في مصر وهو أنني أقوم بأكبر عملية خداع وتضليل . ولكن بعد أن صدرت الي التعليمات بالتجول في جميع منشآت سلاح الجو المصري ، زالت مخاوفي ولكن توجب علي الآن أن ألعب لعبة مزدوجة وثلاثية ، وهي أن أتجسس على صدقي محمود وهو بنفس الوقت صديقي ، وأطلع محيي الدين عن ما يجري في سلاح الجو . ولكن ليس كل ما يجري ، وأخيرا علي أن أؤدي المهمة التي من أجلها أرسلت الى هنا وهي أن أنقل الى المسؤولين عني في اسرائيل ، بواسطة الاتصال اللاسلكي والرسائل ، معلومات عن سلاح الجو والجيش المصري .

وقع لي حادث بعد زيارتي لاسرائيل قبل سنة . ويبدو أنني تأثرت جدا بشعور البقاء في مصر الى الأبد ، حتى يأتي يوم لا أعود أسيطر فيه على أعصابي ، فأستدعي الى اسرائيل لئلا يفتضح أمري . وعندها ماذا سيكون مصيري في اسرائيل ؟ تخيلت أحيانا بأنه حينما تصدر الي الأوامر للعودة ، سأرفضها ، فمنذ عودتي لاسرائيل تخليت عن التظاهر بأنني انسان لا يرتبط بأحد . وانما التصقت بمصر كغريقين يتمسك أحدهما بالآخر ، وكل منهما يمنع صاحبه من النجاة . فطالما أنا موجود هنا ليس لي مستقبل ولا ماضي ، ولكن بنفس الوقت ليس للجيش المصري أي احتمال ولا لسلاح الجو في أن يقررا مصير الشرق الأوسط ، مثلما تنبأ فيشل قبل سنوات .

كذلك فقد وقع حادث لسلاح الجو والجيش المصري في السنة الماضية تماما مثلما تنبأ الجندي الأول في اسرائيل قبل بضعة شهور فقط . فقد خرج نظام الحكم المصري من المصائد التي ورط نفسه فيها وأتاحت اتفاقية (جدة) للريس بأن يقلل عدد قواته المسلحة في اليمن وبذلك أطفأ النار التي

ظلت تلتهم الكتائب والألوية والفرق عدة سنوات . وأصبح لديه الوقت الآن ليوجه الجهود لتعزيز الجيش . وتنفست مصر الصعداء ، ومع أن ذلك التنفس لم يصل الى أكواخ الفلاحين على نهر النيل الا أنه وصل الى مساكن الضباط وخيام الجنود . وكانت القناة المؤممة تدر بمبالغ كبيرة من المال . وتقدمت الشقيقة الكبرى (المقصود الاتحاد السوفياتي) بمساعدات عسكرية ضخمة ، وأصبح باستطاعتنا هذا العام أن نفاخر بميزانية عسكرية قوامها (نصف مليار دولار) . وتخيلت أن الجيش المصري سينمو وينمو ، ففي كل عام كانت تنضم اليه فرقة مشاة جديدة بالاضافة الى لواء مصفح كامل . ولكن النمو أصاب أكثر من غيره السلاح الذي يرأسه صدقي محمود الذي أصبح الأب الفخور في بلاد النيل . فاستبدلت الطائرات القديمة بطائرات الميج الحديثة ، وملأت المطارات طائرات الاليوشن الثقيلة ، وطائرات النقل التي بوسعها نقل سرايا كاملة من الجنود مع جميع تجهيزاتهم ، كل هذه كانت ترابط في مطاري ألماظة والقاهرة غرب . وبلغ سلاح الجو ذروته بوصول طليعة الطائرات القاذفة البعيدة المدى من طراز (طوبوليف) وهي طائرات ضخمة تستطيع حمل عشرة أطنان من القنابل والمتفجرات الى مسافة ٢٠٠ كيلومتر . ونزلت هذه الطائرات في مطار القاهرة غرب ، ترتفع عن أرض المطار بمعدل طابقين وتظهر الطائرات الأخرى الى جانبها كأقزام . وحينما رأيت آلات الدمار المرعبة تلك ، ومجرد النظر اليها يلقي الرعب في الانسان ، رأيت أن من واجبي أن أجد الوقت المناسب لأتسلل اليها وأدمرها ولكن سرعان ما أبعدت عن فكري هذه الخاطرة المعتوهة . ان مهمتي ستكون ، في يوم من الأيام ، هي أن أعرض جميع طائرات سلاح الجو المصري بعوراتها بدون غطاء تماما مثل النساء العاريات اذا جاز استخدام هذه المقارنة المألوفة عند صدقي محمود والبقية يقوم بها غيري .

قبل أسبوعين تسلمت رسالة من عميل المخابرات الاسرائيلية في سويسرا ألا وهو وكيل أعمالي (زيجفريد لاها) ويقول في رسالته تلك أنه في ضوء التغييرات في صناعة الفولاذ في العالم فانه يقترح علي أن أستبدل جميع أسهم الفولاذ العائدة لي بأسهم في مصانع المواد البلاستيكية • وأبلغني كذلك أنه نفذ جزء من اقتراحه وخلال تلك المدة القصيرة ازدادت قيمة أسهمي المستثمرة في المصانع البلاستيكية • واقترح علي أيضا أن أنسحب من المساهمة في شركات الملاحة ، لأن هذا المجال على وشك الانهيار بسبب التطور السريع في النقل الجوي •

ابتسمت وأنا أقرأ رسالته • فالى جانب مهمتي الرئيسية كجاسوس سري للمخابرات الاسرائيلية كان (لاها) يعتقد بجد بأنني رجل أعمال في البورصة الدولية • كان يؤمن بسذاجة بأنه يهمني فعلا أن ترتفع أو تنخفض قيمة أسهمي • فجميع أموالي الموجودة في سويسرا ليست سوى حجة ، ذريعة ، تغطية لعملي الحقيقي ، ولكن يبدو أن الله يعطي خيراته لأولئك الذين لا يريدونها •

أذكر أنه خلال وجودي في اسرائيل الى جانب صديقتي (نعومي) كنت أناقشها طويلا ، حول المشتريات الضرورية التي لا بد أن نشتريها بالمبلغ البسيط الذي نستطيع توفيره في نهاية كل عام • كنا نعشق الصور والكتب والاسطوانات ونجلس عند المساء في غرفتنا الصغيرة نربي أطفالنا ، ويومها كنا فقراء ، نحسب الحساب لكل مبلغ زهيد • أما اليوم فأنا من أكبر الأثرياء ، والأمر الوحيد الذي لا أزال أتوق اليه في خفايا قلبي ولكني أخفيه عن نفسي حتى لا يغريني هو الأمر الوحيد المحظور علي حظرا باتا وأعني بذلك الحب الحقيقي •

وظيفتي ، عملي الرئيسي ، مهمتي السرية هنا ، تحرمني بل تمنعني منعا باتا من الحب الحقيقي ، ولكنها تسمح لي بأن

أعوض ذلك فان كل سيدة وكل فتاة في مصر ترى أنه شرف عظيم لها أن تمضي ليلة واحدة في فراشي •

أنا اليوم غني ، ومن الشخصيات القليلة في مصر التي لا يتوجب عليها أن تخفي ثروتها عن العين ، كنت مشهورا ومعروفا وليست من امرأة تستطيع مقاومتي ورفض مطلبي وكنت في مركز قوة ، وأمام القوة تطأطىء رأسها أعز امرأة •

وبعد أن أنهيت مطالعة الرسالة التي وردتني من (زيجفريد لاها) نزعت عنها طابع البريد ، وتحت الطابع كانت النقطة الصغيرة السوداء بحجم رأس الذبابة وصورت تلك النقطة وكبرتها حتى أصبحت بحجم صفحة في دفتر تلميذ ، وعليها رأيت الأرقام واضحة • كان الرقم الأول يدل على الرمز الذي يجب علي أن أستخدمه لمرة واحدة ليتعذر على الآخرين حله ومعرفة فحوى الاتصالات اللاسلكية أو الرسائل اذا تكررت بنفس الرمز الأول •

حولت الأرقام الى حروف ، وجمعتها في كلمات وكانت (من المسؤول الى روما . أرسل معلومات عن التوزيعات العامة لسلاح الجو ، واذكر بدقة تاريخها • ماذا تعرف عن صواريخ (لونا ـ ١) •

أبلغت (زيجفريد لاها) في رسالة جوابية بأنني أوافق على مقترحاته بخصوص أسهمي ، ولكنني طلبت منه أن لا يبيع جميع أسهمي في شركة الملاحة • وأدخلت الرسالة الى مغلف ، وتحت طابع البريد وضعت نقطة سوداء بحجم رأس الذبابة وكانت بهذا المعنى :

(الى المسؤول من روما ـ وصلتنا أكثر من ١٢ طائرة من طراز طوبوليف ١٦ وهي موجودة في مطار القاهرة غرب، طائرات اليوشن ٢٨ موجودة في ابو صوير والأقصر وعددها معا ١٦

طائرة . ستصلنا طائرات ميج ٢١ أخرى وعددها حاليا حوالي ٥٠ طائرة . منها سرب في مطار القاهرة غرب وسرب في مطار انشاص وسرب في أبو صوير وسرب في فايد . لدينا طائرات ميج ١٩ وعددها حوالي ٣٠ طائرة ، لن نحصل على أكثر من ذلك وهي موزعة في مطاري (فايد وبير كفكفا) . لدينا حوالي ١٠٠ طائرة من طراز ميج ١٥ وميج ١٧ ولكنها ستخرج من الخدمة تدريجيا ، وهي موزعة كالتالي.. أسراب في مطار كبريت وسرب واحد في العريش الخ... ، ولما وصلت عند نهاية الرسالة السرية وذكرت عبارة (سربان من طائرات مسوكي ميل ٦ وميل ٤ في ألماظة) نظرت الى الورقة وأدركت أنه حدث أمر كبير في بلاد النيل منذ زيارتي الأخيرة لاسرائيل قبل حوالي عام . ولذلك أضفت الى الرسالة جملة أخرى قلت فيها :

« يقولون أنه بعد سنة سنحصل على صواريخ (لونا-١) ذات مدى ٨٠ كم » .

ربما كانت هذه الجملة الأخيرة تنطوي على تهديد مخفي أكثر من بقية الرسالة الطويلة .

كان يجلس على المنصة جميع أصدقائي ، مثقلون بالرتب العالية والأوسمة وبينهم قائد سلاح الجو المصري الذي كان وجهه يدل على أنه رجل حربي . وجمال الدين محمود عفيفي الذي كان يحمل رتبة فريق ، وصديقي دغيري ، ولبيب ، وكانا يفاخران برتبة (أمير لواء) بعد أن رفعا اليها منذ مدة قصيرة .

وعلى نفس المنصة كان يجلس خصوم صدقي محمود في السلاح وهم العقيد مذكور أبو العز والفريق مصطفى الحناوي وكان الاثنان قد أبعدا عن المراكز الحساسة ، فأبو العز كان في قاعدة أسوان ولقبه كان قائد القطاع المسؤول عن مطارات الأقصر ، الغردقة ، أسوان ، ورأس بيناس . ولم تمض سنة

واحدة فقط على جلوسهم على تلك المنصة حتى جلس معظمهم في السجن العسكري المركزي ، ومعهم قائد السجون نفسه أما أبو العز فقد أقيل من سلاح الجو ليحل محله (الحناوي) .

ولكن لماذا أستبق الحوادث ، وعلي أن أعود الى ذلك اليوم والجميع جلوس على المنصة ، ويومها قوبل صدقي محمود بعاصفة طويلة من التصفيق حينما قال « لدينا أكبر قوة جوية ضاربة في الشرق الأوسط ، فان القاذفات الحديثة التي نملكها وهي مزودة بالصواريخ ، وكذلك الطائرات المقاتلة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت تستطيع أن تدمر المطارات الاسرائيلية بجميع الطائرات الموجودة فيها خلال ساعتين فقط . اننا لا نخشى صواريخ الهوك الموجودة في اسرائيل ولا من شبكات الرادار الموجودة عندها. فان طائراتنا ستقلع باتجاه المطارات الاسرائيلية على ارتفاع منخفض خارج عن نطاق مقدرة شبكات الرادار ، وتحت مدى انطلاق صواريخ الهوك . ولدينا كذلك معدات الكترونية حديثة تستطيع أن تشوش وتعرقل عمل شبكات الرادار الاسرائيلية » .

وارتفع التصفيق الحاد كقصف الرعد الهادر مدة دقيقتين متواصلتين أنا أيضا صفقت تأدبا مع أن تصفيقي لم يكن بحماس، فأنا لست طيار مصري والرجال حينما يصلون الى شيء لا يتحمسون لأقل شيء .

جلس صدقي محمود ، وجهه مشرق . وتذكرت في حينه أحد أيام سنة ١٩٥٨ ، ففي ذلك اليوم كانت الطائرات المصرية تقوم بالتقاط الصور لمختلف الأهداف في النقب واستمرت في عملها ذاك عدة أسابيع ويومها أبلغت اسرائيل بذلك ، فكمنت لها طائرات المستير الاسرائيلية وأسقطت اثنتين منها من طراز ميج ، وفي مساء ذلك اليوم القى الريس في (ميدان الحرية) خطابا أمام الجماهير المحتشدة قال في بدايته :

« أحب أن أبشركم ببشرى سارة يا اخواني ، هذا اليوم اشتبك طيارونا البواسل مع الطيران الاسرائيلي فوق منطقة غزة وأسقطوا طائرتين اسرائيليتين ـ ودوت هتافات الجماهير في الميدان تشق عنان السماء • وكنت أثناء ذلك أجلس في الشرفة المخصصة لكبار الشخصيات ، استغربت ما قاله الرئيس عبد الناصر ، وقلت في نفسي هل خدعوه ، أم أنه يعرف الحقيقة ولكنه ينكرها ؟ تذكرت كذلك الليلة التي غنت فيها أم كلثوم طيلة ست ساعات متواصلة أمام الجماهير التي كانت تحضر حفلتها ، وملايين المستمعين والمشاهدين في مختلف أنحاء العالم وكان الرئيس عبدالناصر نفسه في تلك الحفلة في الصف الأول تحيط به حاشيته من كبار المسؤولين ، ربما حضر ليظهر نفسه أمام الناس ومع ذلك رأيت أنه خلال الحفلة انجرف هو الآخر وراء سحر الموسيقى والكلمات والصوت وفقد تدريجيا الشعور بالمكان والزمان •

هل هذه الأمة غارقة في أحلامها وخيالاتها ؟

هل كان الريس بالفعل ومعه حاشيته عبارة عن (طبعة جديدة) عن الفلاح المصري الفقير الممدد في كوخه بعد أن اشترى حشيشة الكيف في آخر مبلغ زهيد بحوزته ، وراح يدخن وينتقل الى عالم آخر ، عالم الحواري الحور العين اللواتي يكافأ بهن المؤمن على صبره في عالم الدنيا ؟

الفريق أول محمد صدقي محمود ، من زعماء شبكة تهريب الحشيشة الى مصر ، الرجل الذي يوزع وقته بين الطائرات والنساء ولم ينم في بيته ثلاث ليال متوالية ، هذا الرجل هل كان يؤمن حقا أن باستطاعته أن يدمر ، وخلال ساعتين فقط ، سلاح جو العدو ، أم أن خطابه كان عبارة عن التظاهر بالقوة فقط ؟ وهل باستطاعته أن يفرق بين التظاهر بالشيء والايمان الحقيقي به ؟

انتهت الخطابات ، وقام طيارو النفاثات وضيوفهم وفتياتهم الى تناول الطعام والشراب والرقص • كذلك قمت أنا وانضممت الى مائدة كبيرة بجانب المنصة خاصة قائد السلاح نفسه • ولما التقيت به قلت له : يا صدقي محمود كنت تتحدث من قلوبنا كلنا ، ان رجالنا يريدون الآن أن ينفذوا ما وعدتهم به ، وأنا أنتظر الدعوات المتتالية التي ستوجهونها لي بعد أن تنتصروا •

ضحكنا من قلوبنا، فنحن صديقان قديمان، رجلان كبيران، نعرف قيمة المال ولكننا نعرف أن المال وحده لا يلبي كل شيء • فعلاوة على المال والملذات هناك أيضا الاخلاص لبلادك ولشعبك وللعمل الذي أنيط بك ، ولشرفك كرجل ، ينفذ ما يلقى عليه •

وبعون الله ورحمته تتوفر أيضا الفتيات الحور العين والدقيقات القوام •

القسم الثامن والثلاثون

ذاهبون لتحرير فلسطين

١٤ مايو ١٩٦٧ ـ الساعة ٢٠ر٩ (حسب توقيت القاهرة) حتى

١٥ مايو ١٩٦٧ ـ الساعة ٠٥ر١٤ (حسب توقيت اسرائيل)

دق جرس التلفون أكثر من مرة حتى أفقت من نومة الصباح الثقيلة وتلمست السماعة وأدنيتها من أذني :

هلو ، قلت بصوت مبحوح ٠

وجاء ، من بعيد ، صوت اللواء محمد لبيب رئيس فرع الدفاع الجوي في الجمهورية العربية المتحدة :

هاي ، يا أنور بك ، دائما أنت بالفراش حينما تحدث أمور هامة ٠

لم أكن أرغب في المزاح في هذه اللحظة ، فقبل ثلاثة أيام لزمت الفراش بعد أن شعرت بآلام في جميع أعضائي ولا أزال متوعكا بعض الشيء ٠ ومع أنني اليوم في سن الرابعة والأربعين وأبدو كحيوان بري قوي ، الا أن المرض أقلقني ٠

ماذا حدث يا لبيب ؟ قلت ٠ وأضفت : ولمعلوماتك فأنا في الفراش لوحدي ٠

هاها ٠٠ جاء صوته وقال : ان التاريخ سيذكر لك ذلك ، ففي اليوم الذي خرج فيه جيش الجمهورية العربية المتحدة لابادة اسرائيل لزم آرام أنوير فراشه ، وبدون امرأة هذه المرة ٠ تعال يا كسلان لترى كيف نذهب الى فلسطين ٠

احتارت الأمور في رأسي ٠ هل يمكن أن يكون لبيب سكرانا ؟ فما للجيش المصري وفلسطين ؟ فالحدود منذ عشر سنوات هادئة ، قوات الطوارىء الدولية تفصل بين الطرفين المتخاصمين ، بل ان الريس نفسه قال : ان حل قضية فلسطين مسألة تحتاج الى سنوات طويلة ٠

هل أنت سكران يا لبيب ؟قلت وأنا أصحوا رويدا رويدا ٠

كلا ، أجاب لبيب ، وبصورة جدية ٠ ثم أضاف : ستعقد القيادة العامة اجتماعا في الساعة الحادية عشر ، وأرى أن تحضر الاجتماع ، فلا بد أنهم سيحتاجون اليك ٠ والآن تحركت الفرقة الثالثة من قاعدة المعادي ، وهي تمر بشوارع القاهرة الى جبهة سيناء رأسا ٠ وهذه المرة ستحل قضية فلسطين الى الأبد ٠

وصحوت تماما ٠ فمهما كان الجنون من وراء ما يجري فان أمرا واحدا واضحا أمامي وهو أن لبيب لم يكن يمزح ولم يكن سكرانا كذلك ٠

كانت صور الريس ترتفع فوق رؤوس الجماهير الى جانب شعارات مكتوبة بخط جميل تدعو الى (الثأر الثأر ـ و ـ تحرير فلسطين) وأصوات الجماهير الهادرة تصم أذني وسألت نفسي: ماذا يجري هنا ؟ هل هذه مظاهرة للجماهير المتحمسة أم شيء آخر أكثر تنظيما ؟ من الذي أعدّ آلاف اليافطات والشعارات ؟ من الذي طبع في المطابع نداءات الحرب وألصقها على اللوحات ؟ الموت لليهود ٠ صرخ بجانبي رجل يلبس رداء أبيض ويرفع شعارا يقول : الجهاد لتحرير فلسطين ٠

كانت الجماهير تتزاحم في الطرق والشوارع وتملأ ميدان التحرير ، وكانوا يسيرون الى الأمام نحو هدف غير منظور ، أفواههم فاغرة والشعـــارات في أيديهم تبدو كقطع سلاح مشهورة • وتحولت القاهرة الى مدينة مليئة بالصبيان والفقراء، فقد جاؤوا اليها من الأحياء الفقيرة المعتمة مثل باب الشعريـــة والموسكي •

ان مدينة القاهرة ، أكبر مدن العالم ازدحاما بالسكان ، والتي كاد عدد سكانها يزداد كل عام بنصف مليون نسمة ، تبدو الآن وكأنها قد قذفت الى الشوارع الجميلة على ضفاف النيل فائض سكانها •

طوابير طويلة من المخلوقات ، لا نهاية لها غطت الشوارع والميادين التي أنشأها عبداللطيف البغـــدادي في السنوات الأخيرة • وبصعوبة بالغة استطاع رجال الشرطة أن يفسحوا طريقا للوحدات العسكرية القادمة • وحينما وصلت سيارات الشحن العسكرية الروسية الصنع وبداخلها الجنود يلوحون ببنادقهم أفسحت لها الطريق وتراجعت الجماهير الى الأرصفة ثم عادت الى الأمام • وكانت السيارات تتحرك ببطء بين الجماهير المحتشدة الهائجة تشق الطريق شرقا نحو طريق الاسماعيلية •

لقد علمني فيشل بأن لا أناقش الحقائق • ومع ذلك فلم أستطع أن أصدق ما تراه عيني • ففرقة المشاة الثالثة في جيش الجمهورية العربية المتحدة والتي كانت ترابط حتى هذا الوقت في معسكر المعادي على بعد بضعة كيلومترات جنوبي القاهرة بالقرب من الأحياء الراقية التي كان يقيم فيها أصدقائي العلماء الألمان • هذه الفرقة تتحرك الآن عبر المدينة وأعلام الوحدات ترتفع على السيارات • وكانت القافلة تتحرك باتجاه المنطقة التي تقع فيها مباني السفارات الغربية • وحدة وحدة ، سيارات النقل الكبيرة ، المدافع المجرورة ، ودبابات تي ٣٤ تحملهـــا

الناقلات الضخمة وسيارات محملة بالجنود يلوحون ببنادقهم ويشيرون الى رشاشات جورينوف المحمولة على عجلتين وأفواهها الى السماء • وواصلت الجماهير هتافاتها ، وعندها أدركت أن الأمر جد • ثم مرّت وحدات الصاعقة المصرية التي يقودها (جلال هريدي) الى فلسطين الى فلسطين ، قال أحد الأصوات وتبعتـه الهتافات والتصفيق الحاد •

وعادت الى المرور سيارات النقل الروسية المزوّدة بعجلات يمكن تفريغها أو تعبئتها بالهواء حسب ظروف الطريق •

نظرت الى ساعتي ، مرت ساعة على وجودي هنا وأنا أقف كالمشدوه ، وبعد عشر دقائق ستعود المحـــطة الرئيسية في اسرائيل للاتصال بي بعد مرور ثلاثة أيام من الانقطاع بيننا •

غادرت مكاني وتوجهت مسرعا نحو سيارتي التي كانت تقف في شارع فرعي ولكن تأثير المشهد لم يفارقني • وحاولت أن أفهم ما الذي حدث أثناء مرضي خلال الأيام الثلاثة الماضية • أي حادث وقع بدون أن أدري ، قلب جميع خطط الريس رأسا على عقب ؟

تأخرت عن موعد الاتصال اللاسلكي بربع ساعة ، ورغم محاولاتي المتعددة للاتصال فلم يأتني أي جواب • كان المتفق بيننا أن لا يطول النداء عن خمس دقائق فقط •

إحدى‌عشر سنة عشتها هنا، من أجل هذا اليوم، ثم تأخرت عن الاتصال بسبب انشغالي بالتفرج على المظاهرات المصرية• نعم، لقد علمني فيشل أن لا أناقش الحقائق ، وأمامي الآن حقيقة تأخري عن الاتصال اللاسلكي ولا يمكن تصحيح الخطأ • ولكن علي الآن بالاسراع الى قيادة سلاح الجو المكان الوحيد الذي أستطيع فيه أن أسمع ماذا يجري وماذا سيجري •

بقيت في قيادة سلاح الجو المصري حتى المساء ، وأنا أجمع

المعلومات بدقة ، وبالتالي تكونت لي صورة واضحة ــ الحرب ٠

كان اليوم من أيام الصيف الجميلة ، وتذكرت أنه يصادف اليوم عيد استقلال بلادي ٠ وأنا الآن أنوي أن أتصل بهم لأقلب عيدهم الى مأتم ٠ جهزت المادة التي سأمررها اليهم ، وحرصت أن أذكر الحقائق المجردة ولكن بدون أن أقلل من أهمية الأمور ٠ وأخيرا توصلت الى صيغة مرضية كالتالي :

(فرقة المشاة الثالثة تحركت أمس من معسكر المعادي عبر القاهرة باتجاه سيناء (٠) ملحقة بهذه الفرقة قوات مصفحة تي-٣٤ على مستوى لواء وجميع وحدات التموين والصيانة (٠) تعزيز القوات في سيناء يستمر لمنع هجوم اسرائيلي على سوريا (٠) الجماهير تتظاهر في الشوارع تطالب بالحرب (٠) الفريق مرتجى هو قائد الجبهة مع اسرائيل والفريق صدقي محمود قائد السلاح الجوي المقابل لاسرائيل والفريق عزت قائد القوة البحرية (٠) أعلنت حالة الطوارىء من الساعة ١٤ر٣٠ يوم أمس (٠) وحدات أخرى تستعد للتحرك الى سيناء (٠) أطلب تغيير ساعات الاتصال اللاسلكي لتكون في كل يوم الساعة ٨ر٣٠ (٠) انتهى) ٠

وأبلغتني المحطة الرئيسية أن أنتظر ، ثم استمعت في الجهاز الى العبارة التالية : أعد جميع الجمل بعد الفريق عزت قائد سلاح البحرية ٠

بعد أربع ساعات من الاتصال ، في الساعة الثانية حسب توقيت اسرائيل كان يجري في مدينة بعيدة حادث لم يجلب اهتمام الكثيرين ٠ فعلى منصة عسكرية واسعة تحت الأعلام كان يقف الجندي الأول في اسرائيل ، منتصب القامة ينتظر البدء في العرض العسكري السنوي ٠ والى جانبه كان يقف منتصبا مثله كبار مساعديه ٠ والى جانبهم كان الرئيس المدني في تلك البلاد ،

وفجأة مرت من فوق رؤوسهم طائرة هليوكبتر وهبطت في المطار القريب ، ومنها خرج انسان وراح يركض نحو المنصة ٠ كان ضابطا في الجيش ، وفي الطريق اعترضه نائب الشرطة العسكرية ليسأله عما به ، ولكن الضابط أشار له بيده أن يفتح له الطريق ، واستمر راكضا حتى وصل خلف المنصة ، حيث سلم مغلفا مغلقا الى الضابط المرافق للرجل الواقف في منتصف المنصة ٠ وحاول المرافق أن يفتح المغلف ، ولكن الضابط همس بأذنه ببضع كلمات ، فتقدم هذا من الرجل الواقف في منتصف المنصة وقدم له المغلف ، ففتحه وأدخله في جيبه ، وفي الوقت المناسب قرأه ٠ وعند ذلك قطب حاجبيه ، ولكنه حينما تذكر أن الجماهير تقف قبالته عاد الى حالته الطبيعية ، وعاد وأدخل الرسالة الى جيبه ، ثم تقدم من الرجل المدني الواقف على المنصة، وهمس بأذنه ثم عاد الى مكانه يقف منتصبا كما كان ٠

وبدأ الاحتفال بعيد الاستقلال ٠

القسم التاسع والثلاثون

آخر يوم في السلام

٤ يونيو ١٩٦٧ ــ الساعة ٠٠ر١٨ حتى الساعة ٠٠ر١٩

كان قائد كتيبة الدفاع المدني رجلا عسكريا قديما وشعر أنه لم يؤد واجبه كاملا حتى الآن • فرجاله لم يكونوا جاهزين لمواجهة ما سيقع ، لا من الناحية التنظيمية ولا من الناحية النفسية • ولذلك قرر أن يجمعهم ويتحدث معهم صراحة • وبعد أن تجمعوا في ساحة المدرسة التي تحولت الآن الى مركز للدفاع المدني قال :

أريد أن أحدثكم بصراحة عما نواجهه • من المهم أن يعرف كل واحد ما ينتظرنا ، فاذا ما حان الوقت عرف كيف يواجه الأمور • اننا نتوقع مع الأسف الشديد قصفا شديدا بالقنابل ضد مراكز السكان المدنية وفي مقدمتها مدينتنا هذه • ويجب عليكم أن تكونوا جاهزين للعناية بآلاف المصابين •

كان الحضور ، جنود قدماء ، معظمهم تقدمت بهم السن ولهم خبرة عسكرية ، وكان ردهم على ذلك الصمت المطبق • وحينما انتهى القائد من حديثه وسألهم عما يريدون الاستفسار عنه لم يرد عليه أحد • وانما تفرق الجميع بدون كلمة • كان الذهول يعقد ألسنتهم عن الكلام •

وفهم قائد الكتيبة أخيرا بأنه ارتكب خطأ كبيرا •

تحرك اللواء المصفح نحو الشمال ، باتجاه منطقة نيتسانا وهو يقوم بالحركة جيئة وذهابا للمرة الثامنة • منذ أسبوع كامل وهذا اللواء يتحرك شمالا وجنوبا ، مرة يظهر في وسط النقب وأخرى في جنوبه يتوجه الى الجنوب بأضواء قوية ، ويعود الى الشمال تحت جنح الظلام • واذا حاول العدو أن يفهم شيئا من تحركات هذا اللواء فانه سيصل الى الخطأ تماما •

أما الآن فقد عاد هذا اللواء الى مكان التجمع الأول الذي كان فيه منذ عشرة أيام • وبدأت الوحدات تتفرق والجنود يمنون أنفسهم بليلة ينامون فيها بدون ازعاج • وصلت الى مكان التجمع طائرة هليوكبتر صغيرة وهبطت في مكان مناسب ونزل منها رجل •

أين قائد اللواء ؟ قال صارخا في قائد أقرب دبابة وأشار له هذا نحو دبابة القيادة ، فتوجه اليها وبعد أن أدى التحية العسكرية لقائد اللواء وسلّمه رسالة ، وراح يقرأها على ضوء الشمس ثم وقع عليها بتوقيعه في المكان المخصص ، ثم استدعى جندي اللاسلكي في الدبابة وقال له : أبلغ الحركة بأن يرسلوا لي سيارة جيب فورا ، ثم قال لمساعده : تعال نتحدث قليلا على انفراد • وبعد ان ابتعدا عن بقية الجنود قال القائد بصوت منخفض :

لقد استدعاني الزعيم قائد الجبهة اليه • فانتبه خلال غيابي ، واحرص على أن يتسلم الجنود طعامهم فورا وينصرفوا الى النوم • ربما نضطر هذه الليلة للحركة • وأضاف : وأرجو أن تكون حركتنا هذه المرة الى هناك وأشار بيده اليمنى نحو الغرب حيث غربت الشمس وراء الأفق عند أم كتف •

كانت حظيرة الاستخبارات التابعة للكتيبة ــ ٧٦٢ تعرف

دائما كيف تهتم بنفسها • فعند وصول الجنود الى هنا قبل أسبوعين حفر أفراد حظيرة الاستخبارات حفرة كبيرة وغطوها بشبكة تمويه مزدوجة تعكس عنهم ضوء الشمس ولكنها لا تحرمهم الهواء النقي • وعلى جانبي الحفرة حفروا مداخل مريحة يستطيعون السير فيها وقوفا ويقومون بصيانة سلاحهم بسهولة • وكلما كان يطول الوقت بهم كانوا يدخلون تحسينات على حفرتهم •

والآن وقد انتهوا من وجبة العشاء ، استعدوا للسهر معا ولكن في هذه الأثناء وصل وكيل قوة الكتيبة وأبلغ نائب الاستخبارات قائلا :

أعرفك على الحاكم العسكري لخان يونس ، انه بحاجة الى طاولة مع صفرة ، فأرجو مساعدته ، وسيبقى حاليا عندكم •

رفع الجنود رؤوسهم بدهشة يتساءلون : حاكم خان يونس ؟ هل يكون ضابطا مصريا أسيرا ؟ ولكن الرجل الذي دخل ، أو الرجال الذين دخلوا ، لم يشبهوا الضباط المصريين ، فالأول كان ملازم أسمر صغير الحجم يحمل بيده حقيبة كبيرة ومعه نائب بدين يحمل بيديه حقائب عسكرية ، وعلى كتفه رشاش العوزي •

قال الملازم : شالوم ؟ هل أنتم أفراد الاستخبارات في الكتيبة ؟

قال نائب الاستخبارات : نعم ، ما المسألة ، هل أنت حاكم خان يونس ؟

نعم ، قالها الملازم بجدية ووضع حقيبته على الأرض ، ثم أضاف : هل تستطيعون أن تجدوا لي مصباح ، أي مصباح ؟ لأنني سأعمل طوال هذه الليلة تقريبا •

أين القنديل الموجود عندنا ، قال النائب موجها كلامه لجميع أفراده ؟ انه هنا ، قال أحدهم ، وأخرج القنديل من تحت سريره ووضعه على الطاولة وحاول أن يشعله •

اسمح لي ، قال نائب الاستخبارات للملازم ، وأضاف : ماذا يعني أنك حاكم خان يونس ؟ ضحك الملازم وقال : سأكون الحاكم العسكري لخان يونس حينما يحتلوا المدينة وسأقوم بجمع الوجهاء فيها ليوقعوا على وثيقة الاستسلام ، فان العرب يولون أهمية كبيرة للناحية الرسمية في مثل هذه الأمور ، واذا كان لديكم متسع من الوقت فأرجو أن تساعدوني هناك • وسأقوم باستدعاء (٣٠) عربيا من وجهاء المدينة وأسماءهم موجودة عندي ومعها العناوين وأرقام التلفون • واذا بقيت أجهزة التلفون صالحة بعد المعركة فسندخل منزل رئيس البلدية ونستدعي بقية الوجهاء تلفونيا والا سنضطر لارسال من يحضرهم ، ولكن المشكلة هي أنه في المدينة أسرتان متنافستان فيما بينهما ، وسنحرص على أن لا نلحق الضرر بأي من الأسرتين ، ونأخذ تواقيع عدد متساوي من الأسرتين على وثيقة الاستسلام •

وقال نائب الاستخبارات :

لك مشاغل جدية للغاية ، ولكن ماذا ستفعل اذا لم تجد عددا متساويا في الأسرتين ؟

قال الملازم : سنتدبر الأمر ، سأتقدم معكم ، وحينما نحتل المدينة سأحتاج منكم الى اثنين أو ثلاثة جنود ، وعندها أكون قد جهزت قائمة موجودات السلاح في المدينة ثم نبدأ بجمع السلاح ، ويجب أن نفعل ذلك بسرعة وهم لا يزالون تحت تأثير مفاجأة الاحتلال •

قال نائب الاستخبارات :

بقيت أمامك مشكلتين : الأولى ، احتلال المدينة ، والثانية أن تعرف الأشخاص الذين بحوزتهم سلاح ٠

قال الملازم : سأتسلم قائمة بموجودات السلاح بمجرد احتلالنا ودخولنا المدينة ، والمشكلة هي أن نعمل بسرعة ونجمع السلاح ، فذلك سيمنع عنا اطلاق النار من المخابىء ، كما أن جمع السلاح ينطوي على ناحية نفسية تقضي على المقاومة والمعارضة ٠

وسأله النائب : حسنا ، ماذا بقي أيضا ؟ آه احتلال المدينة ٠

وانفجر الجنود بالضحك ، ولكن الملازم كان غارقا في مجموعة من الأوراق يتلو فيها على النائب الموجود معه أسماء عربية طويلة معقدة ، ويضيف الى جانب كل اسم شيئا ما ، أشبه ما يكون بالأرقام ٠

القسم الأربعون

روما يُنادي المسؤول

مجموعة من الاتصالات اللاسلكية وصلت الاستخبارات الاسرائيلية في المدة الواقعة بين يومي ١٦–٥–١٩٦٧ و ٢١–٥–١٩٦٧

الوقت	التاريخ	
٨ر٣٠	١٦	من روما الى المسؤول – فرقة المشاة السادسة والسابعة تتحركان غدا الى سيناء (١) سرب طائرات ميج ١٩ يتحرك اليوم الى بير ثماده ، سرب ميج ٢١ يتحرك اليوم الى بير كفكفا (٠) سيطلبون اليوم من قوات الطوارىء الدولية اخلاء مواقع المراقبة في سيناء (٠) المشير عامر يشرف على تحركات القوات (٠) الجو متوتر جدا (٠) الاتصال غدا في الساعة ٠٠ر١٢ ٠
٠٠ر١٢	١٧	من روما الى المسؤول – سرب ميج ١٧ يتحرك الى جبل لبنة (٠) يحصلون على طائرات ميج ٢١ اضافية (٠) يحركون قوات مصفحة الى سيناء بسرعة وخاصة تي–٥٤ وتي–٥٥ (٠) قوات مصفحة تقدر بحوالي فرقة تحت قيادة الشاذلي

تتحرك الى رفح لتقوم بأعمال الهجوم (٠) أظهر الشاذلي تفوقا وبراعة في اليمن (٠) الاتصال غدا في الساعة ١٤ر٣٠ ٠

١٤ر٣٠ ١٨ من روما الى المسؤول ـ تعزيز القوات في سيناء مستمر وعددها حاليا حوالي ٦٠ ألف (٠) في القاهرة يتزايد الشعور بالنصر (٠) يقول صدقي انه ستصل طائرات سوخوي ٧ (٠) سرعة هذه الطائرة ١½ ماخ ومداها ٢٠٠ كيلومتر ومزودة بمدفعين عيار ٣٠ ملم ، ومدفع خلفي بقوة ٢٠ ألف رطل وهي ملائمة جدا للمعارك الجوية (٠) لدينا ٨٠ طائرة ميج ٢١ (٠) و٣٠ طوبوليف ١٦ موزعة في مطار القاهرة غرب ، وبني سويف (٠) الاتصال غدا الساعة ١٠،٢٠ ٠

١٠ر٢٠ ١٩ من روما الى المسؤول ـ عدد القوات في سيناء حوالي ٧٠ الف جندي و٦٠٠ دبابة (٠) يحصلون على طائرات ميل ٦ تحمل ١٢٠ جنديا وتقطع ٣٠٠ كيلومتر في الساعة (٠) يتحدثون عن اغلاق خليج تيران (٠) دورة قادة طائرات ستختصر ، وستصل الطائرات قريبا جدا ٠ الاتصال غدا في الساعة ٧ر٤٠ ٠ انتهى ٠

١٧ر٤٠ ٢٠ من روما الى المسؤول ـ وصلت أكثر من عشر طائرات سوخوي ٧ ويجري نقلها الى مطار فايد (٠) تصل طائرات ميج ٢١ العدد غير معروف وتنتقل الى مطار أبو صوير (٠) القوات التي يقودها الشاذلي عززت بالسلاح المصفح الثقيل الذي يتحرك من رفح الى الكواريا مقابل مستعمرة

متسببه ريمون وستقوم بقطع النقب عند اللزوم (٠) الفرقة السابعة تتسلم رفح العريش والفرقة الثانية أبو عجيلة القسيمة والفرقة الثالثة خط ثاني جبل لبنة بين حسنة والفرقة السادسة تتسلم النخل الكونتيلا (٠) سأطير اليوم مع عامر وصدقي الى مطار بير كفكفا ٠ الاتصال اليوم الساعة ١٩ر٢٠ ٠ انتهى ٠

١٩ر٢٠ ٢٠ عامر يقول للطيارين في بير كفكفا : انطلقوا أيها النسور لتحرير فلسطين (٠) يستمر تعزيز القوات في سيناء وقطاع غزة وخاصة الأسلحة المصفحة (٠) يقوم عامر بتجنيد الاحتياط غدا ، سيجند أكثر من ١٠٠ الف جندي (٠) لواءان مصفحان جديدان يستعدان للحركة الى سيناء (٠) قيادة سيناء في مدينة عسكرية تحت الأرض في بير ثمادة (٠) بالقرب من رفح حقول ألغام واسعة تمتد جنوبا حتى الرمال (٠) ويمكن القيام بعملية اختراق على طول الشاطىء حتى اليخ زويد (٠) التحصينات على طول الطريق حتى العريش (٠) مطار جبل لبنة جرى توسيعه، وزيدت تحصينات مواقع جبل لبنة ، وتشمل مواقع من الأسمنت المسلح للدبابات (٠) مواقع أبو عجيلة حصّنت ووسّعت ، ولدى الفرقة قوات مصفحة كبيرة ومدفعية ١٢٢ ملم ٠ الاتصال غدا الساعة ١٣ر١٠ ٠ انتهى ٠

١٣ر١٠ ٢١ عدد القوات في سيناء ٨٠ الف جندي (٠) اللواءان المصفحان ٤٠ و ١٤١ يتحركان الى سيناء الى خط الدفاع الثاني في بير حمة وبير حسنة (٠)

القوات التي يقودها الشاذلي ستفرق للتموين
(٠) يتوقع اغلاق المضائق ٠ الاتصال اليـــوم
الساعة ١٥ر١٩ ٠ انتهى ٠

١٥ر١٩ ٢١ سأطير الى مطار بير كفكفا مع عبدالناصر وعامر ومحيي الدين وعلي صبـري وبـدران وصدقي محمود والمرتجى (٠) الخروج من مطار القاهرة غرب في الســـاعة ١٥ر١٠ بطائرة أنتونوف يرافقها سرب ميج ٢١ (٠) استمعوا الي غـدا ابتداء من الساعة ٠٠ر١٩ ٠ انتهى ٠

أنهيت الاتصال ، ورفعت عيني فوق الجهاز ونظرت الى جوف القاصة الجديدة المفتوحة ٠ كنت أرجو أن تفهم تل أبيب الاشارة الواردة في الاتصال اللاسلكي ٠ وكنت أرجو أن يقرر سلاح الجو الاسرائيلي أن يضحي بعدد من الطيارين والطائرات ليقتل جميع زعماء الدولة والجيش في مصر ٠ وكوني موجودا بين أولئك الزعماء في طائرة واحدة يجب أن لا يردعهم عن اسقاطها٠ ولكنهم في اسرائيل لم يفهموا الا في اليوم التالي ما كنت أتوقعه أنا منذ أن شاهدت الفرقة الثالثة وهي تتحرك الى سيناء ٠٠ وهي أن الحرب غير مستبعدة ٠

القسم الحادي والأربعون

ماذا حدث في بير كفكفا ؟

٢٢ مايو ـ الساعة ٠٠ر١٩ حتى ٠٠ر٢٠ (بتوقيت القاهرة)

كانت الساعة السابعة مساء وكنت أعرف أن في تل أبيب الآن جهاز لاسلكي ينتظر مخابرة مني ٠ وأمام الجهاز جندي لاسلكي وبالقرب منه نائب لاسلكي أو نائبة للاسراع في حل المخابرات التي سأرسلها من هنا ٠ وبعد ذلك تحول المخابرة الى ضابط لا بد وأن يكون هو الآخر في نفس الغرفة عند الجهاز ٠ وأنا واثق بأن ذلك الضابط وصلت اليه تعليمات واضحة لينقل المخابرة الى الزعيم ٠٠ مدير الاستخبارات أو مساعده في حالة انشغاله ٠٠ وتصورت الزعيم بخيالي وتمنيت أن يكون بالفعل مشغولا مع عدد من المدنيين وهم الذين سيتحملون اليوم أو غدا أو خلال أسبوع اتخاذ القرار المصيري ٠

أولئك المدنيين الذين تنقصهم الخبرة العسكرية ، وربما كذلك ينقصهم الايمان بقوة الحـــلول العسكرية ، عليهم أن يتوصلوا الى قرار اجماعي قبل أن يمضي أسبوع ٠ وسيعتمدون في اتخاذ ذلك القرار بالدرجة الأولى على ما سيقوله لهم مدير الاستخبارات ، وهذا بدوره سيعتمد على المعلومات التي أقدمها له أنا ، ولكن كيف أستطيع أن أشرح في مخابرة لاسلكية قصيرة ما حدث اليوم في بير كفكفا ؟ كيف أستطيع أن أحول ما رأيته

اليوم هناك الى لغة الخطوط والنقط ؟ وقبل هذه المشكلة تقلقني
مشكلة أخرى ، هي أسرع بنظري ، وهي كيف أستطيع أن أرسل
المخابرة حتى لو نجحت في تحويلها الى نقاط وخطوط ؟ فحينما
وصلت الى بداية ضاحية هليوبولس قادما من مطار القاهرة غرب
رأسا حيث هبطت طائرة الأنطونوف الضخمة التي عادت بنا من
بير كفكفا رأيت لأول مرة سيارتين مغلقتين تصورتهما ملاكين من
الملائكة التي تأتي لتقبض روح الانسان • وفوق كل سيارة منهما
كان عمود كبير يرتفع على جهاز لاسلكي ، وكان ذلك الجهاز
بمثابة جهاز رادار خاص • ولكن ليس مهمته اكتشاف أماكن
واتجاهات الأجسام وانما مهمته هي اكتشاف مصادر الاذاعات
اللاسلكية •

اذن كانت السيارتان ، سيارتين روسيتين حديثتين لمعرفة
وتحديد أماكن أجهزة اللاسلكي ومحطات الراديو ، وكل جهاز
عامل يمكن اكتشافه فورا ، بعد أن تدل عليه هوائيات الأجهزة
المركبة على السيارتين • وأدركت أن هذين الجهازين سيشيران
الى المنزل الذي يقيم فيه رجل موضع ثقة الزعامة المصرية ،
والصديق المخلص لمدير المخابرات والتجسس ، وصديق قادة
سلاح الجو والجيش ، ألا وهو الشاب الماجن آرام أنوير •

وحينما رأيت السيارتين تقتربان من بعضهما البعض ثم
تبتعدان فهمت ما في الأمر •• فهمت أنه منذ مدة حيث أصبحت
اتصالاتي اللاسلكية مستمرة ومنتظمة شعرت المخابرات بوجود
جهاز لاسلكي سري ليس له قيد على خرائط المخابرات السرية •
واستطاعت المخابرات أن تحدد وجود ذلك الجهاز في ضاحية
هليوبولس ، ولكن من هو صاحب الجهاز السري ؟ هل يمكن أن
تكون السفارة الروسية التي كانت في بناية بالقرب من منزلي
وتملأ الفضاء بمخابرات لاسلكية لا حدّ لها ؟ ولهذا أحضروا
السيارتين الروسيتين لتحديد مكان الجهاز السري ، وقد مضت

عدة ساعات على وجود السيارتين في حي هليوبولس بدون أن
تسمعا شيئا ، لأن صاحب الجهاز اللاسلكي أمضى وقته اليوم
خارج القاهرة ، صاحب الجهاز السري سافر اليوم الى بير كفكفا
بنفس الطائرة التي تحمل رئيس الجمهورية العربية المتحـدة
ونائبيه ، ورئيس الحكومة المصرية ، ووزير الدفاع وقائد القوات
الجوية والبرية • ولهذا فقد يئست السيارتان من العثور على
مصدر الارسال اللاسلكي ، وهما الآن تقومان بمشاورات فيما
بينهما حول ما يجب اتخاذه • وبينمـا كانتا تقفان الى جانب
بعضهما البعض بأنهما لا تقدران على اكتشاف المحطة اللاسلكية
السرية ، وكل ما يمكن أن تعرفاه هو تحديد اتجاه المحطة فقط •
ولكن بما أن الأوامر الصادرة للسيارتين ـ هكذا تخيلت ـ هي
اكتشاف المحطة السرية بأي ثمن ، فقد عادت السيارتان الى
الابتعاد عن بعض ، وراحتا تقومان بالدوران حول ضاحيـة
هليوبولس • ولكن الأجهزة المركبة على السيارتين لم تشر الى
وجود أية محطة ، ولم تستلم أية مخابرة لاسلكية لأنني في ذلك
الوقت لم أرسل أية مخابرة ولن أرسل أية مخابرة طالما أن هاتين
السيارتين تتجولان في ضاحية هليوبولس بحثا عن جثة مشبوهة،
وإن (آرام أنوير) لن يتحول مرة ثانية الى جثة هامدة ممددة على
طاولة خشب ، بل سيبقى آرام أنوير هنا ، ينتظر حتى يرفع
الجلاد يده ثم يقطعها • فمن أجل ذلك أرسله الى هنا فيشل
الطويل ، حينما أدرك أن نهايته وشيكة • ومن أجل ذلك أيضا
ترك صديقته (نعومي) وابنه في بطنها • ومن أجل ذلك أيضا
قتلت دومنيك وجردت جثتها من الملابس وألقي بها في حديقة
في باريس • ومن أجل ذلك قتلت صوفي ياسين حرقا داخل
سيارة مغلقة، ومن أجل ذلك أنقذ (آرام أنوير) القاذفات المصرية •

جلست على شرفة منزلي أشرب بتلذذ (السحلب البارد)
الذي أعدته لي الخادمة العجوز ، ولا أدري كيف تسلل الى فكري

في هذه اللحظة خاطر حول تلك الخادمة وكيف أنني لم أهتم بأمرها منذ عملها في منزلي · كنت أنظر اليها كأداة من أدوات المنزل ، ادارة مريحة تستخدم في كل شيء · ولكني لم أعرف امرأة مخلصة لي مثلها ، ظلت وفية لي ، تقوم على خدمتي بمنتهى الاخلاص طوال سنوات كثيرة لا تطلب البخشيش والمكافآت وانما كانت تكتفي بالاجرة القليلة التي كنت أدفعها لها ·

وبدأت أفكر بأن وجودها لن يطول كثيرا ، فان بقائي في مصر سينتهي في وقت قريب · حولت نظري وأنا جالس على الشرفة الى الشارع الفسيح ، وكانت الشمس تميل الى الغروب وراء التلال الرملية خلف الاهرامات التي بناها حكام بلاد النيل قبل وجود اليهود هناك ·

كنت مضطرا للبقاء جالسا على الشرفة حتى أرى متى تنصرف السيارتين الروسيتين · ودخلت البيت، ومع أنني لم أكن جائعا الا أنني أملأت طبقا من بقايا الطعام الموجود في الثلاجة، وكان فراخ محشية من صنع يدي الخادمة · وقلت في نفسي ، اذا تمكنت من مغادرة مصر قبل أن يكتشفوا أمري فان انسانا واحدا سأظل أذكره بالخير هنا ، الخادمة العجوز الوفية ·

ومرة أخرى رأيت السيارتين تقتربان من بعضهما البعض ثم اتجهتا نحو القاهرة وغادرتا مسرعتين · انتظرت دقيقة واحدة أو أكثر وأنهيت طعامي ، وجمعت الصحون وأدخلتها في المطبخ· ثم عدت وتفحصت جميع الأبواب والشبابيك ، وألقيت نظرة على جميع غرف المنزل وزواياه ، فقد تعلمت من تجربتي مع صوفي ياسين بأن لا أخرج جهاز الارسال من مخبئه قبل أن أتأكد تماما من خلو البيت ·

جلست الى الجهاز ، وأنا حائر في كيفية صياغة المخابرة المصرية وتذكرت الضحكة المدوية التي أطلقها الريس يوم قال

(اسرائيل تريد الحرب ؟) وأنا أقول لها أهلا وسهلا · وتذكرت المشير عامر وهو يضحك · وتذكرت طياري النفاثات الذين وقفوا يحيطون بالريس وطالبوه بأن يصدر الأوامر ليدمروا اسرائيل فورا قبل أن تقوم لإبادة مصر ·

أرسلت اشارة النداء من الجهاز وجاءني الجواب · ومع أنه انقضى وقت طويل يزيد على نصف ساعة على الموعد المحدد لارسال المخابرة ، الا أن نائب اللاسلكي ــ أو ربما النائبة ــ ظل جالسا عند جهازه ينتظر مخابرتي · وتخيلت أن الضابط هو الآخر ينتظر ، ومدير الاستخبارات نفسه ينتظر · وقلت في الجهاز أنتظر عشر دقائق ثم أعدت المخابرات بسرعة وقلت : قام عبدالناصر ، وعامر وصبري وأنا بمعيتهم مع آخرين بزيارة بير كفكفا ظهر اليوم (·) أعلن عبدالناصر أمام الطيارين اغلاق مضيق تيران بوجه السفن الاسرائيلية والشحنات الموجهة الى اسرائيل (·) طالب الطيارون بالسماح لهم بشن هجوم فوري ، ودار جدال شديد وعارض عبدالناصر لأنه يؤمن بأن اسرائيل لن تهاجم مصر (·) مدير العمليات الحربية الجنرال فريد سلامة يقول بأن سيناء ليست سهلة للدفاع ومن الضروري احتلال جنوب النقب (·) سلاح الجو المصري يطالب بشن هجوم مفاجيء مع الفجر على القواعد الجوية الاسرائيلية بطيران منخفض وتدمير طائراتكم ، وتعقب ذلك حرب شاملة · انتهى ·

وفي الوقت الذي كنت أرسل فيه المخابرة كنت أحلل في ذاكرتي ما شاهدته اليوم في بير كفكفا ، وتصورت أنني بالمخابرة التي أرسلتها الآن قد أديت واجبي كعميل للاستخبارات · وعميل الاستخبارات عليه أن يتمسك دائما بالحقائق المجردة ولا يدخل في التقديرات والتخمينات · وطلبت مني المحطة الرئيسية في تل أبيب أن انتظر · وكنت أعرف أن السيارتين الروسيتين من المحتمل أن تعودا في أي وقت وينكشف أمري ·

بدأت المحطة الرئيسية ترسل : وحللت الرموز اللاسلكية وكان معناها :

نريد تقديراتك حول امكانية صد هجوم شامل ، كنت أعرف أن ضابط اللاسلكي ينتظر التقديرات مني ليمررها الى مدير الاستخبارات ، وكنت أعرف أن تقديراتي سينقلها مدير الاستخبارات الى مجموعة الأشخاص المدنيين الذين سيتخذون الاجراءات والقرارات على ضوئها • وتصورت مدير الاستخبارات يقول لهم : هذه المعلومات من مصادر داخلية للغاية موثوقة للغاية ، وأرسلت لهم تقديراتي كالتالي : أعتقد أن نشوب حرب شاملة أمر غير مستبعد (أكرر) غير مستبعد • انتهى •

تسع ساعات كاملة أمضتها هذه المخابرة منذ وصولها الى نائبة اللاسلكي حتى وصولها الى الجندي الأول في اسرائيل • ففي الساعة الرابعة من الصباح الباكر توجه القائد الأكبر الى رئيس السلطة المدنية الذي كان في سريره نائما ، وبعد أن صحا جلس ومقابله القائد الأكبر الذي قال له « لقد أعلن عبد الناصر اغلاق مضيق تيران » وهنا نظر المدني الى القائد وسأله : متى أعلن ذلك وأين ؟ قال القائد : لقد أعلن ذلك في بير كفكفا ظهر اليوم (أمس) وأعلن أن المضائق ستغلق كذلك بوجه السفن الاسرائيلية والحمولات الموجهة الى اسرائيل •

رفع المدني رأسه ثم تنحنح وقال : ما هي اذن ، التقديرات، بالنسبة لكم ؟ ورد الرجل العسكري بصوته الهادىء ، وكانت كل كلمة تحمل معنى كبيرا : عميلنا في القاهرة يقول بأن الحرب غير مستبعدة •

القسم الثاني والأربعون

الضربة الجوية التي لم تنزل

يوم الخميس ٢٥ مايو ١٩٦٧

مرت في الطريق العام السيارة الروسية ذات أجهزة تحديد أماكن المحطات والاذاعات السرية ، وكان في قيادة سلاح الجو ينتظرني قائد السلاح نفسه • ولم يكن باستطاعتي أن أتأخر عن الخروج الى معسكر القيادة مع أنني كنت أعرف أن المحطة الرئيسية في تل أبيب ستيأس من انتظار مخابرتي • وقارنت الأمرين ، هل أذهب الى معسكر القيادة أم لا أذهب وأرسل المخابرة الى تل أبيب ؟ وبالتالي توصلت الى نتيجة وهي أنني اذا بقيت في البيت وقمت بارسال المخابرات سيقبض علي متلبسا ولكني قلت في نفسي حينما أسمع وقع أقدام في الخارج ودقات على الباب فسأقوم باتلاف الرموز السرية وجهاز اللاسلكي ، وبعد ذلك الحس بلساني السن المستعار في فمي وتكون نهايتي ، وفاتني أن أذكر أن ذلك السن المستعار زرعه في فمي قبل بضعة شهور طبيب الأسنان التابع للمخابرات السرية الاسرائيلية • وكان ذلك بعد الخطاب الذي ألقاه صدقي محمود في الاحتفال بعيد سلاح الجو المصري قبل حوالي نصف سنة • وفي ذلك الخطاب قال انه سيأتي يوم وفيه ندمر سلاح الجو الاسرائيلي خلال ساعتين • ويومها شعرت أن حبل المشنقة

المرفوع فوق رأسي منذ عشر سنوات قد دبت فيه الحياة فجأة ٠ فسافرت الى اسرائيل وطلبت أن يركبوا لي سنا مستعارا وبداخله حبة سم ملفوفة بغطاء من البلاستيك تكفي لقتل الانسان بعد مرور أربع دقائق فقط من لمسها باللسان بعد قضم غطاء البلاستيك عنها ٠

وهكذا قررت أن أرسل المخابرة ، فربما أنجح في ارسالها قبل أن تتمكن سيارة المراقبة اللاسلكية من اكتشافي ٠ كتبت المخابرات واختصرتها أكثر من مرة وأخرجت جهاز الارسال وأعددته للعمل ٠

قبل يومين ، في اليوم التالي لعودتنا من بير كفكفا استدعاني زكريا محيي الدين الى مكتبه ٠ جلسنا متقابلين هو رئيس حكومة الجمهورية العربية المتحدة وبنفس الوقت المسؤول العام عن جميع أجهزة الأمن والمخابرات وأنا تاجر السلاح المليونير الصديق المخلص لمصر ، وسألني محيي الدين كما كان قد سألني قبل عشر سنوات :

ما رأيك بسلاحنا الجوي ؟ افتعلت على وجهي الجد وقلت : لقد تغير كثيرا في السنوات الأخيرة ٠٠ حتى من ناحية النوعية ٠ ورمقني محيي الدين بنظرته الثاقبة المتوقدة التي عبرت من خلال جسدي كأنني مصنوع من الورق الخفيف وقال : هل تغير كثيرا ؟ وهل يستطيع القيام بضربة قاضية على سلاح الجو الاسرائيلي ويدمره ؟ كان سؤاله لي بدون ذرة من غضب ، وكان محيي الدين باردا كخنجر غرس في الثلج ٠ لست أعرف جيدا سلاح الجو الاسرائيلي ، قلت ، وأضفت : ولكنني أعتقد أن الأمر ممكن ٠ فقال : ولكن ليس عندما تكون له قيادة فاسدة كالقيادة الحالية ؟ كان هذا سؤالا وجوابا في آن واحد ٠

نظرت اليه ، لم أرد أن أناقشه ، ولكنني بنفس الوقت لم

أشأ أن يأخذ عني فكرة بأنني لست مخلصا ، وأفعل المجاملة والتملق أمام المسؤولين الكبار فقلت :

قيادة سلاح الجو ليست فاسدة ، ولصدقي محمود فلسفة خاصة ازاء سلاح الجو وهو يطبق تلك الفلسفة ، ولكن ربما تكون فلسفته غير صائبة ٠

قال محيي الدين وهو يقاطعني :

ان صدقي محمود سيجد نفسه في أحد الأيام في السجن العسكري المركزي ويقدم للمحاكمة بتهمة خيانة الوطن٠ وسكت، اذ ماذا أستطيع أن أقول ؟ وبعد قليل سمعته يقول لي : في الساحة الخلفية تقف طائرة هليوكبتر صغيرة ، قائدها رجل مخلص من رجالي ومثله أيضا حارسك الذي يجلس هناك ٠ خذ هذه الهوية لك ، وهي تسمح لك بالدخول الى كل معسكر أو بناية في سلاح الجو المصري في جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة ٠ وألقى على المكتب هوية عليها صورتي مع أنني لا أذكر أنني أعطيت له صورة لي في يوم من الأيام ٠ وكان على الهوية خاتم مستدير هو خاتم دائرة المخابرات ، وخاتم آخر يحمل الختم الشخصي الكامل لزكريا عبدالمجيد محيي الدين ٠ وقال لي : تحرك الآن فورا ، وتجول في جميع المطارات وقواعد السلاح ٠ وتفحص كل ورشة ، وكل سيارة وقود وانظر جيدا في كل مكان الى القطع التي لا تعرض أمام الزوار عادة ٠ وعد الي بعد مرور (٤٨) ساعة ، وقدم لي تقريرا كاملا عن أي نقص أو اهمال تجده هناك ، ثم أضاف : ولكن اذا أخفيت شيئا عني ، سأطردك على الفور من مصر خلال ساعتين فقط٠ ثم قام وصافحني وقال : أرجو لك التوفيق يا أنوير بك ، وثق أنك موضع ثقتي التامة، من واجبنا اليوم أن نقف متحدين بوجه الخيانة والاهمال، والله يرعاك يا (أنوير) ٠

قمت وأنا أعرف أنني لم أعد شابا ، فخاصرتي التي كانت

دقيقة أصبحت اليوم ثقيلة ولا معنى للشباب في عيني ثم قلت لمحيي الدين : لن أخيب ظنك يا رئيس الحكومة ٠

وخرجت مسرعا الى الطائرة الصغيرة ، وتذكرت أن رحلتي الى المطارات والتي ستدوم ٤٨ ساعة ستجعلني أنقطع عن الاتصال اللاسلكي بتل أبيب ٠ وكان الاتفاق بيني وبين المحطة الرئيسية أن يجري الاتصال بيننا مرتين في اليوم ٠ وواحدة منهما على الأقل يجب أن تتم ليعرفوا أنني حيا ٠

عدت الى محيي الدين بعد يومين في الوقت المحدد ، وخلال تلك المدة قطعت آلاف الكيلومترات ورسمت في مخيلتي كل شيء تماما كما تعلمت في الدروس الأولى بمدرسة أستاذي فيشل ٠ جلست أمام محيي الدين الذي حذرني منه فيشل ، باستمرار ، ولكنني اليوم أشعر بمنتهى العزة فقد نجحت في عملي أكثر مما كان يتوقع فيشل نفسه ٠

في قلب سيناء ، هكذا قلت مبتدئا الحديث مع محيي الدين الذي كان ينصت الي بهدوء ولم يسجل كلمة واحدة ، ولكنني كنت أعرف أن كلامي يجري تسجيله بالمسجل ، فاذا ما شعر محيي الدين بأن شيئا فاته يعيد الشريط ويستمع لكلامي من جديد ، في قلب سيناء شبكة الرادار تكاد تكون معزولة ٠ فبين محطة الرادار في الكونتيلا وبين محطة الرادار في لوبيا فراغ كبير خالي من الرادار ، وعبر ذلك الفراغ يستطيع أن ينفذ سرب كامل من الطائرات بدون أن تتمكن من رؤيتها شبكات الرادار ٠

كنت أعرف أنه من المستحيل تقريبا تصحيح الأمر في وقت قصير ، وكنت أعرف أن ذلك الفراغ ليست له أهمية كبرى ، لأنه اذا شنت اسرائيل هجومها الجوي فان طائراتها ستقلع جنوبا وتدور حول شبه جزيرة سيناء بكاملها أو تطير

فوق البحر ٠ أما الفراغ الموجود في قلب سيناء فليست تحته لا مطارات عسكرية ولا طرق مواصلات الى المطارات ٠ وعلاوة على ذلك كان من واجبي أن أقدم تقريرا معقولا ومقبولا بالنسبة لرئيسي الجديد محيي الدين ٠ وأضفت قائلا :

في بير كفكفا توجد جميع رزم الشباك المخصصة لتوزيعها على المدرجات في حالة اصابتها في هجوم جوي ، موجودة داخل مستودع مغلق خلف أكوام كبيرة من الذخيرة والعتاد ٠ وفي حالة شن هجوم مفاجيء ستمر نصف ساعة حتى يتمكن الجنود من اخراج رزم الشباك من المستودع الى المدرجات ٠ ولم أخبره أن الحالة في العريش أسوأ من ذلك بكثير ، فإن رزم الشباك معرضة في الخارج بدون تغطية حتى حولها هواء البحر المالح الى كتلة من الخردوات الصدئة ٠ فاذا حاول جندي استخدام تلك الشبكة فانها ستتهشم بين يديه أو عند أية حركة ٠ وأضفت: في فايد لم أجد مطلقا أية شباك للمدرجات عند الطواريء ، وفي ألماظة وجدت أن ذخيرة المدافع الخاصة بطائرات الميج منثورة ومختلطة مع ذخيرة المدافع المضادة للطائرات وتحيط بها أكوام من المعدات ومجاورة تماما لمستودع وقود بدون وقاية ٠ ومطار ألماظة أشبه ما يكون بالدكان العمومي الذي سطا عليه اللصوص، وخلال عبثهم به داهمتهم دورية شرطة فتركوا كل شيء وولوا الادبار ٠ ولم يتمكن أحد من المسؤولين في المطار أن يبين لي السبب في وجود سيارات الوقود في الكراج المخصص لسيارات الاطفائية ٠ ووجدت أيضا أن عددا من طائرات هليوكبتر ميل ٦ التي وصلت حديثا تقف حاليا في أماكن تعارض مرور الطائرات المقاتلة ٠ ومن السهل جدا تدمير الطائرات لانها متقاربة وبرأيي أنه من الضروري اعادة الترتيب والنظام في مطار ألماظة ، بشكل شامل ٠ وأقترح نقل طائرات الميج من ألماظة الى مطار القاهرة غرب ، ويتبعها بعد ذلك بشكل منتظم نقل بقية معداتها وذخيرتها ٠

بعد مرور أسبوع ونصف حينما هوجم مطار القاهرة غرب من قبل سلاح الجو الاسرائيلي وقع سرب من طائرات الميج ٢١ الذي نقل من ألماظة داخل مصيدة بسبب الازدحام الكبير في المطار . أما مطار ألماظة وهو أكبر مطار حربي في مصر فقد كان بدون دفاع جوي وأبيدت فيه ثلاثة أسراب من طائرات النقل .

وسألني محيي الدين : كيف الحال في مطاري الغردقة والأقصر ؟ قلت فورا : انه أفضل بكثير من أحوال المطارات الأخرى ، اذ أن العقيد أبو العز يقـوم بنشاط كبير هناك ، والمطارات منظمة جيدا ، والمستودعات عليها الحماية الكافية ، وكل جندي هناك يعرف أين المكان المخصص لكذا وكذا .

وسألني : ما رأيك بطائرات طوبوليف ؟

قلت : من أية ناحية؟

قال : ما هو انطباعك عنها ؟

قلت : ممتاز جدا ، انها أدوات دمار ممتازة .

قال ، وكأنه غارق في حلم : اذا ما وصل سرب من طائرات الطوبوليف الى تل أبيب فانه يستطيع أن ينهي الحرب ، فبعد زيارة قصيرة تقوم بها تلك الطائرات الى تل أبيب سيفضـل الاسرائيليون الاستسلام .

حركت رأسي وقلت (كلا) ، لن يستسلموا ، فأنا أعرف ذلك ، رأيت ذلك في افريقيا الوسطى ، منطقة واسعة هنـاك طوقتها قوات الحكومة التي كانت تتقدم وتحرق كل شيء ، ولم يخرج انسان حي . كان الرجال يقتلـون والأطفال ينحرون بالبنادق والحراب والنساء يغتصبوهن ثم يلقون بهن الى وسط النار . ولكن رجلا واحدا لم يستسلم ، وهذه طبيعة البشر .
كل هذا حدث صباح اليوم . فبعد أن انتهى حديثنا توجهت الى منزلي ، ولم أستطع أن أتصل بالمحطة الرئيسية الا بصعوبة

بالغة . فعند بداية الاتصال حاولت أن أستخلص الأمور الهامة من بين ما رأيته خلال اليومين الماضيين ، ولم أتمكن من الاطالة في المخابرة ولهذا أرسلت مخابرة قصيرة وبسرعة كالتالي :

سيوضع في مطار القاهرة غرب ابتداء من الغد سرب (طوبوليف) وسربا ميج ٢١ وفي مطار ألماظة ثلاثة أسـراب اليوشن ١٤ وسرب ميل ٦ وسرب ميل ٤ . وفي مطار الأقصر سرب طوبوليف وسرب اليوشن وسربا ميج ٢١ وسرب ميج ١٧ . في سيناء منطقة خالية من الرادار ، ثغرة كبيرة مقابل إيلات ، يحتمل شن هجوم مفاجيء عليكم . انتهى .

أبقيت جهاز اللاسلكي وأوراق الرموز على الطاولة لأرى ما اذا كانت المخابرات المصرية ستداهم المنزل أم لا . وبعد مرور نصف ساعة هدأت نفسي فأعدت الجهاز الى مكانه واستحممت ثم توجهت نحو قيادة سلاح الجو ، لم أكن بحاجة الى توجيه أسئلة كثيرة ، فان ما شاهدته بعيني كان كافيا لأن يوضح لي ما سيقع . دخلت الى مكتب الفريـق محمود عفيفي رئيس العمليات وسألته بدون مقدمات : متى ؟ .. رمقني عفيفي بنظرة ولم يحاول أن يتهرب من الاجابة فقال : (غدا) ، غدا صباحا قبل طلوع الفجر .. سنوجه ضربة واحدة في وقت واحد لجميع قواعدهم الجوية وندمر جميع طائـرات الميراج ، والفيتور ، والمستير ، والأوراغان ، وبعد ذلك تنطلق من قواعدنا طائرات الطوبوليف وفي أعقابها الاليوشن لتدمر تل أبيب . ثلاثين طائرة طوبوليف يعني (٣٠٠) طن من القنابل في ضربة واحدة . وحينما تشتعل المدينة بكاملها تنطلق طائـرات الاليوشن الى أهدافها وفي غضون ذلك تعود طائرات الطوبوليف للتـزود بالقنابل من جديد .

ابتسمت وحركت يدي سائلا . وماذا سأفعل أنا بعـد ذلك ؟ فلن تحتاجوا الي ، وسأضطر للسفر الى جنوب افريقيا ،

حيث يتوقع أن يحدث توتر هناك قريبا ويكون مجال عملـي كبيرا .

قال عفيفي : بعد ذلك سنقيم حفلة الانتصار التي ستدوم أسبوعا كاملا ، ولن يترك في جميع القاهرة فتاة واحدة تزعم أنها لم تنل ما تريد وتشتهي .

جرى كل هذا ظهرا ، وبعد ذلك عدت الى منزلي . ولم يكن باستطاعتي أن أفعل شيئا قبل حلول الموعد المحدد للاتصال اللاسلكي وربما لن أستطيع فعل شيء حتى عند حلول ذلك الموعد لأن سيارتي اكتشاف الاذاعات السرية والأجهزة اللاسلكية بدأتا تتجولان في المنطقة من ناحية أخرى كانت احداهما تمر من باب منزلي ببطء بكل انتباه وترصد وبداخلها تعمل أجهزة حديثة ممتازة قادرة على استقبال واكتشاف مكان أية اشارة لاسلكية . والواقع ان عمل هذه الأجهزة لم يكن سهلا في هذه الأيام حيث تكثر الاتصالات اللاسلكية من القيادة المصرية والمطارات واتصالات السفارة الروسية .

بعد الظهر اتصل بي ، تلفونيا ، مرافق (صدقي محمود) وطلب مني الحضور الى القيادة لمقابلة قائد السلاح الجوي في حوالي الساعة الخامسة مساء . وفي هذا الوقت بالذات تبدأ المحطة الرئيسية في تل أبيب بالاستماع الي لأرسل المخابرات لها . وأنا عزمت على الاتصال وتمرير المخابرة مع أني كنت أعرف أن هذه آخر مخابرة لي وآخر اتصال لاسلكي بيني وبين المحطة الرئيسية . خرجت الى الشرفة المظلمة وجلست . وكل من رآني يقول ان قلبي خال من الهموم .

وقبل الموعد المحدد للاتصال دخلت الى المنزل ، وتفحصت النوافذ والأبواب وجهزت المخابرة ، وانتظرت حتى الساعة الخامسة وعشر دقائق وناديت بالجهاز مرة واحدة فجاءني جواب

المحطة الرئيسية فأرسلت لهم المخابرة التالية :

(ستنزل ضربة جوية مفاجئة على مطاراتكم غدا مع الفجر (أكرر) ستنزل ضربة جوية شاملة مع الفجر . انتهى .)

وهنا طلبت مني المحطة الرئيسية أن (أعد ، أعد) ولكني لم أضف كلمة واحدة ولم أعد شيئا . كنت أنتظر القادمين الي بهدوء ، وفجأة دق جرس التلفون فتذكرت أن صدقي محمود ينتظرني في قيادته .

أغلقت كل شيء بسرعة وتوجهت مسرعا نحو قيادة سلاح الجو .

في صباح يوم الجمعة ٢٦ مايو كان المقرر شن الهجوم الجوي المصري المفاجيء على اسرائيل . وكانت التعليمات والتوجيهات حول ذلك الهجوم قد وزعت على جميع المطارات في سيناء قبل بضعة أيام ، واستطاعت الصحافة أن تطلع عليها وتنشرها . ولكن أحدا لم ينشر الأسباب التي دعت الى الغاء الهجوم الجوي المرسوم .

ففي يوم الجمعة وقبل حلول الفجر ، توجهت عشرات من الطائرات الاسرائيلية المقاتلة وحلقت في سماء البلاد . وكانت تتجول باستمرار على طول البحر وعلى حدود سيناء وتقوم بغارات باتجاهالبحر الاحمر وقطاع غزة وملأت الجو بالضجة . ولما فرغ الوقود من خزاناتها إستبدلت بطائرات أخرى وهبطت تتزود بالوقود من جديد . وكانت جميع الطائرات التي لا تزال على الأرض جاهزة عند أطراف المدرجات للانطلاق مع أول اشارة. واستطاعت شبكات الرادار المصرية المنتشرة على طول قطاع غزة وسيناء أن تكتشف التحركات الجوية الاسرائيلية الواسعة. وعلى الفور أصدرت قيادة سلاح الجو المصري تعليماتها بوقف انطلاق الطائرات نحو اسرائيل والغاء الهجوم الى حين . ولما اتضح بعد ساعتين متواصلتين أن التحركات الجوية الاسرائيلية لم تخف حدتها صدر أمر نهائي بالغاء العملية كلها .

القسم الثالث والأربعون

لقاء عند الحافة

٣٠ مايو ١٩٦٧ – الساعة ٤٠ر٩ حتى ٣٠ر١٠

كان القائد الكبير يبدو على غير ما كان عليه في لقائنا الأول قبل حوالي سنة ونصف ، حتى تصورت أنه انسان آخر ٠ فحينما دخلت الى الغرفة الواقعة تحت الأرض وقام ليصافحني لفت انتباهي التغير الكبير في مظهره ، فلم يكن شيئا كما كان في اللقاء الأول أو على الأصح اللقاء الأخير ٠ لأن لقاءنا – الأول – وهذا ما تذكرته في آخر لحظة ، كان قبل ثلاثين سنة تقريبا ٠ والرجل الذي أقابله اليوم عند الحافة لم يكن شابا ، فالشيب ينتشر في رأسه ، والتجعيدات تغطي جبينه وعند أطراف عينيه ٠ ولم أشعر تجاهه اليوم ذلك الشعور بالعداء أو الكراهية الذي أحسست به يوم رفضني أن أعود من مصر حيث قال لي : سنكون بحاجة لك في أحد الأيام . ويومها استطرد وقال : بل ربما ساعة واحدة فقط ٠

كانت عينيه تشعان باستمرار بنار التمسك التام والاقتداء الكامل بالقائد الأعلى – النصر – ولكني رأيت في عينيه كذلك الاعياء الكبير ، وتفهما جديدا نحوي أنا ٠ تصافحنا ببساطة وأحسست بشكره لي عبر المصافحة الحارة التي استمرت فترة طويلة ٠ وسألني : وأخيرا وصلت بدون مشاكل ؟ فقلت : نعم

بدون أية مشاكل ٠ ثم صافحت الزعيم الأسمر مدير الاستخبارات العسكرية وجلست ثم قلت : علي أن أسرع ، هل تريدون ان تدونوا كلامي ؟ قال الزعيم الأسمر : (كلا) ، وانما سنسجلها على شريط ، وأدار جهاز التسجيل وبدأت بالقاء ما يشبه المحاضرة وكنت قد حفظت أقوالي غيبا خلال رحلتي من القاهرة الى هنا ٠ الوضع السياسي / العسكري ، هو كالتالي : بعد فشل الهجوم الجوي المصري الذي كان مقررا في صباح يوم السادس والعشرين من الشهر الجاري ٠

قال القائد الأكبر : (نعم) ، وأنا باسم جميع الناس الذين لا ولن يعلموا بما حدث ، أشكرك من كل قلبي ٠ قلت بدون تعليق : لقد رؤي عدم القيام بهجوم ، وخاصة هجوم جوي ٠

لقد كان محيي الدين نفسه هو الذي أبلغني بذلك صباح يوم السبت في مكتبه ٠ وكان قد استدعاني اليه وكانت أول مرة آراه فيها غاضبا ٠ وقال لي : ان في قيادة سلاح الجو المصري جاسوس خائن ، وأنا أعرف من هو ، ولكنه سيجد نفسه في يوم من الأيام بدون رتبة فريق أول التي يحملها ، في داخل السجن ينتظر محاكمة عسكرية ٠

لم يكن عسيرا علي أن أعرف المقصود بكلامه ، فسلاح الجو المصري ليس فيه سوى رجل واحد برتبة فريق أول وهو قائد السلاح نفسه . ثم استطرد محيي الدين قائلا : لقد أضعنا الفرصة ، وأصبح الاسرائيليون الآن مستعدين ، فقد جندوا بالطبع جميع قواتهم وهم بحالة استنفار كاملة ليلا نهارا ٠ وأنظار العالم كله متوجهة الآن نحو فلسطين ٠ ولذلك يجب أن لا نكون نحن المعتدين ، ولكننا سنرغم الاسرائيليين على أن يعتدوا هم ، ولدينا الآن اتفاقية دفاعية مع سوريا ، كما أن العراق والسعودية سترسلان قوات عسكرية للأردن ٠ ولن

تمضي أيام قليلة حتى يجد الملك حسين نفسه مضطرا لعقد اتفاقية دفاعية معنا ، ويسمح للقوات العراقية بالدخول الى الاردن والتوجه غربا الى أبواب تل أبيب • كذلك ستنضم الجزائر الى المعركة خلال أيام • وخلال عشرة أيام سترابط على جميع حدود اسرائيل مع الدول العربية قوات عسكرية قوامها نصف مليون جندي عربي بحوزتهم ٢٥٠٠ دبابة حديثة و ١٠٠٠ طائرة عسكرية ، وجميعهم تحت علم واحد . وعندها ستجد اسرائيل نفسها مضطرة لتقرر الهجوم أو الاستسلام ، وآمل أن تقوم بالهجوم ، حتى نرغمها على الاستسلام بذلك •

غريب •• هل بدأ هذا الانسان يحلم هو الآخر ؟ كنت أعرف جيدا أن الملك حسين لن يدخل الحرب ضد اسرائيل حتى اللحظة الأخيرة ، بل وبعد اللحظة الأخيرة • ففي اللحظة التي يدخل فيها السلاح المصفح المصري الى تل أبيب سينضم الملك حسين الى المعركة • وعند ذلك لن يؤثر انضمامه شيئا • والسعودية ؟؟؟ أنا أعرف أن هذه الدولة كانت طوال خمسة عشر عاما تدافع عن نفسها ضد مصر ، وكانت تقدم للقوات الملكية في اليمن جميع المساعدات الممكنة ضد القوات المصرية • ثم الجزائر ؟ والعراق ؟

بعد يومين من حديثنا أعلنت قيادة الجيش الجزائري ارسال وحدات عسكرية لمساعدة مصر ، ثم بعد يومين وصلت القوات العراقية الى الأردن • والسعودية ، أرسلت هي الأخرى ٢٠ الف جندي الى خليج العقبة لمساعدة اللواء الشاذلي في احتلال ايلات • وفي ذلك الوقت كان يجلس في عمان اللواء (عبد المنعم رياض) المصري كقائد للقوات الأردنية والعراقية والمصرية التي ترابط في الأردن .

وقال لي محيي الدين :

علينا أن نجهز كل شيء لمواجهة الضربة الاسرائيلية ، يجب أن نوقفها ، يجب أن نحطم الجيش المعتدي ونقوم بهجوم معاكس • وبعد ذلك نستطيع أن نتفرغ للخونة •

وطلب مني زكريا محيي الدين للمرة الثالثة أن أساهم في المعركة الجوية المصرية •

طلب الي أن أسافر الى الهند لأنهي هناك صفقة عسكرية جرت بشأنها مباحثات طويلة • ففي المناطق الشمالية بالهند جرى استبدال شبكات الرادار القديمة بشبكات رادار حديثة قدمتها امريكا للهند سرا كجزء من مخطط يحيط الصين بالرادار من جميع الجهات • ولذلك فان شبكات الرادار القديمة في الهند وهي على أي حال أفضل بكثير مما لدى مصر ، عرضت للبيع ، وكانت الحكومة الهندية ترغب في بيعها للأصدقاء ، ولكنها لم ترغب في أن يتم البيع علانية ، وكانت تأمل في الحصول على ثمن كبير لهذه الصفقة • ولذلك وقع على الاختيار في مصر للسفر الى الهند والتفاوض حول الصفقة • واذا استطعت أن أنهي المفاوضات بسرعة فان شبكات الرادار ستوضع في سيناء ومنطقة القناة والدلتا قبل أن يشن الاسرائيليون هجومهم •

نظر الي محيي الدين بعد أن انتهى من شرح التفاصيل وقال :

ان صديقنا الجنرال ـ شيكوف ـ يعارض في أن تكون بحوزتنا شبكة رادار شاملة • فهو غير مقتنع بقدرتنا على التحكم والسيطرة بمثل هذه الشبكة المعقدة • ولذلك سنضعه أمام الأمر الواقع ، ولكن اياك أن يعلم بشيء من ذلك في الوقت الحاضر • وبعد غد تستطيع أن تسافر الى تركيا ومنها الى الهند أحضر الي صباح بعد غد ، بعد أن تكون قد حجزت لك مكانا في

الطائرة . نحن لن نقوم بالهجوم ، هكذا واصلت حديثي الذي يسجل على الشريط بحضور القائد الكبير ومدير الأستخبارات في تل أبيب واستطردت أسرد ما قاله لي زكريا محيي الدين ، سنحاول أن نرغم اسرائيل على شن الهجوم بعد أن نكون قد أحطنا بها من كل جانب · وربما يقوم بزيارتنا اليوم الملك الصغير ·· وهنا سألني مدير الاستخبارات · من أين سمعت هذه المعلومات ؟ قلت من زكريا محيي الدين نفسه · قال — هل سيوقعون اتفاقا عسكريا ؟ قلت (نعم) وسيعود مع الملك الى الأردن اللواء عبد المنعم رياض وسيتسلم قيادة القوات الأردنية والعراقية ، ومن المرجح أن يحيط باسرائيل في الأسبوع الثاني من شهر يونيو جيش عربي موحد يضم قوات عسكرية من الجزائر والسعودية أيضا · وقوام ذلك الجيش — كما قال لي محيي الدين — نصف مليون جندي وبحوزته ٢٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ طائرة ·

وهنا سألني الجندي الأول في اسرائيل بصوت هادىء (وبعد ذلك ؟) قلت ، وبعد ذلك لن يكون أمامكم الا طريق واحد هو الاستسلام ، والتنازل عن جنوب النقب وبذلك تحل مشكلة مضيق تيران ، والا الحرب ، وعندها ستواجهون الجيش العربي الجرار الذي سيدمركم · ويشن عليكم هجوما مضادا من كل جانب ويدخل تل أبيب ، ولكنني سأحاول جهدي من أجل أن لا يحدث ذلك · والآن سأتحدث عن الحالة في سيناء ·

قلت بعد أن رأيت مدير الأستخبارات يصغي باهتمام زائد ··

أبلغتكم بشكل عام عن توزيع القوات في سيناء ، الفرقة السابعة بقيادة اللواء حسن سليمان عبد العزيز ، وترابط في رفح والعريش · وبالطبع فان ما أقوله الآن ليس مدونا عندي ولذلك يجب أن أركز أفكاري لئلا أخطىء · وأبلغكم أيضا بأنه

غرس أمام رفح حقل ألغام من الشاطىء حتى الرمال في الجنوب· والطريق الوحيد للألتفاف حول ذلك الحقل هو التحرك على طول شاطىء البحر الى موقع باسم (الشيخ زويد) ويقال بأن تلك المنطقة بأسرها كتلة كبيرة من التحصينات تمتد حتى العريش · وكنت قد طرت فوق تلك المنطقة قبل عشرة أيام مع المشير عامر وصدقي محمود ، وقد بدت لي تلك التحصينات بأنها مغروسة الى عمق كبير في الأرض ومصنوعة من الأسمنت المسلح · كذلك فالدبابات مغروسة في الأرض أو في خنادق من الأسمنت المسلح ، ولا يبرز منها فوق سطح الارض سوى المدفع·

الفرقة الثانية بقيادة اللواء محمد كامل عبد العزيز وهي تحتل المنطقة الممتدة بين ابو عجيلة حتى القسيمة · وفي منتصف تلك المنطقة موقع حصين جدا باسم (أم كتف) وقد ربط ذلك الموقع في المدة الأخيرة بطريق مع الأسماعيلية ، وهو أكثر المواقع تحصينا في سيناء ، وتكثر فيه المدفعية والدبابات · ووراء هذه المنطقة ترابط الفرقة الثالثة في المنطقة الممتدة بين جبل لبنة وبير حسنة ، ولا أعرف من قائد هذه الفرقة · كذلك جرى تعزيز المنطقة الممتدة بين الكونتيلا والنخل ، وهناك ترابط الفرقة السادسة بقيادة اللواء حسن عبد القادر وهو ضابط عسكري ممتاز ، واشتهر كثيرا في اليمن ·

وهنا سألني مدير الأستخبارات ·· هل تعرفه شخصيا ؟

قلت وأنا أنظر الى ساعتي ، كلا ، ولا أعرف من قادة سيناء سوى كامل مرتجى قائد القوات البرية ، كذلك أعرف اللواء الشاذلي ، وقد اشتهر في حرب اليمن · تذكرت كامل مرتجى يوم قمنا بزيارة له ، أنا والمشير عامر وصدقي محمود يوم وصلنا الى (بير ثمادة) بينما كان سرب من طائرات ميج ٢١ يحرس الطائرة التي نركبها خوفا من تعرضنا لهجوم اسرائيلي مفاجىء · وعند وصولنا صافح المشير عامر كامل مرتجى وهو

قصير القامة بدين الجسم ، وكنت قد تعرفت على كامل مرتجى في نادي الجزيرة بعد أن عرفني عليه شقيقه الرائد أحمد مرتجى، وهو ضابط بسلاح الجو • وكان أحمد يفاخر بشقيقه وهما برتبة لواء ، وكان الأكبر فيهما يخدم في سلاح الطبابة (الخدمات الطبية) وفي ذلك اليوم حدثنا كامل مرتجى عن الأنتصارات التي حققها في اليمن وكانت الراقصة (غادة فخري) تصغي اليه باهتمام بالغ • وبعد منتصف الليل قامت الراقصة غادة فخري وأرفقت كامل مرتجى فقد كان يبدو عليها الاهتمام ليس بحديثه عن اليمن فحسب وانما الأهتمام به في الفراش أيضا •

قطبت جبيني الذي كان لا يزال ناعما كما كان في عز الشباب وقلت :

هذه هي بالطبع تقديرات شخصية . وأعتقد أن كامل مرتجى ليس بالمرة جنديا مقاتلا جريئا كما يحاولون وصفه • ولكنه يستطيع أن يجلس ببطولة كبيرة داخل القيادة الواقعة تحت الأرض في جبل (يالك) ولكن احساسي هو أنكم حينما تشنون الهجوم ، فأنه سيتوجه على الفور الى القاهرة ـ ليقدم تقريرا عن الحالة ويبقى هناك ـ •

قال مدير الأستخبارات العسكرية ••

ولكن هناك آراء غير ذلك حوله •

سألته ، وهل مصدر تلك الآراء من أشخاص كانوا يأتون اليه بالراقصات اللواتي لا تتجاوز أعمارهن التاسعة عشر •• ليشاركنه الفراش ؟ أم مصدر تلك الآراء من أشخاص استمعوا اليه وهو يصف معركة ضد جنود الامام العراة الحفاة ، بأنها كانت معركة ضد جيش عصري ؟ كذلك فان (رومل مصر) ـ لقب اللواء حميد الشاذلي ـ لم يخلق لدي انطباعا كبيرا • فان القوات الخاصة التي يقودها الشاذلي والتي يفترض فيها أن

تكون أول قوات عسكرية تدخل اسرائيل ، وتوجه الضربة الشديدة في هجوم مضاد ، موزعة حاليا على طول الطريق من جبل لبنة حتى الحدود •

ورمقني الزعيم بنظرة ذات معنى وهو يبتسم وقال :

هل أنت واثق مما تقول ؟

قلت ـ تقريبا ، فالحقيقة نفسها لا يعرفها حتى كامل مرتجى نفسه وربما ولا الشاذلي أيضا ، وهو يقوم بتوزيع القوات هنا وهناك وفي كل اتجاه ليضللكم ويخدعكم • وواصلت الحديث •. نقطة أخيرة بالنسبة لسيناء ، وهي أن الفرقة المصفحة الرابعة التي يقودها اللواء عواد علي صدقي الذي يلقب (الغول) رابطت أمس في سيناء وأشرت بيدي الى نقطة ما على الخارطة العسكرية الموجودة أمامي •

وعاد مدير الاستخبارات ينظر الي ويقول معلقا :

ولكن هذه المنطقة عبارة عن منطقة صحراوية مفتوحة •

فقلت •• ولكنه أقيم فيها مؤخرا موقع كبير في غاية التحصين • وفي هذه الأثناء دخل علينا ضابط يحمل معه الشراب الساخن وهنا طأطأت رأسي وتناولت منديلا من جيبي وتظاهرت بأنني أمسح أنفي ، وذلك لئلا يرى وجهي هذا القادم •

كانت هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها اسرائيل بأسم أرام أنوير • فقد كنت أحمل معي جواز السفر الذي لم تطبع عليه أية تأشيرة أسرائيلية ، كما أنني لم أصبغ شعري كما كنت أفعل في كل مرة ، والسبب أنني لا أجلس الآن في داخل القيادة الأسرائيلية وانما موجود بداخل طائرة تقلني من تركيا الى الهند ، وكانت هذه الطائرة قد هبطت بمطار اللد لتتزود بالوقود وفي غضون ذلك شعر قائدها بوجود خلل مفاجيء فيها •

وكنت بالأمس قد وصلت من مصر الى تركيا ، وفي الليل بعد أن أستأجرت غرفة في فندق (هلتون) في اسطنبـــول خرجت لأتجول في المدينة • وإستأجرت سيارة أوصلتني الى (هاجيا صوفيا) وبعد أن تنزهت في هذا المكان قليلا ،أستأجرت سيارة أخرى أوصلتني الى الجسر الواقع على (قرن الذهب) ، ثم توجهت نحو الجزء الشمالي من اسطنبول الى حي هـــادىء دافىء • وهناك تطلعت خلفي لأرى ما اذا كان أحد يقوم بتعقبي ومراقبتي ، ثم دخلت عمارة جميلة تقيم فيها صديقتي التركية • واستقبلتني بدهشة ، فقلت : ادخلي المطبخ واغلقي الباب وأعدي لي قهوة تركية • ولا تخرجي قبل أن أطلبك •

وأطفأت الأنوار في الممر الفسيح ، وجلست الى طاولـــة صغيرة عليها هاتف وطلبت اجراء اتصال هاتفي مع (اسرائيل)، ثم شربت القهوة التي أعدتها صديقتي واستلقيت على الكرسي أنتظر جواب الهاتف •

وسألتني صديقتي ، الست بحاجة لشيء ما ؟

قلت ، كلا ، شكرا جزيلا ، أريد أن أستريح قليلا ،وحينما يقرع الهاتف أدخلي المطبخ وأبقي هناك •

حسنا ، قالت وجلست على مقعد آخر لئلا تضايقنـــي •

وبعد مرور ساعتين دق الهاتف وقالت عاملة المقسم (الخط مع اسرائيل) •

قلت بعد أن حملت السماعة ــ هالو ، رفاعي أز سبيكنك،

ــ رفاعي يتكلم ــ قال الصوت على الطرف الآخر ، من أنـــت ؟

قلت •• يو سبيك أنجلش ؟ ــ هل تتكلم الأنجليزية ؟ ــ قال : أنجلش ؟ هو آريو ؟ ــ من انت ؟ ــ قلت : رفاعي ، مستر رفاعي أنا • سبيكنك فروم توركي ــ أتحدث من تركيا ــ قال : آه •• رفاعي ، أية خدمة تريد ؟ قلت : سأصل غدا الى اللد على طائرة تابعة للخطوط الجوية التركية في حوالي الساعة التاسعـــة

والنصف . هل تستطيعون أن تتسببوا بوقفة طويلة للطائرة في اللد ؟ فاني أريد أن أتحدث خلال ذلك مع مدير شركة (أيمبور تورك) هل فهمت ؟

قال وبدا عليه أنه قد فهم فعلا (نعم) ستحضرون فـــي التاسعة والنصف ويجب أن نسبب وقفة طويلة لتتمكن خـــلال ذلك من التحدث مع مدير شركة (أيمبور تورك) •

قلت بعد أن تنفست الصعداء ، نعم بالضبط •

في مطار اللد تناولنا وجبة ساخنة فاخرة ، كما هي العادة في شركات الطيران الدولية ، وأبلغ الركاب أن الطائرة ستتأخر في المطار بسبب خلل مفاجىء • أنهيت الطعام مسرعا وقمت نحو المغاسل وهنا مر بجانبي شخص وهمس مسرعا ، فولومي مستر رفاعي ــ أي إتبعني يا سيد رفاعي ــ وتوجهنا نحو باب في واجهة مستودع المطار ، وبعد أن دخلناه أغلقه رجل آخر ، ومررنـــا بالمستودع المظلم وخرجنا الى سيارة كانت تقف خلف المستودع وبابها مفتوح تماما على باب المستودع الخلفي • وما كدت أدخل حتى انطلقت السيارة مسرعة ، لأجتمع بقائـــد سلاح الجـــو الإسرائيلي لأبحث معه في أمر صفقة الرادار الهندية التي من أجلها أوفدني زكريا محيي الدين •

بدأت الحديث مع قائد سلاح الجو الاسرائيلي قائلا :

أعتقد أن المصريين وصلوا الى نقطة اللاعودة • تصور حتى أن البابا (كيرولوس السادس) طالب قبل يومين بتحريـــر الأراضي المقدسة من أيدي صلبة المسيح • أما ما يحدث فـــي المساجد من الدعوة للجهاد والتحرير فلا يمكن وصفه ، فالجماهير تريد الحرب فعلا •

قال جملة مفيدة واحدة (اذا كانوا يريدون الحـــرب فسنعطيها لهم) •

القسم الرابع والأربعون

فكرة سطحية جنونية

٣٠ مايو ١٩٦٧ ـ الساعة ٣٠ر١٠ حتى الساعة ٢٠ر١١

كان علي الآن أن أملِ ، وبسرعة، التغيرات التي طرأت في الأيام الأخيرة على سلاح الجو المصري ، قلت وأنا أوجه كلامي بشكل خاص الى قائد سلاح الجو الإسرائيلي الجالس بجانبي : تسلمنا في المدة الأخيرة (يقصد مصر) عددا جديدا منطائرات طوبوليف ١٦ وهي القاذفات البعيدة المدى ٠ وأصبح لدينا ٢٤٠ طائرة منها ٠ بعضها في (بني سويف) وعشر طائرات فى مطار القاهرة غرب وثماني طائرات في مطار الأقصر ٠ ووصلنا كذلك عدد من طائرات (سوخوي ٧) ويقول قادة سلاح الجو المصري أن هذه الطائرات تفوق كل ما لدى اسرائيل ٠

وهنا قال قائد سلاح الجو الإسرائيلي غاضبا :

ولكن ذلك يتوقف على نوعية الطيار الموجود في الطائرة ٠

كان الوقت يمر مسرعا فواصلت الحديث بدون تعليق ، طائرات ميج ٢١ تتوارد الينا باستمرار ٠ ويبلغ عددها حاليا حوالي ١٠٠ طائرة ولكن يصل منها في كل يوم عدد كبير ٠يقوم سرب من طائرات ميج ٢١ في مطار بير كفكفا بالتقاط الصور الجوية للمنطقة الجنوبية ٠ وهي تمر فوق النقب على ارتفاع ٦٠

الف قدم تقريبا وبسرعة ٢ ماك وتلتقط الصور لقواتكم هناك ٠ اعلنت لدينا منذ يوم أمس حالة الطوارىء التامة في جميع القواعد والمنشآت الجوية لأنكم تعتزمون شن هجوم مباغت على مطاراتنا (يقصد المطارات المصرية) ٠

وتوقفت عن الحديث لأرى الانطباع الذي خلقته الجملة الأخيرة على قائد سلاح الجو الاسرائيلي ومدير الاستخبارات العسكرية ٠ وبالفعل فقد رأيت أن وجه مدير الاستخبارات قد تجمد ، وأما قائد سلاح الجو فقد فتح عينيه بينما لم يتغير شيء في وجه القائد الكبير (رئيس هيئة الأركان) ٠ وانما ظل ينظر الي كما كان في البداية ٠ وواصلت الحديث : تعتزمون شن هجوم مباغت على مطاراتنا بواسطة حركة التفاف طويلة من الجنوب ، ولذلك فقد نقلنا الى مطار الغردقة المقابلة لشرم الشيخ ٢٠ طائرة ميج ، وحينما تظهر طائراتكم هنا فان طائرات الميج ستنطلق من الغردقة والأقصر وتصوب طائراتكم من الخلف ٠ وواصلت الحديث :

في مطار الغردقة الآن أكثر من ٢٠ طائرة ميج ٢١ علاوة على سرب ميج ١٩ وسرب ميج ١٧ ، أما في الأقصر فهناك حوالي ٢٠ طائرة ميج ٢١ ٠ ونعتقد أن هجومكم سيكون مع الفجر ، في حوالي الساعة الخامسة حسب توقيتكم ٠ ولذلك تقوم في حوالي الساعة السابعة من كل يوم دورية جوية قوامها سرب كامل من طائرات ميج ٢١ بالتجول فوق منطقة الدلتا والقناة ٠ وبنفس الوقت تكون ستة أسراب (٧٢) طائرة ميج ٢١ تنتظر عند أطراف المدرجات للانطلاق عند أول اشارة ٠ فاذا ما ظهرت الطائرات الاسرائيلية في الجو تصدت لها قوات كبيرة ٠ ومن ناحية أخرى فقد قمنا بابعاد القاذفات من نوع طوبوليف واليوشن ٢٨ الى الأقصر وهو مطار خارج نطاق مدى طائراتكم ٠ وبعد صد غارتكم الجوية بطائرات ميج ٢١ وطائرات سوخوي ، تنتقل

طائرات الأليوشن الى المطارات العسكرية فيمنطقة القناة وتنطلق لتدمير تل أبيب ، ولا تحتاج طائرات الطوبوليف الطويلة المدى الى الإنتقال من الأقصر ، وانما ستنطلق من هناك مباشـــرة الى اسرائيل وتعود الى قواعدها سالمة • وقد أصدر صديقي اللــواء (دغيري) قائد المنطقة الجوية الشرقية أي منطقة سيناء تعليمات مشددة لجميع القاذفات بأن تكون جاهزة للقيام بغارات ليليـــة فور سيطرة الطائرات المقاتلة على الجو • وسنضرب اسرائيل في الليلة الأولى قنابل محرقة ، وفي اليوم الثاني تقوم طائراتنابثلاث غارات لكل طائرة على أراضيكم •

وسكت ، مفسحا لهم المجال ليهضموا ما سمعوه ويكتشفوا نقاط الضعف بأنفسهم ورأيت قائد سلاح الجو يغلق عينيـــه قليلا ، ويسألني بصوت مبحوح ، الى أية ساعة تستمر حالـــة الطوارىء عندكم ؟

قلت : الى ما بعد الساعة السابعة صباحا (حسب توقيتكم) وعند ذلك تعود الى القواعد جميع الدوريات الجوية ، وفي حوالي الساعة السابعة والنصف يخلع الطيارون ملابسهم الجويـــة وينصرفون لتناول الطعام بما في ذلك المسؤولون عن اجهـــزة الرادار •

وسألني قائد سلاح الجو ، ومن يبقى عند أجهزة الرادار ؟

لا أحد ، قلت بدون اهتمام وأضفت ، وانما يغلقون جميع الأجهزة لمدة نصف ساعة أي حتى الساعة الثامنة بتوقيتكـم • وعندها يعود الجميع الى مراكزهم •

وسألني قائد السلاح ، يغلقون أجهزة الرادار مدة نصف ساعة ؟

نعم ، قلت وكأنه يسألني عن موعد خروج سيارة الباص وأضفت ، ولقد عرفت ذلك من الجولة التفتيشية التي قمت بهـا

قبل أسبوع بأمر من زكريا محيي الدين ، وأنا نفسي كنـــت لا أصدق ذلك •

وسألني مدير الإستخبارات : وماذا كـــان رأي محيي الدين بذلك ؟

قلت ، لم أبلغه به وانما قدمت له تقريرا عن الحالة السيئة في شباك الأرصفة ، تلك الشباك التي سنحتاج الى استخدامهـا اذا ما نجحتم في ضرب المدرجات وأبلغته كذلك عن الفراغ الخالى من الرادار في مكتب سيناء ، وأقنعته بأن ينقل سرب ميج ٢١ من مطار ألماظة الى مطار القاهرة غرب • ومطار ألماظة تجرى فيه حاليا عملية تنظيم جديدة وخاصة فيما يتعلق بمنشآت الصيانة والتموين والوقود • أما في مطار القاهرة غرب حاليا فيوجـــد سرب طائرات (طوبوليف وسرب ميج ٢١ وسرب ميج ١٧)وعدد من طائرات النقل •

ورأيت القائد الكبير ينظر الي ويدق باصبعه على الطاولة ويقول :

ماذا تستطيع أن تفعل أنت ؟ كنت أفكر بما أستطيع فعله كما سألني القائد الكبير ، طوال الليلة التي أمضيتها فـــي اسطنبول وطوال رحلتي الى هنا • وكانت في رأسي فكرة سطحية جنونية ولكن علي الآن أن أعرضها على هؤلاء المسؤولين بأسلوب جذاب : فقلت :

أستطيع أن أعمل حفلة •

حفلة ؟ قال القائد الكبير مستغربا وغاضبا •

قلت : حفلة ، نعم ، حفلة لطياري النفاثات المصرية ، أبطال الأمة الذين أقضوا مضاجع اسرائيل بدون قتال • سبق لي أن بعت أفكارا أسوأ من هذه الأفكار وكنت دائما أجد من يشتـــري وواصلت :

حفلة كبرى ، مع الشراب ، والراقصات ، ونجوم السينما وطالبات الجامعات في أحضان الطيارين السكارى • عددالطيارين هو ٦٠٠ طيار وأعتقد أنه سيأتي منهم حوالي ٥٠٠ طيار الى حفلة النصر •

وسألني القائد الكبير :

حفلة انتصار ؟ لماذا ؟

قلت في نفسي ، حلو جدا لقد اشتروا هذه الفكرة ثم أضفت لماذا ولأي غرض الحفلة ، ان ذلك يتوقف عليكم •

أقلعت الطائرة بسرعة ، وخلفت المطار ورائي ، حلقنا فوق الجبال التي ترابط فيها قوات الجيش الأردني ، ومررنا فوق النهر المتعرج ـ يقصد نهر الأردن ـ وتوجهنا الى الشمال الشرقي وهنا في طريق الصحراء السورية لا بد وأن تتحرك اليوم أو غدا القوات المصفحة العراقية تسرع نحو الحدود الاسرائيلية لتزيد من احكام الطوق الفولاذي على بلدي اسرائيل •

وعدت الى التفكير بالحفلة ، تلك الفكرة السطحية المجنونة التي عرضتها فووفق عليها ولم يعد باستطاعتي التراجع عنها الآن •

القسم الخامس والأربعون

نجومُ الليل

٤ يونيو ١٩٦٧ ـ الساعة ١٢،٤٥ حتى ٢٢،١٥

من بعيد كان يأتي صوت المحرك قويا ، ولكن هنا في الشرفة المطلة على الحديقة هدوء تام • ولم يكن يعكر صفو الهدوء بين الحين والآخر سوى مرور سيارة ، أو خشخشة الأوراق الجافة التي تداعبها ريح البحر • كذلك كان يقطع الهدوء صوت الراديو • أما الطيار الذي كان يستلقي على الأريكة الناعمة فقد كان يرتدي لباسا صيفيا خفيفا وقميصه يكشف عن ذراعين ناعمين ، وساعة طيار تلمع على يسراه التي يمسك بها ذراع أمرأة تجلس على كرسي مجاور • وقال الطيار هامسا : ما أجمل هذا الهدوء حتى كأنه ليست حروب في الدنيا • وكان يرنو الى المرأة الشابة التي تجاوره بنظرات حانية • كان شعره أسود اللون ، وشعرها أشقر متناثر حول رأسها • كان الأثنان يحرصان على الظهور بمظهر زوجين ، رجل وامرأته ، ولكن عشقهما كان عشق ربيع الشباب، وقالت المرأة الشابة (أنا أحبك) وأبتسم الطيار ثم أخذ وجهه طابع الجد • فقد تخيل أمامه الطريق ، كأنه لم يعبره مرات عديدة • تخيل منطقة الشاطىء جبال النقب من جنوب القسيمة عبر الجبال القاحلة استمرارا الى الجنوب ، فوق المرتفعات ومخلفا جميع مطارات سيناء ويجتاز خليج السويس ثم يمر بالجبال حتى سهل النيل • تخيل مطار بني سويف بمنشآته

ومبانيه والمدافع المضادة للطائرات ، والطائرات القاذفة الضخمة (الطوبوليف) وتخيل الى جانب ذلك طائرته الفيتور ذات المحركين التي تبدو كقزم صغير بجانب الطوبوليف • كان يعشق طائرة الفيتور •

وفجأة قطع حبل الهدوء والخيال صوت الراديو بعد أن توقف عن اذاعة برامجه الأعتيادية ليعلن : وان حكومة الولايات المتحدة تنتظر جواب الدول البحرية بشأن اقتراحها لتشكيل قوة بحرية تقوم بفك الحصار في خليج تيران •• وعاد الهدوء كما كان • ثم جاء في الراديو : يقوم نائب الرئيس عبد الناصر السيد زكريا محيي الدين بالسفر بعد غد الى الولايات المتحدة لمقابلة الرئيس جونسون •

قال وزير الدفاع ردا على أسئلة الصحفيين بأن اسرائيل أضاعت عنصر المفاجأة ولذلك من المعتقد ، وللملاحين وصيادي الأسماك في البحر الأبيض تهب رياح خفيفة ويكون البحر هادئا ••• كان الطيار بحالة استرخاء كاملة تارة يسمع الأخبار وتارة يتخيل المياه الزرقاء تمتد على طول مدى البصر ، وعادت الموسيقى تبعث من الراديو ،وقال الطيار بصوت هامس : (سأذهب الى فراشي) فقد صدرت الينا التعليمات بأن ننام في وقت مبكر في هذه الأيام •

قلصت المرأة شفتيها بقوة ، وهي تبتلع رغبتها الخفية في البكاء • كانت تعرف واجبها • يجب عليها أن لا تبكي ، ولكن من حقه هو أن يأخذها بين ذراعيه •

الى حضنك ، قالتها بحرارة بشهوة • ثم رفعت عينيها الى السماء ورأت النجوم تلمع فأغمضت عينيها مستسلمة بين ذراعيه •

كانت ترابط بين مستعمرة (جؤليم) والشارع الرئيسي الذي يدور خلف قطاع غزة الكتيبة (٧٦٢) وعدد من حراس

الليل كانوا يدورون حول خيام الوحدات يصطدمون من حين لآخر ببعضهم البعض ، فيسألون عن (سر الليل) ثم يقفون مع بعض ليتحدثوا . وبالقرب من الشارع في خيمة الحظيرة الثالثة تبدل الحراس وجلس الحارس المستريح عند باب الخيمة التي ينام فيها زميله وتردد ، هل يدخل الخيمة فورا او يدخن سيجارة في الخارج ؟ في داخل الخيمة حر وزميله ينام في الوسط ممددا أطرافه على أرض الخيمة ، تردد قليلا ثم اجتذب بطانيتين وسوى الأرض خارج الخيمة لينام • وقبل الصباح حينما يبدأ الندى بالتساقط سيعود ويدخل الخيمة •

استلقى على الأرض ، لم ينم • ثم عاد وفتح عينيه ورأى السماء بنجومها ثم انقلب على جنبه ونام •

بالقرب من مدينة حلوان ، على بعد كيلو مترات قليلة جنوب القاهرة تقوم المصانع الضخمة للطائرات العربية • وهم يبنون هنا منذ خمس سنوات الطائرة المقاتلة ٣٠٠ التي تفوق سرعة الصوت • وبين المصانع والمدينة يقوم برج مراقبة النجوم الحديث • ورجل طاعن في السن يجلس أمام جهاز (التلسكوب) الكبير في البرج ويتطلع الى نقطة معينة في كبد السماء •ويرسم خطوطا على ورقة أمامه • لقد كرس هذا الرجل معظم حياته لبرج مراقبة النجوم في حلوان وتطوير علوم الفضاء في مصر • وفي المدة الأخيرة جاءه شاب في مقتبل العمر يعاونه ـ هو أنا ـ ولكنني منذ شهر وأنا غائب عنه •

أمضينا سنوات مع بعض ونحن نجري أبحاثا خاصة في الفضاء ولم تنته بعد • وحينما تنتهي أبحاثهما يستطيعان أن ينشرا نتائج الأبحاث حول الفضاء •

تنحنح الرجل العجوز ثم قام من مكانه ، لم يعد يرى فائدة من جهوده • فان صديقه الوحيد المخلص غائب ، لقد اختفى بدون أن يترك أثرا وراءه • لا بد وأن يكون هو الآخر مشغول باله الحرب • طأطأ رأسه وشعر أنه متعب •

القسم السادس والأربعون

تنفيذ الحفلة

٤ يونيو ١٩٦٧ ـ الساعة ٢٣٠٠ حتى صباح الاثنين الباكر

٥ يونيو ١٩٦٧ ـ الساعة ٠٠ر٠١ ـ بتوقيت القاهرة ـ

يا ، يا ، يا ، هتف الطيارون وصفقوا مع وقع الموسيقى الصاخبة والحركات الشهوانية التي تؤديها الراقصة (سهير زكي) من أشهر راقصات هز البطون في مصر ، وكانت تذاكر حفلاتها تضرب الرقم القياسي في الثمن ، ولا يستطيع الاالقلائل حضور حفلاتها . وهي الآن ، ترقص للطيارين فقط . فان أرام أنوير الصديق الوفي للطيارين المصريين تمكن من اقناع (سهير زكي) بعرض فنها الساحر أمام الطيارين المنتصرين . وعلى المسرح أدت أدوارا مثيرة على صوت الموسيقى ، كان كل جزء من اجزاء جسمها يؤدي دورا فنيا خاصا به . بطنها ، ظهرها ، والثديين الكبيرين العاريين ، المتكورين على الصدر ، ورأسها وفخذيها المفتوحتين تدعوان للشهوة والرغبة العارمة . وعند هذه المناظر كان الهتاف والتصفيق بل الآهات المثيرة تملأ الجو وهي تنطلق من صدور الطيارين ورفيقاتهم .

وأنا .. كنت أصدر الاشارة من حين لآخر الى الخدم ليقدموا مزيدا من الشراب ، زجاجات جديدة أريقت في الكؤوس

وتدار على الطيارين ورفيقاتهم .. ومع كل جرعة كانوا يفقدون حواسهم وادراكهم .

وصديقي العزيز ، صدقي محمود كان يجلس مشدودا الى الراقصة لا يرتفع نظره عن المشهد المثير ، وكانت الشهوة تنطلق من عينيه ، ورأسه راح يترنح مع وقع الموسيقى والرقص ،وفجأة تنبهت فرأيت أن جميع الرجال ومعهم جميع رفيقاتهم بدأوا يتحركون على مقاعدهم يشاركون الموسيقى ايقاعها الجميل ويشاركون الراقصة حركاتها المثيرة . ومرة أخرى أشرت للخدم بتقديم المزيد من الشراب والطعام ، وهنا أزاحت الراقصة الغلالات الرقيقة التي تستر بعضا من أجزاء جسمها الحساسة ، فلم يبق مستورا سوى ... سوى الجزء الذى عنده يلتقي الفخذان . وكان هذا الجزء الآن محط جميع الأنظار من كل جانب .

وحرصت على أن أمتنع عن الشراب ، شريطة أن لا يشعر أحد بذلك ، ومن هنا فقد كنت مضطرا الى تناول بعض الشراب أمام أصدقائي ، ولكن الكمية القليلة التي شربتها بدأت تدير رأسي . وتساءلت في نفسي ، اذا كانت الكمية القليلة التي شربتها قد فعلت بي ما فعلت ، فما بال ضيوفي الذين تناولوا أضعاف أضعاف ما تناولته أنا من الشراب ؟

واقترب مني صدقي محمود وقال ونظره مشدود الى الراقصة ، هل ستقضي ليلتها معك يا أرام ؟ قلت نعم .

قال .. ألا تريد أن تبادلني ؟ وأشار الى فتاة تجلس معه تدعى (سميرة) فحركت اصبعي نفيا ثم قلت ، الكشافة يسيرون في المقدمة دائما ، فقال : ولكنك ستجد أمامك أيها الكشاف آثارا كبيرة ، آثار كتائب كاملة . وتوقفت الموسيقى ، وخرجت الراقصة (سهير زكي) الى غرفة الملابس في طرف القاعة .

ان جو النصر الذي تسبب في فقداننا زمام أنفسنا وآدابنا ٠
فالقاهرة التي عدت اليها في مطلع هذا الشهر ، لم أجدها تلك المدينة التي تركتها قبل ثلاثة أيام فأن ألد أعداء الريس ،وأكثرهم عنادا وهو الملك حسين حضر الى القاهرة ، وتبادل القبلات مع رئيس الجمهورية امام الناس ووقع معه اتفاقا عسكريا وضع بموجبه الجيش الأردني تحت قيادة مصرية ٠ وكان هذا دليلا قاطعا على صحة جميع الخطوات التي اتخذها الريس ، فمن أطراف المغرب ، وحتى الصحراء العربية كان أسم الريس يردد على كل شفة ولسان ٠

خصومه ، اعداءه ، معارضوه ، كلهم وضعوا أنفسهم تحت تصرفه ، في خدمته ، سلموه جنودهم وطائراتهم وقواعدهم ٠ الجزائر البعيدة بدأت ترسل الى مصر وحدات عسكرية وعدد من الطيارين ، وقد شاركنا بعضهم حفلة الليلة الحمراء ٠ ومن الكويت جاءت سرية جنود دليلا على رغبة أمراء البترول على الارتباط بركب المنتصر ٠

واسرائيل التي وجدت نفسها محاطة من كل جانب بالأعداء المتربصين ، لم تتجرأ على التحرك ، وانما اقترحت ابعاد القوات العسكرية وسحبها من مناطق الحدود ، واعادة قوات الأمم المتحدة الى مراكزها ٠

ومن يوم لآخر ، كانت تزداد كثافة القوات العسكرية المرابطة على حدود اسرائيل ، العراق نقلت الطائرات المقاتلة والقاذفات الى القواعد الجوية الأمامية ، وتسلم جنودها وسلاحها المصفح المواقع في الضفة الشرقية استعدادا لاجتيازها الى الضفة الغربية وتطويق القدس لاختراق دولة الأعداء وشطرها الى قسمين والتقدم نحو تل أبيب ٠

الى اللقاء في تل أبيب ، كان ينتهي كل حديث بين اثنين

في سلاح الجو المصري ، أو في الجيش ، أو في اجتماعات الساسة ، بل كان هذا هو الحال في جميع الدول العربية ٠

اسرائيل لم تتجرأ على القيام بأدني حركة ٠ والآن يستعد نائب الريس ورئيس حكومة الجمهورية العربية المتحدة زكريا محيي الدين للسفر الى أمريكا لمقابلة الرئيس الأمريكي بغية الوصول الى حل لقضية فلسطين ٠ وكان كل انسان يفهم ، في الأوضاع الجديدة أن أي حل لقضية فلسطين سيكون هذه المرة على حساب العدو الصهيوني ٠

ان فصل جنوب النقب عن اسرائيل ، هو الخطوة الأولى ، وسيؤدي ذلك الى عزل اسرائيل وقطع علاقاتها بمصادر البترول والدول الافريقية وحرمانها من مينائها الذي تصدر منه بضاعتها الى الشرق الأقصى ، وبذلك تبدأ عملية خنق اسرائيل ٠ وستظل الجيوش العربية ترابط على الحدود ، وسترغم اسرائيل عند ذلك على تجنيد قواتها الاحتياطية ، فيشل اقتصادها وتنهار وتستسلم في أيدي العرب كثمرة ناضجة ٠

وفي آخر اتصال لاسلكي بيني وبين اسرائيل قبل موعد الحفلة الليلة أبلغت اسرائيل بأن عددا كبيرا من الطيارين المصريين سيأخذون الاجازات في يومي الأحد والاثنين ، وأن قيادة الجيش المصري ستقوم صباح اليوم الاثنين بجولة في سيناء ، وأبلغت أيضا اسرائيل بأن السفير الروسي في القاهرة طلب بشدة من الرئيس المصري عبد الناصر عدم مهاجمة اسرائيل ولهذا اقترحت عليهم في اسرائيل أن لا يضيعوا آخر فرصة لهم للهجوم على مصر في صباح يوم الأثنين الباكر ، ولكن المحطة الرئيسية في تل أبيب طلبت مني الاتصال بها مرة أخرى بعد بضع ساعات ٠

ولهذا غادرت منزلي الى نادي الطيارين في هليوبولس ،

وفي الطريق التقيت بغادة الراقصة المبتدئة ، وكنت في هذا الوقت بحاجة الى رفيق يسليني ويبعد عني الأفكار المضطربةحتى يتم تنفيذ الحفلة فتشن اسرائيل هجومها في الصباح الباكر ٠ وكانت قد مضت مدة طويلة لم أر فيها غادة فخري ، منذ أن تركتها قبل أسبوع وسلمتها الى بطل اليمن وسيناء اللواء (كامل مرتجى) ٠ وكان استقبال غادة لي حارا فرحبت بي وقالت : انها حزينة لغيابي ، وخاصة في هذه الفترة ومدينة القاهرةتحتفل بالنصر وهي لوحدها بدون رفيق ٠ وطلبت مني أن آخذها الى أي مكان تستطيع فيه أن تلتقي بالمنتصرين الأبطال الطيارين المصريين ٠

كنت أعرف أن غادة من عائلة فقيرة ٠ وهي اليوم بعد أن أخذت تشق طريقها الى الشهرة كانت لا تزال تلفظ بعض الكلمات الشعبية الساذجة التي تدل على أصلها الوضيع ٠ مثلا كانت تسمي ضاحية هيلوبولس (بمصر الجديدة) وغير ذلك ٠ ولكن كان هذا هو عيبها الوحيد فقط ٠ وفيما عدا ذلك فلها مميزات جميلة كثيرة ٠ وكانت تعرف أنها من أجل أن تشق طريقها الى الشهرة بحاجة الى صديق ، صديق ثري له تأثيره وكلمته ، ولذلك فهي تحاول منذ لقائنا الأول أن تلتصق بي ، لتستعيد بثرائي ووجاهتي وتأثيري من أجل الوصول الى الشهرة ٠

ولكني كنت أبعدها عني بلطف ، فلا تلبث أن تعود الى تعطيني نفسها في كل وقت ٠ ومع ذلك فلم أكن مهتما بها ،وقلت لها أكثر من مرة بأنني لست الرجل الذي يستطيع مساعدتها ، ورغم ذلك كانت تعود وترتمي في أحضاني من جديد ٠

تحركت أنا وغادة الى نادي ضباط الجو ، في الشوارع التي ازدانت بحلل العيد ٠ وكانت صور الريس تطل من كل جانب ومعلقة على كل شباك وباب ٠ وفي الشوارع كانت تسير مجموعات من المتظاهرين السكارى بنشوة الشعور بالنصر على

اسرائيل ٠ وكانت مكبرات الصوت المنتشرة في كل مكان تنقل صوت (أحمد سعيد) مدير اذاعة صوت العرب وهو يقول : لقد وصلت المسيرة الى تل أبيب الى مرحلة التنفيذ ٠ انها فرصتنا أيها العرب لننزل ضربة مميتة مدمرة على اسرائيل لا حياة ولا أمل للعصابات الصهيونية ٠

واقتربت مني غادة وقالت : حينما يدخل جيشنا الى تل أبيب أريد أن أكون أول فنانة تظهر أمام جنودنا هناك ، فهل تستطيع أن تساعدني في ذلك يا أرام ؟ وتصوَّر بينما يكون الدخان لا يزال يتصاعد من المنازل المهدومة وجنودنا بلباسهم الحربي ويلتقون في قاعة كبرى بتل أبيب ، لتظهر أمامهم الفنانة الشهيرة غادة فخري وهي ترقص لهم رقصة الانتصار ٠

أشهد أعرف أن جو النصر الذي كانت تعيشه القاهرة في الرابع من يونيو ١٩٦٧ هو الذي مكنني من اقناع قائد سلاح الجو المصري صدقي محمود باقامة حفلة النصر الكبرى لضباط سلاح الجو ٠ وتقرر أن تقام حفلة للطيارين من المنطقة الجوية الوسطى (القناة) والمنطقة الجوية الغربية (الدلتا والنيل) في نادي طيران قاعدة (أنشاص) ٠ أما حفلة الطيارين من المنطقة الجوية الشرقية (سيناء) فتقام في قاعدة (بير كفكفا) ٠ وهنا جاءتني فكرة عابرة ، لماذا لا أساعد غادة فخري فعلا ، فتظهر في احدى الحفلات الساهرة أمام الضباط الطيارين ؟

قلت لغادة : هل ترغبين في الظهور أمام طيارينا في سيناء؟ فغدا سنقيم حفلة للطيارين في بير كفكفا ٠ وسيحضرها جميع الطيارين في تلك الجبهة فهل تحبين الظهور هناك ؟ ، فقالت وعينيها تلمعان ببريق الشهرة ٠ وهل ستكون أنت هناك ؟ قلت (كلا) لأنني سأكون موجودا في مكان آخر ولكني سأسلمك مباشرة الى اللواء (عبد السلام دغيري) قائد سلاحنا الجوي في

سيناء • وفرحت غادة ، كانت هذه أكبر مناسبة لها ، فانها ستظهر أمام طياري الخط الأول ، واسمها يتردد على كل لسان ، قالت : أرام ، أرجو أن ترتب لي ذلك فورا وسأكون خادمتك الى الأبد •

لقد كانت غادة من أسرة فقيرة وضيعة ، ولم تكن تفهم أنه لا شيء يدوم الى الأبد ، تحدثت مع اللواء عبد السلام دغيري بخصوص غادة ، ثم أخذتها الى منزلها ، وفي الطريق قلت لها (كوني لطيفة مع اللواء دغيري يا حلوتي ، فهو رجل كبير وله مستقبل في بلاده) . قالت : أرجو أن يكون رجلا بالفعل أكثر من الجنرال الذي سلمتني اليه ، ذلك الجنرال الذي قلت عنه انه بطل اليمن كامل مرتجى •

قلت ، وأنا أيضا آمل ذلك يا عروسة ولكنني لم أجربه ،جربيه أنت وأخبريني بالحقيقة ، وضحكنا •

كنت أحب غادة ، ولكن كما يحب النجار منشاره ، وكما يحب الفلاح محراثه ، وكما يحب لاعب الشطرنج حجارة الشطرنج • وهكذا أصبحت غادة جزءا من مخططي الخاص ، ولم يبق أمامي الآن سوى استلام موافقة المسؤولين في تل أبيب على تنفيذ الحفلة والبدء بها •

كنت أعرف أن سلم الأصوات الموسيقية العربية الذي يشتمل على (١٧) نغما ، هو أغنى بكثير من سلم الأصوات الموسيقية عندنا ، أقصد بلد اليهود • وكنت أعرف كذلك أن راقصات هز البطون يتحكمن في أعصابهن وعضلاتهن بشكل غريب • وكنت أعرف التقاليد العربية القديمة التي يرجع تاريخها الى آلاف السنين وهي الانصراف الى اللذات والشهوات عند من يقدر على ذلك • ولكن ما شاهدته الليلة كان جديدا علي ، فقد استمرت الحفلة منذ المساء على وتيرة واحدة ، وحان

منتصف الليل ، حيث ينتهي اليوم ويبدأ يوم جديد ، وفي ساعتي رأيت كيف يختفي الرقم ـ٤ـ ويحل محله الرقم ـ٥ـ ، مشيرا الى تاريخ اليوم الجديد • طوال الحفلة كنت أحرص على أن لا أزيد من الشراب ولكني كنت مضطرا الى مجاراة الحضور واحتساء القليل ، ومع ذلك ، فان الشراب والضجة والصخب والموسيقى المجنونة والرقص المثير الذي كانت تؤديه (سهير زكي) كل ذلك تسبب لي بنوع من الغيبوبة اللذيذة ، وفقدان الحواس • فاعتذرت من صدقي محمود وخرجت الى غرفةالحمام ووضعت رأسي تحت حنفية الماء البارد حتى صحوت قليلاوبدأت أفكر بما جرى •

هل صحيح أن الحفلة حقيقية ، والكل سكارى فعلا أم أنني مخدوع بما أرى ؟ هل صحيح أنني استطعت أن أخدع الجميع أم أنني أنا الذي خدعت من زكريا محيي الدين الذي كان يحذرني منه أستاذي فيشل ؟ هل يعلمون بحقيقة أمري ، فما أشعر الا والباب ينفتح لتدخل الشرطة السرية وتلقي القبض علي وبذلك تفشل الخطة ويستعد الطيارون المصريون لمواجهة هجوم اسرائيلي فيدمروا طائراتهم ويقضوا عليها قضاء مبرما ؟ وعدت أقلب الأمور من جديد ، الاجازات التي أعطيت صباح اليوم الى مئة طيار • التعليمات التي أصدرها صدقي محمود بالغاء حالة الطوارىء منذ صباح يوم السبت ، وتعليماته بشأن استراحة الطائرات في قواعدها ابتداء من فجر يوم الاثنين . أنا أنا الذي ضغطت على صدقي محمود وأقنعته باصدار تلك التعليمات ليتاح للطيارين الاشتراك بالحفلة •

فهل كل ما تقدم حقيقة أم أنه عملية خداع طويلةلاكتشاف أمري ؟

وصحوت تماما وعرفت أن الحفلة ، حفلة حقيقية ، وأن الطيارين وقادتهم هم سكارى الآن ، سكارى حقيقيين هم

ورفيقاتهم الجالسات في أحضانهم ، وخرجت من غرفة الحمام الى الصالة ، ثم توجهت الى المكتب الواقع في خلف الصالة وبه ضابط مصري برتبة ملازم ثان ، وكان هذا يستمع الى الحفلة دون أن يراها ولا يستطيع أن يشترك بها ، وما أن رآني أدخل عليه حتى قام وأدى لي تحية عسكرية وقال :

نعم يا أنوير بك ، أية خدمة تريد ؟

فقلت أريد أن أتصل فورا بقاعدة بير كفكفا ؟

وأدار قرص التلفون ، وتحدث مع آخر ، ثم سلمني السماعة :

قلت : من يتكلم ؟ قال ـ القاعدة الجوية ٢٢٩

قلت : أريد أن أتحدث مع (الست غادة فخري) فهي ترقص عندكم الليلة ٠

قال : لا أستطيع أن أناديها ، فهي تؤدي وصلتها حاليا ٠

قلت : أريدها لأمر مستعجل ٠

قال : ولكنها ترقص الآن ، هل أستطيع أن أبلغها ما تريد ٠

قلت : لا ، شكرا ، ولكن متى ستنتهي من وصلتها ؟

قال : لا أعرف ، ولكن الحفلة ستستمر الى وقت متأخر من الليل ٠

لم أكن في الواقع أريد أكثر من ذلك ٠ وضعت السماعة وشكرت الضابط وسألته :

متى تنتهي نوبتك ؟

قال : والاستياء واضح في صوته (بعد ساعتين) ٠

قلت : أرجو أن تستمر الحفلة الى أن تنتهي نوبتك لتنضم اليها ٠

قال : شكرا جزيلا يا أنوير بك ٠

سعيدة يا أنوير ، قال لي صوت أعرفه ٠

قلت : سعيدة يا صالح ، كيف حالك ، هاها أرى أنك ترفعت الى رتبة مقدم . وأين أنت اليوم ، هل لا تزال في قاعدة الأقصر ؟

قال مفاخرا : وهو يشير بيده الى نفسه :

آرام ، أمامك يقف قائد مطار الغردقة ، وتظاهرت بأني أؤدي له التحية العسكرية ، ثم استطرد وقال :

قام ابو العز بتحويل جميع الطائرات الحديثة سوخوي ٧ الى قاعدتي ، وقد وصلت الى القاعدة أمس من فايد ، ونخشى الآن وقوع هجوم جوي اسرائيلي من جنوب سيناء وعند ذلك سنلتف عليهم من المؤخرة بطائرات سوخوي ٧ وميج ٢١ ٠ هل سمعت بالطائرات الجديدة سوخوي ٧ ؟

قلت : نعم ، ويقول صدقي محمود بأنها تتفوق على أية طائرة لدى العدو ٠

قبل خمسة أيام حينما كنت في تل أبيب قلت لقائد سلاح الجو الاسرائيلي ويومها قفز غاضبا من مكانه ٠ واستطرد صالح يقول : لقد قام الفريق مصطفى الحناوي بموافقة رئيس هيئة الأركان محمود فوزي بنقل سرب من طائرات اليوشن ٢٨ من قاعدة أبو صوير الى قاعدة الأقصر ٠ وبذلك أصبحت هناك غالبية الطائرات القاذفة ـ ٢٠ ـ طائرة اليوشن ٢٨ و ـ١٦ـ طوبوليف وجميعها خارج مدى طائرات العدو ٠ ولهذا نقل ابو العز طائرات سوخوي من الأقصر الى قاعدتي في الغردقة ٠

كنت أبدو كالمستمع الأديب لما يقوله صالح ، وفي الوقت نفسه كان فكري مشغول بقضيتين اخريين ، قسم من فكري

كان يصور الحقائق ، والقسم الآخر توصل الى نتيجة حاسمة حول وجود خلافات كبيرة في قيادة سلاح الجو المصري ، وبالتالي فان ايام صدقي محمود كقائد لسلاح الجو أصبحت قريبة من نهايتها . وهنا سمعت ضجة كبيرة تدوي في الصالة ورأيت الناس يتجمهرون في مكان معين ثم يرتدون الى الخلف ، وسكت صالح ونظر الى مكان الضجة وكذلك فعلت أنا ، وأحسست بأن الشرطة السرية دخلت لتلقي القبض علي ، فرحت أتلمس السن المستعار في فمي لأستخرج منه حبة السم وأبتلعها ، ولكني عدلت عن ذلك في آخر لحظة حينما رأيت الناس يتراجعون ومن بينهم رأيت مجموعة من أفراد الشرطة العسكرية التابعة لسلاح الجو المصري

وتقدم مني قائد المجموعة وطلب مني بلطف أن أرافقه .

القسم السابع والأربعون

كيف استنفرت جميع طائرات الميراج

(الصباح الباكر) ٥ يونيو ١٩٦٧ الساعة ٠١ر٠٠
حتى الساعة ٠٥ر٥٠ (بتوقيت القاهرة)

كان قائد مجموعة أفراد الشرطة العسكرية التابعة لسلاح الجو المصري برتبة رئيس ، قصير القامة ، ذو وجه ممتلىء وجدّي ونظر الي والى صالح ثم أدى التحية العسكرية بدقة وقال :

أرجو المعذرة أيها السيد ، ان لدي أمرا باحضارك .

الدم في وجهي تجمد تماما . أحد الدروس التي تعلمتها من فيشدل يقول اذا لم يكن لديك شيئا مفيدا تقوله ، فلا تقل شيئا ، ولا تخف فان سبل النجاة كثيرة .

ورأيت المقدم صالح عبد النبي قائد قاعدة الغردقة يتقدم خطوة الى الأمام واقترب مني وقال .. آسف جدا ، رافقتك السلامة يا أنوير بك ..

لم أرد عليه ، أكثر من عشر سنوات أمضيتها في هذا البلد ، بدون ان يكتشفوا أمري ، وفجأة ، حينما حانت الساعة الوحيدة التي احتاجتني بلادي فيها ، يصيبني الفشل ؟ ولم أحاول أن أعرف الخطأ الذي وقعت فيه وأدّى الى فشلي .

وتركز فكري كله في نقطة واحدة ، هل أبتلع الآن حبة السم الموجودة في داخل السن المستعار بفمي أم أنتظر حتى نغادر الصالة الى الخارج ؟

انقسم أفراد الشرطة العسكرية الى قسمين ، وبدأت أسير بينهم ، ولكن صالح عبد النبي تقدمني ، وقف بينهم منتصبا ثائرا ومعتزا في وقت واحد ورأيت قائد السلاح يشق طريقه بين الجماهير المتراصة داخل الصالة . نظرت اليه وأنا خائف ، كان يبدو عليه أنه يكاد يختنق من الغضب · كانت شفتيه تتمتمان بدون أن يستطيع أن ينطق شيئا · وأخيرا سيطر على نفسه وصاح في ضابط الشرطة العسكرية قائلا :

تهيأ يا رئيس حينما يقف أمامك قائدك الأعلى ·

ودقّ الضابط الأرض بقدميه ثم أدى التحية العسكرية ، فرد عليها صدقي محمود بدون اهتمام ، ثم قال للضابط : ماذا حدث ، ماذا في الأمر يا رئيس ؟ وتطوع صالح عبد النبي ليرد فقال : لا بد أنهم مرسلونمن قبل العقيد مدكور أبو العز ، وأشار ضابط الشرطة العسكرية برأسه علامة الايجاب ، وواصل صالح عبد النبي قائلا :

لقد منعنا العقيد ابو العز من الاشتراك في الحفلة ،ولكننا نفذنا أوامرك وحضرنا الى الحفلة ، ولكن ابو العز أرسل الآن الشرطة العسكرية لتخرجني من الحفلة ·

فقال صدقي محمود لضابط الشرطة العسكرية :

أنصرف من هنا يا رئيس مع رجالك ، أخرج حالا قبل أن أطلب محاكمتك عسكريا · وأدى الضابط التحية وجمع رجاله وتوجه الى الباب ·

لم أكن أرغب في أن تنتهي الحفلة ، فكل دقيقة تستمر فيها لها قيمة كبرى بالنسبة لمخططي ولذلك لوحت بيدي الى

الخدم وأمرتهم بتقديم الشمبانيا للجميع ·

وأسرع الخدم الى الثلاجة الكبيرة حيث زجاجات الشراب التي كنت قد أعددتها أنا على حسابي الخاص بعد أن تنتهي الزجاجات التي قدمتها للحفلة قيادة سلاح الجو ·

أدى صالح عبد النبي التحية لصدقي محمود وشكره على موقفه ثم انصرف الى منتصف الصالة ، وتقدم مني صدقي محمود مسرورا بالشمبانيا التي قدمتها للحفلة على حسابي ثم قال :

« بعد انتهاء الحفلة سنتوجه الى منزلك يا أرام · أنا وأنت ومعنا (سهير زكي) وسميرة لنمضي بقية الليل معهما ونفرح قلبيهما » · قلت : نفرح قلبيهما فقط ؟

ولكنني بيني وبين نفسي كنت عازما على أن تستمر الحفلة حتى الفجر وسأفعل كل شيء من أجل استمرار الحفلة حتى الصباح · ان في الصالة الآن ـ ٤٠٠ ـ طيار مصري وهم الغالبية العظمى من طياري بلاد النيل · وهم الآن بدون وعي تقريبا ، وحينما يغادرون هذا النادي مع الفجر لن يستطيعوا أن يميزوا بين ساعة اليد وبين ساعة قياس الارتفاع في طائرات الميج ٢١ ·

تقدمت نحو المنصة المرتفعة الواقعة في منتصف الصالة وقلت موجها كلامي للراقصة سهير ·· فرجينا على بعض مفاتنك ، ان الجو كئيب حينما لا ترقصين ·· وقفزت الراقصة الى المنصة تؤدي رقصاتها بمنتهى الاثارة ، وشعرت أن أفكاري قد هدأت تماما وصحوت من تأثير الشراب · واستمر الرقص في الصالة حتى حوالي الساعة الثالثة صباحا حيث انسلت الراقصة الى غرفة الملابس وهي متعبة للغاية · وتحركت الفرقة الموسيقية في اثرها للانصراف ولكنني أوقفتها قائلا :

(أبقوا في أماكنكم من فضلكم ، فلا زلنا بحاجة لكم) ٠

ونظر الي أفراد الفرقة الموسيقية باستغراب ثم جلسوا على مقاعدهم وأمرت الخدم بأن يقدموا لهم الطعام والشراب وصعدت الى المنصة وقلت عبر مكبر الصوت ، والآن سنلعب اللعبة التي لم تتح لنا فرصة تحقيقها في عالم الواقع ، وتطلعت جميع الأنظار الي بينما واصلت أقول : سنقوم الآن برئاسة قائد سلاح الجو بمناورة شاملة لأبادة سلاح الجو الاسرائيلي ٠

وصفق البعض ٠٠ ولكن الأكثرية ظلت تنظر الي ، فقد استطعت أن أثير فضولهم وقلت : يجب على واحد منكم أن يتقدم الى مفتاح النور الكهربائي الرئيسي في الصالة لاطفائه علامة على بدء الهجوم الشامل ٠ وخلال ذلك رأيت صالح عبد النبي يقف عند الباب يودع بعضا من رفاقه لينصرف الى قاعدته، ترى هل سيجبره مدكور أبو العـز على أن يكون جاهزا في حالة استعداد للطوارىء ؟ وكنت أتمنى ذلك لأنني كنت أعرف أنه سينام هو ورفاقه داخل الطـائرات ورأيت أن واحدا من الحضور قد عثر على المفتاح الرئيسي للنور فقلت : والآن نبدأ بالمناورة ، على جميع النساء أن يتجمعن في الزاويـة اليمنى ، والطيارين في الزاوية اليسرى ٠ انقسم الحضور الى مجموعتين ، كل مجموعة وقفت في زاويتها والجميع ينظرون الي فقلت : ان الرمز السري لهذه المناورة الكبرى هو (دمروا ميراج) وأشرت الى مجموعة النساء قائلا : انتن الميراج والطيارون هم الميج ٠ وحينما أرفع يدي تنطفىء الأنوار في الصالة ويبدأ الهجوم ، والفرقة الموسيقية تبدأ العزف ، وعلى قسم الميج أن يبحث في الظلام عن قسم الميراج ويتحكم به جيدا ، عند ذلك يكون انتصار الميج على الميراج ٠

وأصدرت الأمر باطفاء النور ، وصدحت الموسيقى صاخبة،

وتخيلت في ذهني أن كل طيار الآن قد وجد ضالته وما يشتهيه ، فقد بدأ الطيارون يبحثون عن الفتيات في الظلام فيصطدمون ببعضهم البعض ويواصلون البحث ٠ وكانت الصرخات الشهوانية تصدر عن الفتيات ، ولكنهن توقفن عن الصراخ بعد أن أدركن أن الصراخ سيدل الطيارين عليهن ٠ ومع ذلك فقد عثر الطيارون على الفتيات ، ولكن أحدا لم يكن يعرف من هي حصته في الظلام ، وفهمت من الأصوات المنتشرة في الصالة أن قسم الميج استطاع أن يتحكم بقسم الميراج لأن قسم الميراج نفسه كان يريد أن يتحكم قسم الميج به ٠

وبعد فترة من الوقت ، قلت عبر مكبر الصوت : بقيت دقيقتان للمناورة ٠ وفجأة تقدم مني واحد يقول : يجب أن تنتهي يا أنوير بك ، فقد وصل مبعوث الجنرال هلال ، وقال ان رئيس هيئة الأركان محمود فوزي سيرسل مجموعة من الشرطـة العسكرية لتفريق الحفلة ٠

***

كانت الساعة الخامسة صباحا ، وكنت أنا الآخر في غاية التعب وصدقي محمود مستلقي على أريـكة كبيرة في منزلي يحتضن بين ذراعيه سميرة ٠ وصعدت أنا والراقصة (سهير زكي) الى الطابق الثاني في المنزل لنقضي شؤوننا ٠

وسألتني سهير ، وهي ترقد بجانبي : هل تنتظر شيئا ؟ قلت : كلا ٠٠ ولكنني متعب جدا ولا أستطيع أن أنام ٠ والواقع أنني لم أحاول أن أنام ، بل انني كنت أحارب النعـاس الذي يداهمني من حين لآخر ٠ كنت اتساءل متى سيقوم سلاح الجو الاسرائيلي بهجومه على القواعد الجوية المصرية ؟ ورأيت نور الصباح يغمر النافذة ٠ وكانت الساعة الخامسة وخمسين دقيقة، وبعد ساعة وربع يجب على صدقي محمود أن ينهض ويذهب الى عمله ٠

القسم الثامن والأربعون

المخابرة اللاسلكية الأخيرة

٥ حزيران ١٩٦٧ – من الساعة ٥٠ر٦ حتى الساعة ٥٠ر٧
(بتوقيت القاهرة)

كنت أشك دائما بأنك جاسوس اسرائيلي ، قال لي محيي الدين في حلمي وأضاف ، لقد خدعتنا وضللتنا طيلة احدى عشرة سنة ، ولكن الآن حانت النهاية – أنظر – .

وأشار لي بيده الطويلة الى السماء في الصباح والضباب الخفيف لا زال يحجبها ، كما هو الحال في كل صباح فوق النيل الذي بدأ فيه الفيضان منذ وقت قريب . ورفعت عيني الى السماء ، وفهمت ما هو مصدر الضجة الكبرى التي تملأ أذني . رأيت (وكل هذا في حلمي طبعا) أن تشكيلات كبيرة تحلق في السماء انها (طائرات سوخوي) العظيمة ، ذات الشكل المستطيل والأجنحة التي تشبه الدلتا وذنب كذلك ، وهي تستطيع أن تطير بسرعة لا تقدر الوصول اليها أية طائرة اسرائيلية ،وحينما رأيت هذه الطائرات تقوم في الجو بمناورات هجومية ، وتهرب، أدركت أن هناك حدودا لميزاتها الفنية ، ومن بعد تلك الحدود لا قيمة لميزات الانسان .

تقلبت بعصبية في فراشي . ووقعت يدي على جسم غريب .

فرفعت رأسي مذهولا فوجدت الى جانبي في الفراش عارية ،حتى بدون المثلث الصغير الذي يستر ما بين فخذيها ، راقصة بلاد الفراعنة من الدرجة الأولى . وعندها فهمت لماذا قال فرعون لأخيه بعد أن شك بأنه جاسوس ، لقد جئتم الى هنا لتشاهدوا العورات واليوم أتذكر أن نائب الرئيس زكريا محي الدين قال لي ذات مرة قبل سنوات : ان اليهود يمتازون منذ (رحاب) حتى اليوم بأنهم جواسيس . وسيفهم محيي الدين أقول بقلبي – بعد بضع ساعات مدى تفوق ومهارة اليهود بالتجسس وعندها سيرسل من يقتادني مقيدا . ولكني لن أكون موجودا ، ففي اللحظة التي تبدأ فيها القنابل الاسرائيلية تتساقط علىمطارات القاهرة وألماظة ، سأقوم بتدمير كل ما يمكن أن يلقي ضوءا على حقيقتي ، وسأبتلع في أعقاب ذلك حبة السم التي أخفيها داخل السن المستعار في فمي وأبتسم الأبتسامة الأخيرة . ولن يجدوا هنا في هذه الغرفة سوى جثة (آرام أنوير) التي ماتت للمرة الثانية .

وأنا أكون قد أكملت واجبي تجاه بلادي (اسرائيل) ، وقطعت يد الجلاد مثلما أردت ، ومثلما أراد فيشل بل وأكثر . نعم لقد كشفت عورة مصر ، ومصر الآن تماما مثل الراقصة سهير زكي تستلقي عارية ، وبعد قليل سينزل بها الدمار . وطائرات صدقي محمود أشبه ما تكون الآن بسهير زكي المستلقية بجانبي هنا . انني لم أكره هذه البلاد ولا حكامها .

فتحت سهير زكي عينيها فجأة ، ونظرت الي ، ورفعت جسمها قليلا ، وجذبت الغطاء عليها لتغطي عريها . انها الآن في غاية الاعياء من مجهود ليلة أمس ، كما أنها مستاءة لأنها فشلت في عملها في فراشي .. ولكنها لا تزال الراقصة الأولى في مصر وكل رجل هناك يراها في خياله .

التفتّ بالغطاء ونظرت اليّ غير واثقة ..

انني أخاف منك يا أنوير بك ، فلماذا تنظر الي بهـذا الشكل ؟

هززت رأسي ، صحيح ، فأنا منذ دقائق وأنا أسلط عليها نظرة ثاقبة ذات معنى ، وقالت لي : أرجو أن تطلب لي سيارة أجرة من فضلك أريد أن أنصرف من هنا ، وحركت رأسي موافقا وجذبت التلفون الي ، وطلبت سيارة أجرة الى المنزل ، ثم تطلعت نحو سهير زكي • ورأيتها تترك الغطاء ينحسر عن جسدها ، ومظهرها يدل على أنها تتوقع مني أن أصفعها على وجهها • ولكني قلت لها : ارتدي ثيابك ثم خرجت الى غرفة الحمام • فاستحممت ، وحلقت ذقني وشاربي ، وأنتقيت أفخر بدلة في ملابسي مع قميص حريري • وقلت في نفسي ، حينما يهرعون الى منزلي سيجدونني بهذا اللباس • ثم رافقت سهير الى الباب الخارجي • وبعد أن تركتها عدت الى غرفة الضيوف حيث يرقد صدقي محمود منذ أن عاد من الحفلة الليلة ومعه سميرة •وأزحت ستائر النوافذ فتسلل ضوء الصباح الى الداخل وغمر وجهيهما وراحت سميرة احدى فتيات منشية البكري تفتح عينيها ثم غطت نفسها في السرير حتى ذقنها ، وفجأة سمعتها تصرخ بصوت عال، ورأيت أن صدقي محمود قد جذب عنها الغطاء بقوة وقال :

(ماذا بقي لك لتخفيه عنا ؟)

ولكن سميرة تقلصت على نفسها ، فقلت :

انها صادقة ، فلديها ، من فضل الله ، ما تخفيه عنا ، وأردفت : سأحضر القهوة يا سيدتي وسيدي وستكون المائدة جاهزة بعد خمس دقائق •

أنهى صدقي محمود تناول القهوة ، وقام وأكمل ارتداء لباسه العسكري ثم سوى من ربطة عنقه ، وعاد مرة أخرى مارشال الجو في مصر • وقال بسرعة : يجب أن أسرع فالطائرة

ستغادر في الساعة الثامنة والربع مطار القاهرة غرب ونظر الى ساعته ، ساعة الطيار السوداء الكبيرة الحجم • كذلك فعلت أنا، وكانت الساعة حوالي السابعة والنصف • وتذكرت أن تل أبيب ستكون تنتظر مخابرة لاسلكية مني صباح اليوم حتى الساعة السابعة صباحا بتوقيتها المحلي أي الثامنة بتوقيت القاهرة • فاذا كانت اسرائيل تعتزم الهجوم اليوم فان طائراتها لا بد وأن تتحرك الآن •

جلس صدقي محمود أمام مقود سيارته الفارهة ، وعلى وجهه امتعاض زاد في تجاعيده وقال لي :

هل تحب أن تأتي معنا ، للقيام بجولة في سيناء اليوم ؟ ولكنني حركت رأسي نفيا وقلت : كلا ، ولكن أبلغني حينما تعود في المساء لأعد لك مفاجأة تعجبك ، ورد علي باسما ولكنني رأيت أن ابتسامته مفتعلة • فقد كان عصبيا هذا الصباح •

كذلك غادرت سميرة المنزل ورافقتها حتى الباب الخارجي ويدي على كتفها وقلت لها : خذي حماما ساخنا ، ثم نامي ، وفي المساء سيعود اليك نشاطك •

وعدت الى داخل المنزل وأغلقت الباب ثم أعددت رموز المخابرات اللاسلكية وكانت متضمنة لكل ما يلزم ، حتى أدخلت فيها علامات الوقوف والاستفهام والأشارة التي كنت في المدة الأخيرة لا أعتمدها في مخابراتي اللاسلكية لئلا يطول وقتها • ولكن اليوم يجب أن لا يكون هناك أي احتمال في أن يخطئوا أو يستعصي عليهم جزءا منها ، فهذا هو يومي الأخير ، ومخابرتي اللاسلكية الأخيرة •

بعد ساعتين من نزول الضربة الجوية على مصر سيفهم (السفاح) زكريا محيي الدين من هو الخائن الموجود في قيادة سلاح الجو المصري • الخائن ليس هو صدقي محمود ، الذي

سيكون عند نزول الضربة داخل طائرة نقل متوجها الى قيـــادة مرتجى • نعم ليس الخائن هو صدقي محمود الذي سيكون ملقى بعد الضربة الجوية بين حطام طائرته في رمال سيناء •

الخائن الموجود في قيادة سلاح الجو المصري هـــو (آرام أنوير) الذي ظل في وقت الضربة جالسا على شرفة منزله وينظر الى الطائرات المصرية وهي تتحطم على أرض المطارات • فتحت جهاز اللاسلكي وناديت :

من روما

الى المسؤول

وجاءني الجواب ــ من المسؤول الى روما ، أسمعك •

وبدأت بارسال المخابرات التالية :

نجحت الحفلة نجاحا كاملا (•) يتوجه عامـر وصدقـي محمود بالطائرة الى بير ثمادة في الساعة ١٥ر٠٨ من مطـــار القاهرة غرب (•) يقابلا هنا جميـــع قيادة سيناء (•) الأثنان فقط مخولان باستخدام صواريخ من الأرض الى الجو (•) نقلت الى مطار الأقصر ثماني طائرات طوبوليف وعشر طائرات اليوشن وأصبح في الأقصر الآن ١٦ طائرة طوبوليف وعشرين طائـــرة اليوشن (•) نقلت طائرات سوخوي من الأقصر الى الغردقة ، ونقلت طائرات ميج ٢١ من الأقصر الى أسوان (•) ألغيت حالة الطوارىء والاستعداد في سلاح الجو المصري وحالفكم النجاح (•) انتهى •

وانتظرت قليلا لأتلقى اشارة الانتهاء ، ترى ماذا يقـول فيشل على نص هذه المخابرات الأخيرة لو كان موجودا ؟ لا شك أنه كان سينحني الى الأمام قليلا ، ويلقي على المخابرة نظـــرة خاطفة ويشير باصبعه الى كلمة (وحالفكم النجاح) ويقـــول : احذف هذه الكلمة فلا حاجة لها •

تبدو القاهرة الآن خالية ، فجميع ضباط القيادة يودعون المشير وصدقي محمود في المطار • وفي سيناء ، في قاعدة بير ثمادة في المطار المجاور للقيادة الرئيسية يقف الآن مرتجى وجميع قادة الفرق العسكرية ينتظرون قدوم قائدهم الأعلى • ولا شك أن اللواء الشاذلي يقف هو الآخر هناك بجـانب صديقـه بطل اليمن كامل مرتجى ، بينما قواته الخاصة موزعة في جميع منطقة سيناء • كذلك فلا بد وأن يكون (صدقي عواد علي) الملقـب ــ الغول ــ قد ترك فرقته المصفحة الرابعة ، أفضل وحدة مقاتلة في الجمهورية العربية المتحدة ، ويقف الآن منتظرا في المطـار لاستقبال (عبده) • كذلك لا بد وأن يكون قد جاء عبد القـادر الذي اشتهر في اليمن من قيادته في النخل وجميعهم يقفون عند المدرجات الطويلة ينتظرون القادمين الكبيرين •

وهنا سمعت من جهاز اللاسلكي صوتا يقول ــ أنتظـر ــ ونظرت الى ساعتي ، كان الوقت السابعة و ٥٠ دقيقة صباحا • قلت الهجوم الآن والا فلا • وفجأة داهمني شعور بالخطر •فقمت وانحنيت على شباك الغرفة الذي تغطيه ستارة ورأيت بقرب من باب المنزل ، تتحرك ككلب الصيد يقتفي أثر صيده ، كانـت السيارة الروسية السوداء التي تحتوي على أجهزة الرصـد اللاسلكية التي تحدد أماكن وجود أجهزة الارسال السرية •

القسم التاسع والأربعون

الفرصة الثمينة لأنور

٥ حزيران ١٩٦٧ ــ الساعة السادسة صباحا حتى السابعة صباحا بتوقيت تل أبيب والساعة ٥٢ر٧ حتى ٣٥ر٨ (بتوقيت القاهرة)

كانت الغرفة الواقعة تحت سطح الأرض تبدو صغيرة بالرغم من سعة حجمها ٠ فان شبكة الرادار المضيئة استلفتت انتباه الجميع ٠ ان شبكة الرادار ، وأجهزة اللاسلكي والتلفون والطاولات ، والخرائط الكبيرة ، كل هذه بدت وكأنها تملأ الغرفة ٠ والساعة الكهربائية المعلقة على الحائط كانت عقاربها تشير الى الساعة ٠٠ر٦ والجميع ينظرون الى العقارب الكبيرة بينما على شاشة الرادار لم يظهر أي شيء ٠

المجندة الاسرائيلية (النائبة) التي تسلمت في هذه اللحظة بطاقة من الضابط خرجت مسرعة من الغرفة ، وكادت تصطدم بالباب وبرجل قادم من الخارج ٠ ولكن الرجل تراجع الى الخلف قليلا ، وأشار للنائبة بيده أن تمر قبله وقال : ليدس فيرست ٠٠ أي السيدات أولا ٠٠ ثم أردف صباح الخير يا راحيلي (أسم الدلع لراحيل) وردت النائبة بارتباك صباح الخير أيها القائد ، وأسرعت خارجة ، ودخل القائد الكبير محركا يده بسرعة ، مشيرا الى الحضور بأنه ليس من الضروري أن يؤدوا له التحية

العسكرية وقال : صباح الخير يا رجال : وما هي أخباركم ؟ ورد عليه الزعيم قائلا : كل شيء على ما يرام ، وكان هذا الزعيم قائد سلاح الجو الاسرائيلي ٠

ونظر القائد الكبير الى شاشة الرادار ، ومرت الابرة فوق الشبكة المقعرة محدثة بعض الصوت ٠ ولكن شيئا لم يظهر داخل الدائرة البيضاء المستديرة ٠

(هل الرجال جاهزون ــ قال القائد الكبير لقائد سلاح الجو) ٠

قال ٠٠ نعم ، ونستطيع أن نتوجه اليهم ، وسحب حقيبة من فوق الطاولة وقال لسكرتيرته :

(نحن موجودون بعد قليل في غرفة الطوارىء)

وخرج الاثنان ، القائد الكبير وقائد سلاح الجو ، وفي أعقابهما خلت الغرفة ٠

في ساعة اليد الكبيرة ، كان العقرب الكبير يقترب من العقرب الصغير يشيران الى أل ــ ٠٤ر٠٦ ــ ووقف قائد سلاح الجو أمام رجاله بقامته القصيرة وبشاشته المعهودة وقال بينما ابتسم له طياروه محاولين بذلك تخفيف أعباء التوتر الذي كان يرزح عليهم كعبء ثقيل ، ومن وراء قائدهم ، فوق رأس القائد الكبير ، أن يبدو أمامهم رقم مكتوب بالطباشير على لوح أسود هو ــ ٤٥ر٠٧ ــ وأنهى قائدهم شرح الخطة بايجاز ثم عاد مرة أخرى الى أهم النقاط : ساعة الانطلاق من هنا الى جميع الأهداف في مصر هي الساعة ١٥ر٠٧ أما الانطلاق لجميع الأهداف الموجودة في سيناء ففي الساعة ٢٠ر٠٧ ، يستمر الصمت اللاسلكي حتى الساعة ٣٠ر٠٧ تماما ، أفتحوا الأجهزة وانتظروا وبعد خمس دقائق تستطيعون أن تبدأوا بالتحدث بينكم داخل

التشكيلات الجوية ٠

قصف المطارات الموجودة في سيناء يبدأ في الساعة ٤٠ر٧ ٠ في وقت واحد لجميع المطارات ٠ أما قصف المطارات الموجودة في مصر فيبدأ في الساعة ٤٥ر٧ بينما يقصف مطاري الغردقة والأقصر فيما بعد بواسطة التشكيلات الجوية التي تنطلق من الجنوب ٠

أعيد ٠٠ يسمح لكم بالبقاء فوق الأهداف سبع دقائق ٠ وأقصى حد هو ثماني دقائق ٠ واذا فاتكم شيء خلال هذه المدة فاتركوه لزملائكم ٠ فمن حقهم أيضا أن يفعلوا شيئا ، والآن صححوا المعلومات التي صدرت اليكم ٠

لا تطيروا على ارتفاع ٩٠ قدم وانما على ارتفاع ٣٠ قدم ٠ وأنا أعرف أن ذلك ليس سهلا ، ولكن أعرف أيضا بأنكم تستطيعون أن تفعلوا ذلك ٠

كان الطيارون جميعهم يعرفون أنهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك ، واذا لم يكن من أجلهم هم فمن أجله هو ٠

وقال قائد سلاح الجو ٠٠ ان العدو جاهز بلا شك ، ونريد أن نضمن عدم استطاعته اكتشافكم قبل اللزوم ٠ البحر الآن هادىء جدا ، وتستطيعون السير فوقه ولكن احذروا من الاقتراب كثيرا الى سطح الماء ٠ هل من أسئلة ؟

ورفع أحدهم يده ، فقال له القائد :

نعم يا شلومو ، ماذا تريد أن تسأل ؟

قال شلومو بجدية : اذا كان من الضروري أن نطير على ارتفاع قليل جدا من سطح الماء ، الا ترى أنه من الواجب أن نأخذ معنا المناشف ؟

وانفجر الطيارون بالضحك ومعهم قائدهم ٠ ولكن الجندي الأول (قائد الجيش) سلط نظرة ثاقبة الى الطيارين ، ثم هدأت تعابير وجهه ، ولكنه واصل النظر اليهم ، الى هؤلاء الشباب الذين لم يكونوا قد ولدوا حينما كان هو جندي يتدرب في الحرب ٠ اليوم هؤلاء سيكونوا هم الذراع الطويلة النشيطة ، وهو يجلس ينتظر عودتهم ٠

قبل حوالي ـ ٢٠٠ ـ سنة قال رجل أصيل من فيرجينيا اسمه جورج واشنطن لقائد صيادي الأسماك في ماريل هيد : لم أصدق مطلقا ، بأن مصير بلادي ومصير العمل الذي أتزعمه سيكون مرتبطا الى هذا الحد بعدد من صيادي الأسماك ، فقد قام أولئك الصيادون بنقل جيشه ، جيش ـ جورج واشنطن ـ في ليلة شتاء عاصفة بعيد الميلاد سنة ١٧٧٦ الى ما وراء نهر دلغار حيث هجم الجيش على المعسكر البريطاني الذي كان يبيت ليلة سكرى ثقيلة بعد حفلة المجون والخلاعة ٠فهل يتكرر ذلك الحدث الذي وقع قبل حوالي ـ ٢٠٠ ـ سنة ، في مصر اليوم ؟ هل تنجح الخطة المضللة التي وضعها رجل مجهول ولكنه لم يخطىء حتى الآن ؟

وعاد القائد الكبير ينظر الى الطيارين ثم قال بصوت هادىء :

لقد حفرت حول هذه المدينة في الأسابيع الأخيرة مقابر كبيرة ٠٠ وانحنى الجندي الأول الى الأمام قليلا نحو الطيارين حتى تخيل كل واحد منهم أنه يريد منه شيئا معينا ، وبنفس الوقت فهم كل طيار أنه وزملاؤه يستطيعون أن يفعلوا ما يريده القائد ، وكان كل طيار يعرف أنه سيصل الى الهدف ، دون أن يخطىء ويدمر طائرات العدو في كل مكان ، لأن هذا الرجل الذي يتكلم الآن هو الناطق بلسان آلاف الجنود القابضين على الزناد مقابل الصحراء ، بل كان الناطق بلسان آلاف الأطفال الذين

تعلو البسمة شفاههم الآن في نومهم ، وسينتظرهم هنا حتى يعودوا من المهمة منتصرين • وشعر كل طيار بأنه سيدمر كل طائرة معادية تتحرك ، وأن المدفعية المضادة للطائرات لن تصيب طائرته ، وأن الصواريخ التي تطلق من الأرض الى الجو والتي تبلغ سرعتها ـ ٣ ـ ماك لن تستطيع اللحاق بطائرته ، ويعود كل طيار سالما ليقول لهذا الرجل (لقد نفذت) ، سيعودوا ، وينطلقوا من جديد الى الأهداف مرات ومرات ، وستنبت الريح أجنحة جديدة لطائراتهم التي ستهزأ بالمدافع المضادة ، وستكون اصابة الطائرات للاهداف الأرضية اصابة دقيقة لم يسبق لها مثيل •

لقد أنهى الرجل كلامه ، وانبعث من وجهه نور الصباح المشرق على الصحراء وفي عبنيه بريق النار التي ستلتهم الجيش المصري بأسره ، وهؤلاء الطيارون سيكونون ذراعه الطويلة النشيطة المنتصرة • وارتكز القائد الكبير بيده على الطاولة ، بينما صمت الطيارون ، ولكن شلومو صاحب النكتة ، شلومو قائد طائرة السوبر مستير الذي لا يعرف الراحة مطلقا قام واستدار نحو رفاقه وقال وهو لا يزال يرفع يده في محاولة للفت الأنظار :

بماذا نعد ؟

وقال الطيارون في صوت واحد •• سماء صافية •

وفي ساعة يد القائد الكبير كان العقرب الكبير يهبط نحو العقرب الصغير ، بعد قليل سيكون فوقه وتكون الساعة ٦ر٢٩ ، وفي الجهة اليمنى بالساعة يقف الرقم ـ ٥ ـ وحيدا ـ تاريخ اليوم ـ •

خرج الطيارون واحدا تلو الآخر ، وفي آخرهم بالطبع الطيار شلومو ، الذي تمهل قليلا بجانب القائد الكبير ثم أدى له

التحية العسكرية وقال :

أيها القائد ، ان الحفر التي تحدثت عنها ، يجب اغلاقها حالا • فربما يسقط فيها أحد بالليل دون أن يعلم ، وعاد وألقى التحية العسكرية ، انه جندي مطيع جدي وغمز بعينيه القائدين الكبيرين ، واندفع الى الخارج ليلحق برفاقه •

أشار عقربا الساعة الى ٦ر٥٠ وبدت الغرفة الواقعة تحت سطح الأرض والمخصصة لمجموعة صغيرة تغص بالحضور • كان القائد الكبير يجلس الى الطاولة يحتسي شرابا ساخنا ، ولكن نظره كان في مكان آخر • كان عقرب الثواني يتحرك بسرعة يجمع في جعبته دقيقة واحدة مع كل دورة كاملة • وفجأة دخل الغرفة مسرعا ضابط صغير ، نظر الى الداخل وقدم للقائدالكبير رسالة مغلقة بسرعة • وفتح القائد الرسالة وقرأ محتوياتها التي لم تزد عن مساحة خمسة أسطر ، ثم وقف ونظر الى قائد سلاح الجو وقال مسرعا :

أريد أن أتحدث مع الطيارين الذين سيهاجمون قاعدة بير ثمادة حالا وسريعا • وقال قائد سلاح الجو لمرافقه ، استدع حالا التشكيل الجوي الذي سينطلق الى الهدف رقم ـ ٧ ـ وأضاف عليهم أن يتجمعوا حالا في غرفة العمليات الجوية ، الدفعات الثلاث كلها ، وخرج المرافق وقال القائد الكبير :

هل تستطيع أن تتصل بالطيارين الذين سينطلقون الى مطاري الغردقة والأقصر ؟ واستطرد •• ان عامر وصدقي محمود سيطيران الآن من مطار القاهرة غرب الى قاعدة بير ثمادة • وأريد ضرب تلك القاعدة بدون توقف بحيث لا تستطيع الطائرة المقلة لهما أن تهبط هناك • أما في مطاري الأقصر والغردقة فقد تبدل الوضع ، وقدم القائد الكبير الرسالة الى قائد سلاح الجو فقرأ ما فيها بسرعة وقال : سنضطر الى زيادة عدد الطائرات ، كان

الضابط الصغير لا يزال يقف الى جانب القائد ينتظر التعليمات٠ وقال القائد الكبير : أبلغه بأن يتلف المخابرة اللاسلكية فورا ، وأن ينصرف في الحال ٠ وخرج الضابط الصغير مسرعا ، بينما خرج القائد الكبير للتحدث مع الطيارين المختصين بقصف بير ثمادة ، ويعلمهم بأن يسبقوا باقي التشكيلات بثلاث دقائق لضمان قصف القاعدة باستمرار بدون توقف ، والتأكد من أن الطائرة التي ستأتي الى تلك القاعدة من جهة الغرب لم تسقط ٠

وهنا قدمت عاملة المقسم العسكري سماعة التلفون الى قائد سلاح الجو قائلة : القاعدة ١٢٨ على الخط ٠٠ ورفع القائد سماعة التلفون ، ولكن في هذه الأثناء وقع نظره على ساعة يده وكانت تشير الى ٠٠ر٠٧ وفي هذا الوقت بالضبط تنطلق الطائرات من الأرض نحو قاعدتي الأقصر والغردقة ، وتطير بصمت لاسلكي تام ٠

الساعة ٥٢ر٠٧ تل أبيب أبلغتني أن أنتظر وأنا لا أزال أنتظر ٠ ولكنني أعرف بأنني لن أجيب على أي سؤال ٠ ذلك لأن سيارة الرصد اللاسلكي تقف على باب منزلي ، وأية حركة مني في جهاز اللاسلكي بمثابة نداء للسيارة للقبض علي ٠ ولكن أهم شيء هو أن أتلف الآن ورقة الرموز اللاسلكية ، فلم أعد بحاجة اليها ٠

بعد ساعة واحدة ستظهر أهمية السنوات التي أمضيتها هنا في مصر ، أو لا تظهر على الاطلاق ، وبعدساعتين أو ثلاث ساعات سيفهم كل من في رأسه عقل ماذا فعلت هنا خلال السنوات الطويلة التي أمضيتها في مصر ٠

وفجأة سمعت صوت الجهاز يرسل مخابرة لي ، فأسرعت لأتلقى ما يلي :

هـ ـ ش ـ م ـ د · هـ ـ ك ـ ل   م ـ ى ـ ى ـ د
و ـ هـ ـ س ـ ك ـ ل ـ ق   هـ ـ ش ـ م ـ د   هـ ـ ك ـ ل
و ـ هـ ـ س ـ ت ـ ل ـ ق · انتهى ·

وكانت بمعنى أتلف كل شيء فورا وانصرف ٠ أتلف كل شيء وانصرف ٠

أطفأت جهاز اللاسلكي ، عدت أنظر عبر الشباك ، ورأيت أن سيارة الرصد اللاسلكي لا تزال تقف عند الباب بفارغ الصبر ٠ ثم أخرجت من داخل القاصة الحديدية بلطة كانت موجودة فيه وحطمت بواسطتها جهاز اللاسلكي وجهاز التصوير الصغير ، وجمعت الحطام في وعاء ألقيت به في المرحاض ليختفي مع تيار الماء ٠ ثم خرجت وأبقيت حنفية الماء مفتوحة على أشدها ، وبدأت ألملم بقايا الماضي مثل السلك الهوائي الخاص بجهاز اللاسلكي ، وحطام الزجاجة التي كانت تحتوي على الحبر السري وحبوب السم وأشرطة التصوير الصغيرة ، وألقيت بكل شيء يشير الى الماضي في داخل حفرة المرحاض مع الماء ٠ وهكذا غسلت أفضل سني حياتي حبي وعذابي ، وأصبحت الغرفة الآن خالية تماما من أي شيء يدل على عملي الحقيقي ٠

وفي الساعة الثامنة و ١٢ دقيقة رفعت سماعة التلفون واتصلت بمطار القاهرة الدولي وقلت لعاملة المقسم :

اعطني الخطوط الجوية التركية يا حلوتي ٠٠

وقالت عاملة المقسم ـ صباح الخير يا أنوير بك ، أنا نجاة ، كيف حالك ؟

قلت ـ أشكرك يا عروسة ، اعطيني الخطوط الجوية التركية ٠

وجاءني صوت امرأة يقول :

هنا الخطوط الجوية التركية ، صباح الخير ٠

قلت : يتكلم أنوير ، متى ستطير أول طائرة عندكم ؟

قالت : بدون تردد ، في الساعة الثامنة و ٤٣ دقيقة ، رحلة الى أنقرة رأسا ، هل تريد أن نحجز لك مكانا يا أنوير بك؟

قلت : نعم يا حبيبتي ، احجزي لي مكانا في الطائرةوسأصل في الوقت المناسب ٠ خطر في فكري خاطر أخير ٠٠ ان السفاح (زكريا محيي الدين) لن يأل جهدا في معرفة كل شيء ٠

جمعت بسرعة أوراقي الخاصة التي كنت أرتبها داخل ملفات كبيرة ، وتتضمن الأبحاث التي دامت سنوات عن العناصر السماوية الغريبة وأسرار الفضاء التي لا يعرف أحد عنها أي شيء ٠ وقلت في نفسي ، اذا أنقطع رزقي الحالي فانني سأشتغل كمحاضر عن أسرار الفضاء ٠ وألقيت بجميع الملفات داخل القاصة الحديدية وأغلقتها ووضعت المفتاح في جيبي ٠ واذا أستطاع السفاح أن يفتح القاصة فانه لن يجد بها سوى ملفات مملوءة بالأرقام والحسابات الغريبة ٠ وليس في بلاد النيل كلها سوى رجل واحد يستطيع أن يشرح له بأن هذه الأرقام والحسابات هي نتائج أبحاثنا وقياساتنا وحساباتنا وتقديراتنا الخاصة بالفضاء ٠ وأخرجت من محفظتي رزمة من الأوراق المالية ، ثم نظرت الى الخارج ورأيت أن سيارة الرصد اللاسلكي التي كانت تقف عند باب المنزل قد انصرفت ٠ وفجأة سمعت قرعا على الباب ، وقلت في نفسي ، هل أخرج من الباب الخلفي ؟ ولكن كيف سأصل سيارتي الواقفة عند الباب الرئيسي ؟ وعاد جرس الباب يقرع من جديد وتذكرت أنه لا بد وأن يكون القادم هو (الخادمة) ٠

في مطار القاهرة غرب كان يجلس بسيارته قائد سلاح البحرية المصري الأدميرال سليمان عزت ٠ وكان قد استدعي

خصيصا من اجازته ، وحضر الى المطار لوداع المشير الذي توجه الى سيناء يرافقه قائد سلاح الجو صدقي محمود وكل من قائد قوات الصاعقة جلال هريدي وعدد من كبار ضباط القيادة ٠ كان الوداع حارا ثم توجه كل رجل لسيارته ، وكان من بينهم مصطفى هلال صديق وزير الحربية ، والطيار عفيفي رئيس قسم العمليات الجوية ، والطيار لبيب رئيس قسم الدفاع الجوي ٠ الساعة الآن الثامنة والنصف صباحا ، وتوجه الجميع الى مطعم فندق شبرد لتناول طعام الفطور ، بينما ظل سليمان عزت مستلقيا على كرسي سيارته وابتسامة الرضى على وجهه الممتلىء وعلى بدلته العسكرية البيضاء أربع صفوف من الأوسمة ٠ هل سيحظى بصف جديد من الأوسمة أم أن الحرب ستنتهي هذه المرة بدون طلقة واحدة ؟

حرك يده الى رفاقه وقال للسائق : الى مطعم شبرد ٠

في قاعدة بير ثمادة ، وقفت الى جانب المدرج سرية من جنود سلاح الجو بسلاحها ، تنتظر الطائرة المقرر أن تصل الى القاعدة ٠ وفي ناحية أخرى بالقاعدة يقف الضباط وبمقدمتهم اللواء عبد الحميد عبد السلام دغيري ، قائد القوات الجوية في سيناء ٠ ان الحفلة الراقصة في قاعدتهم استمرت في هذه الليلة حتى ساعة متأخرة ولا بد أنه حينما توجه الى منزله قرب القاعدة قد رافقته، كما هو متفق عليه ، ضيفة الشرف في الحفلة الراقصة غادة فخري ، وعند دخولها الى منزله ابتسمت له وقالت كأنها تفشي سرا :

ان صديقك آرام أنوير طلب الي أن أكون لطيفة معك ٠ وقال لي أيضا بأن رجولتك أقوى من رجولة كامل مرتجى ٠وأحب أن أعرف ذلك وأتأكد بنفسي ، فلربما كذب علي آرام ، كما كذب علي عندما قدمني لكامل مرتجى الذي حينما يخلع لباسه العسكري يصبح فاشلا الى الله ، طوز طوز ٠٠ وقرر دغيري أن

يستجيب للتحدي ونجح به بشرف • ففي الصباح حينما توجه لاستقبال قائد القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، قالت له ذلك غادة ببساطة كعادتها •• والآن يقف الدغيري الى جانب كامل مرتجى ، قصير القامة ولكنه يعلوه برتبة واحدة ، ومع ذلك فهو طوز فاشل الى الله ، حينما يخلع لباسه العسكري ، كما قالت غادة ، وشهادتها صادقة للغاية •

أحس الدغيري بالاعياء في جسمه ، ولكنه في قلبه كان راضيا سعيدا • فقد أثبت لنفسه أن رجولته قوية ، والآن تتمدد غادة بجسدها اللدن في غرفته تنتظر عودته ، وفجأة ابتسم وقال في نفسه :

ترى ، هل ستخبر غادة ، آرام أنوير بأنها هذه المرة لقيت لذتها •

وارتفعت الشمس على وجه الصحراء من وراء تلال الكونتيلا حيث تنتشر وحدات القوة الخاصة التي يقودها اللواء الشاذلي ، وهي الوحدات التي ستدخل اسرائيل فور صدور الأمر • ولكن الآن يقف اللواء الشاذلي هنا بجانب كامل مرتجى يتحدث مع ـ الغول ـ قائد الفرقة المصفحة الرابعة التي ستوجه لاسرائيل الضربة المصفحة القاضية •

جميع قادة الفرق العسكرية يقفون هنا ينتظرون قدوم المشير ، ويبتسم الدغيري من جديد ، فبعد أن يقابل صدقي محمود سيحاول أن يتهرب من الجولة ويعود الى غرفته الباردة الى أحضان غادة الدافئة •• آه ـ يا آرام ما أجملك ، فأنت تعرف دائما ماذا تقدم لأصدقائك ••

سمع صوت محرك ، ووجه الجميع أنظارهم الى الغرب ، ليروا الطائرة التي تقل قائدهم • ومع أن صوت المحرك كان يرتفع الا أن الطائرة لم تظهر • ثم أصبح الصوت أقوى وأشد ، ولكنه جاء هذه المرة من جهة الشرق وحينما تحول الدغيري بنظره

الى الخلف الى مصدر الصوت رأى مع ضوء الشمس أربع طائرات مقاتلة في تشكيل حربي تداهم القاعدة • وأدرك أن هذه الطائرات ليست طائرات ميج مصرية ، فان منقارها الطويل وأجنحة الدلتا ونجمتي داوود التي تشاهد بوضوح تحت الأجنحة تدل على أن هذه الطائرات ما هي الا طائرات ميراج اسرائيلية •

انقضت نصف ساعة ، طائرة المشير عامر تنجح للمرة الثالثة في التهرب من الطائرات المقاتلة الاسرائيلية • ولكنها لا تقدر على الهبوط ، فجميع المطارات تتعرض للهجوم ،ومدرجاتها تصاب بالقنابل وتتعطل • ونصف ساعة أخرى مرت والطائرة لا تزال تحلق في الجو ، حمامة في الجو بدون أن تعثر على مواطىء قدم ، وفي القيادة العسكرية في بير ثمادة تحت الأرض ، يحاول كامل مرتجى وقادة الفرق العسكرية الاتصال بالقوات الموجودة في القاعدة ولكن خطوط التلفون لم تعد صالحة وأجهزة اللاسلكي تذيع باستمرار نداءات الاستغاثة • وأخيرا يستطيع الشاذلي أن يتصل برئيس أركانه ويأمره بالتوجه نحو النقب • ولكن رئيس أركانه يقول بأن الاتصال مقطوع بينه وبين غالبية الوحدات التابعة له • وأصبح مطار بير ثمادة غير صالح الآن وليست في سيناء طائرات صالحة يستطيع القادة الوصول بها الى وحداتهم • ونجح ـ الغول ـ كذلك في الاتصال بقيادته وأمر قواته بالتحرك من أماكنها حتى يصل اليها بعد توقف القصف الجوي •

وفي طريق الاسكندرية كانت تتحرك سيارة كبيرة مسرعة وفي مقدمتها يرتفع علم قائد سلاح البحرية سليمان عزت ،الذي يسرع نحو قيادته البحرية •

ان معظم قادة الفرق المصرية لم يتمكنوا بالمرة من الوصول الى وحداتهم وفي المساء تحركوا برئاسة قائد القوات البرية في سيناء الفريق كامل مرتجى الى القاهرة لتقديم تقارير عن الوضع وطلب نجدات •

القسم الخمسون

بلا دفاع كالنساء العرايا

٥ حزيران ١٩٦٧ ـ الساعة ٤٠ر٧ حتى ٣٢ر٨

أخذ المضيق الرفيع بالتوسع نحو الشمال . كتلة صغيرة من الصخور مرت بجانبهم ترتفع الى الأعلى ، انها تيران . وعلى اليمين شوهدت أراضي شبه جزيرة سيناء ، وديان عميقة بين الجبال ، مناطق خالية ، وقطاعات ضيقة على الشاطىء . وبعد ذلك تصل طيارات الميراج الأربعة الى البحر المكشوف ، وفي جهاز اللاسلكي جاء صوت قائد سلاح الجو ينادي الطيار (يورام) .

هالو ريشه ٨ ، هل تسمعني ؟ أجب .

كان الطيار يورام هو الرقم واحد في القوة الجوية الخاصة بضرب الهدف رقم ـ٨ـ ، وكان يحرص على أن يطير بالارتفاع المطلوب ٣٠ قدم فوق مياه البحر الهادئة وأجاب في جهاز اللاسلكي :

هنا ريشه ٨ ، أسمعك ، أجب .

ثماني طائرات سوخوي قادمة نحوكم ، فهل تستطيع أن تتدبر الأمر ؟

نعم أيها القائد سأتدبر أمرها .

أتمنى لكم النجاح .

وهنا جاء صوت آخر في جهاز اللاسلكي يقول :

الهدف ٣ يغطيه ضباب منخفض .

وتحول يورام الى جهاز اللاسلكي الداخلي في طائرته للأتصال ببقية تشكيلته وقال ، الى اليمين ٢٨ درجة ، واضح ؟ وجاءته أصوات بقية طائرات التشكيل واحدا بعد الآخر :

الرقم ٢ واضح

الرقم ٣ واضح

الرقم ٤ واضح

كانت القوة الجوية التي تحمل رقم ـ ٨ ـ تشير بالاتجاه للجنوب ، جنوب شرقي . ولكنها الآن تحولت الى الاتجاه الجنوبي الشرقي . أمامها بقيت مسافة ٧٠ ميلا . وهي تطير بسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة ، ولذلك ستصل الهدف قبل ثلاث دقائق من ساعة الصفر المحددة . ولا بد أن ترتفع ثم تغير على الهدف قبل الوقت المحدد بدقيقة أو دقيقتين . ويقول قائد القوة يورام في نفسه ، غير مهم ، فالتوقيت على ما يرام . فان طائرات السوخوي التي نقلت الى المطارات التي سنقصفها مناسبة طيبة . وتشبه هذه الطائرات طائرة ميج ١٩ ، الا أن خطوطها أبسط ، كما أن حجمها أكبر من ميج ١٩ أما محركاتها فهي قوية جدا وتستطيع أن تقوم بالمناورة والتهرب بشكل ممتاز جدا . ولذلك يجب أن تبدأ الضربة الجوية على هذه الطائرات ، ومن ثم يوجه القصف لطائرات ميج ٢١ وأخيرا ميج ١٩ . انها ٣٠ طائرة وليتها لا تستطيع أن تطير . الساعة الآن ٤٧ر٧ وبعد سبع دقائق يكون التشكيل فوق الهدف .

قال يورام في جهاز اللاسلكي الداخلي ، بين طائرات

التشكيل فقط : انتبهوا ، سنقصف طائرات السوخوي قبل طائرات ميج ٢١ • الرقم – ٢ – ينزل الى المدرجات ، كما قلنا • وبعده أقوم أنا بانهاء تدميرها • الرقم –٣– وكذلك الرقم –٤–، تقومان بتدمير أكبر عدد ممكن من طائرات سوخوي في أول غارة هل تستطيعان التعرف عليها بالتأكيد ؟

وأجاب الرقم –٣– بالايجاب وكذلك الرقم –٤– مضيفا ، انها تشبه ميج ١٩ الى حد ما • وقال يورام •• بعد ذلك نواصل العمل المتفق عليه •

وظهرت على يمين التشكيل جزيرة مستطيلة ، هذه هي القاعدة ، بعد ٢٥ ميلا فقط ، وجاء الصوت في جهاز اللاسلكي – دقيقتان ونصل الهدف •

* * *

في مطار الغردقة العسكري تسود الفوضى • فقبل بضع دقائق وصل نبأ غير واضح من برج المراقبة في بني سويف يقول بأن طائرات غريبة تقصف المطار • ولم يكن بالمستطاع الاتصال بالقيادة العامة في القاهرة • ولكن يفهم من الاستماع الى أجهزة اللاسلكي التي تذيع نداءات النجدة والاستغاثة أن عددا من المطارات تتعرض لقصف من العدو والقوة الجوية التي وضعت بقيادة المقدم صالح عبد النبي ، قائد محطة الغردقة كان هدفها هو مهاجمة الطائرات الاسرائيلية من الخلف حينما تأتي من جنوب سيناء وخليج السويس وتحاول أن تصل بالالتفاف من الشمال الى مطارات القناة والدلتا • والآن تتعرض تلك المطارات الى الهجوم بدون أن يعرف الاتجاه الذي جاءت منه طائرات العدو • فلم يظهر شيء على شبكة الرادار حتى بعد توجيهه الى أبعد مدى • وعلى أي حال فقد جاءت أصوات الاستغاثة ، والطيارين الذين دخلوا فراشهم قبل ثلاث ساعات فقط عادوا مسرعين الى طائراتهم

ان أمرا واحدا كان معروفا لعبد النبي • أن عليه أن يرسل جزءا من قواته الجوية لمساعدة المطارات التي تتعرض للهجوم في الشمال ، والا فأنه سيعتبر مهملا في واجبه ، والى جانب ذلك عليه أن يبقي قوة كبيرة في القاعدة فحينما يتضح الأمر أكثر يستطيع أن يقرر الى أين سيرسل القوة المتبقية • الآن أصدر أوامره بالطيران لعدد من طائرات ميج ٢١ لتتحرك الى بني سويف وتقوم بتدمير الطائرات المهاجمة للمطار هناك • وتواصل تلك الطائرات بعد ذلك طيرانها نحو الشمال الى منطقة القاهرة لتقدم المساعدة للمطارات المهاجمة هناك •

وانطلقت طائرات الميج كل اثنتين مع بعض في دقيقة واحدة • وكان القائد ينظر اليها من نافذة مكتبه وهو مسرور ، فان رجاله لم يفشلوا ، وبعد ثلاث دقائق كانت الطائرات قد غادرت المطار واختفت عن النظر • وتنفس الصعداء ، ثم نظر الى ساعته وكانت ٨ر٥٣ بتوقيت القاهرة ، قبل عشر دقائق فقط تسلم النبأ الأول • وفجأة سمع صوت محرك ، وظهرت طائرة وحيدة غريبة وغارت على أرض المطار • وقفز عبد النبي من مقعده الى الشباك ورأى أن القنابل السوداء راحت تتساقط من الطائرة الغريبة على المدرجات وتنفجر محدثة اللهب الكبير • فأمسك برأسه بين يديه وأسرع الى مكبر الصوت ليصدر أوامره بتحرك جميع الطائرات فورا •

ومرة أخرى شوهدت طائرة غريبة تمر فوق المدرجات التي ستنطلق منها طائرات عبد النبي وألقت بقنابلها على تلك المدرجات لتزرع فيها اللهب • وتحركت طائرات السوخوي الضخمة الى المدرجات ولكنها لم تستطع أن تتقدم الى الأمام ، فان النار اشتعلت في وسط المدرجات ، وظهرت فيها حفر كبيرة ، وأية محاولة للطيران معناها الانتحار • ثم ظهرت طائرة أخرى فوق المطار ترقص فوق طائرات السوخوي الثمانية الجاثمة على

الأرض ، هذه الأدوات المدمرة العجيبة ذات القوة الخارقة ، ولكنها تقف الآن في صف واحد بلا حماية كنساء عاريات .

انطلقت المدفعية المضادة للطائرات ، ولكن الطائرة الغريبة التي مرت بالقرب من رأس برج المراقبة واصلت تحليقها وهي تقصف طائرات السوخوي وتشعل فيها النيران والطيارون بداخلها . وأصدر قائد القاعدة الأوامر للطيارين بمغادرة الطائرات ودخول الملاجىء ، وفي غضون ذلك مرت طائرة غريبة رابعة أكملت عملية تدمير السوخوي ، وشوهد طيار مصري يخرج من باب الطائرة ويحاول الهرب ، فوقف ثانية وسط اللهب ثم اختفى ولم يظهر . واعتقد قائد القاعدة أن ذلك الطيار هو (حلمي) الشاب اللطيف معشوق الفتيات . وعادت الطائرات الغريبة من جديد تقصف المطار ، وتنتقل الآن الى طائرات ميج ١٩ ثم برج المراقبة وأخيرا بناية القيادة ، حيث ألقيت عليها قنبلة سوداء . واشتعلت فيها النيران ، وقد أدت شدة الانفجار الى قذف قائد القاعدة المقدم عبد النبي الى الأعلى ، وقبل أن يعود الى الأرض لم يكن قد بقي منه سوى كتلة سوداء مشتعلة . وأصدر قائد التشكيل الجوي يورام أوامره بواسطة جهاز اللاسلكي الداخلي الى بقية أفراد التشكيل للتوقف عن القصف والعودة في الممر رقم ـ ٤٠ ـ درجة على سطح البحر خوفا من المدفعية المضادة للطائرات . واستدارت الطائرات الأربع نحو البحر الى الاتجاه الشمالي الشرقي ، وسارت في تشكيل واحد ، وأصدر يورام أوامره بالارتفاع الى علو ٥٠٠ قدم ، وهدأت ثورة غضبه ، فان تدمير بناية القيادة لم يستغرق سوى نصف دقيقة وبذلك لن تعرف القيادة المصرية سبب توقف الاتصال المفاجىء مع هذه القاعدة .

وأمر يورام رفاقه بالطيران على ارتفاع ٤٠٠٠ قدم ، وتساءل الطيارون فيما بينهم وهم عائدون عن الدخان الذي

خلفوه في القاعدة المصرية ، ولكن قائد التشكيل يورام أمرهم بالانتباه جيدا فان طائرات الميج ٢١ لم تكن في المطار عند قصفه، ولذلك فربما تعود .

أسرعت مجموعة الطائرات الروسية الحديثة في ذلك الوقت وسارت بسرعة تزيد عن الصوت باتجاه مطار بني سويف الذي كان مغطى بالدخان والنار ومدرجاته معطلة .

جاء صوت الزعيم (قائد سلاح الجو الاسرائيلي) واضحا من بين بقية الأصوات ..

هالو ريشه ـ ٩ ـ ، هل تسمعني يا يونتان ؟ أجب .

وجاء صوت يونتان من طائرة الفيتور يقول :

هنا ريشة ـ ٩ ـ يونتان يتكلم ، أسمعك ، أجب .

انتبه ، لقد نقلوا اليكم ثماني طائرات طوبوليف ، وعشر طائرات اليوشن أخرى . عليكم أن تدمروا جميع طائرات طوبوليف ، فهل تستطيع أن تفعل ذلك ؟ فكر جيدا أجب .

وقال يونتان مستغربا خوف قائد سلاح الجو :

نستطيع أن ندمر ١٦ طائرة ، أجب .

أتركوا طائرات الأليوشن ، فهي لا تزعجنا ، ليس عندكم في القاعدة طائرات سوخوي ، كذلك طائرات الميج قليلة . أكملوا المهمة بسرعة .

وتحول يونتان الى خط اللاسلكي الداخلي بين طائرات التشكيل ويسأل بوشي الرقم ـ ١ ـ في التشكيل الجوي المؤلف من طائرات الميراج التي تتولى حماية التشكيل ـ ٩ ـ المؤلف من طائرات الفيتور قائلا : هل سمعت ما قاله القائد ؟

نعم ، قال بوشي ونظر حوله ، وكانت الطائرات تكاد

تلامس أمواج البحر ، ومدى الرؤيا قصير هنا فوق مياه البحر الأحمر .

واستمرت طائرتي الفيتور ، مخزني السلاح الطائرتين ، تطيران على وجه مياه البحر ، وما أن انتهت فترة الصمت اللاسلكي حتى انطلقت الأصوات في الأجهزة وكانت الساعة ٧ر٤٨ لقد قطعت طائرات الفيتور البطيئة حتى الآن مسافة ٥٥٠ ميلا وبقي أمامها حوالى ١٥٠ ميلا وهي تقطع تسعة أميال في الدقيقة الواحدة . ويعني هذا أنها ستصل الأهداف بعد حوالي ـ ١٧ ـ دقيقة وهي بالضبط ساعة الصفر المحددة التي تبدأ بعد مرور نصف ساعة كاملة على قصف مطارات سيناء .

قال بوشي : انتبهوا ، سنرتفع فوق احد الجبال .

وانتهى البحر بجبل مرتفع تخترقه وديان سحيقة ، وفي طريقهم ترتفع الجبال حتى علو ٤٠٠٠ قدم تقريبا .

الساعة الثامنة وأربع دقائق . ويأخذ التشكيل ريشة ـ٩ـ وضع الهجوم ويرى بوشي الطائرة رقم ـ ٢ ـ وهي تغير على المدرجات وتقصفها بالقرب من الطائرات الضخمة الرابضة على الأرض كأنها تنتظر أوامر الانطلاق . وفي هذا المطار مدرجات كثيرة جدا ولا يمكن تعطيلها كلها بغارة واحدة . وفي الوقت الذي انفجرت فيه القنابل التي القتها الطائرة رقم ـ ٢ ـ راحت طائرات الميج تتحرك . فيغير عليها بوشي ويرى أن واحدة منها تستطيع أن تفلت . فيلاحقها ، ويسقطها على الأرض الملتهبة عند رفيقاتها . ويهبط يونتان بطائرته ـ كما تنص الخطة ـ الى مباني الأسمنت التي تحمي الطائرات القاذفة الطويلة المدى . ويمر فوق الصف الأول ويلقي بأول قنبلة ، وبالقنبلة الثانية من طائرة الفيتور ، وتقوم بقية الطائرات القاذفة الأخرى بضرب بقية القاذفات المصرية الطوبوليف المرابطة في الأقصر .

وينظر بوشي الى الساعة فاذا هي الثامنة و ١٦ دقيقة . ان الوقود ينفد بسرعة ولا تزال في المطار ٢٠ طائرة اليوشن سالمة . ويأمر قائد التشكيل أفراده بالعودة بينما يتأخر هو ليدمر طائرات الأليوشن بطائرته المقاتلة الميراج بواسطة الرصاص . ولكن بقية أفراد التشكيل رفضوا العودة قبل أن يعاونوه في تدمير طائرات الأليوشن خاصة وأنه بقيت معهم كمية كبيرة من القنابل ولا داعي لاعادتها ثم عادت طائرات الميراج وارتفعت فوق الجبال متجهة نحو خليج ايلات . وكانت الساعة الثامنة و ٣٢ دقيقة ، وكان التشكيل يطير على ارتفاع ـ ٢٧ ـ الف قدم ،ففي هذا الارتفاع يكون استهلاك الوقود في الطائرة قليلا جدا .

كان المطار الوحيد الذي لم تصب طائرة واحدة من طائراته هو مطار أسوان . ذلك لأن العقيد مدكور ابو العز من أشهر الطيارين المصريين الذين تدربوا في موسكو والصديق القديم لآرام أنوير ، ومن معارضي محمد صدقي محمود ، ظل ينصت طوال عشر دقائق للفوضى اللاسلكية في جهاز اللاسلكي الكبير وبالتالي توصل الى قرار حاسم ، وعلى الفور استدعى قادة أسراب الميج في أسوان ، وأمرهم بالتحرك فورا بطائراتهم الى الجنوب الى أقرب مطار في السودان . وبعد أن حلقت أل ٣٠ طائرة ميج ٢١ ولحقت بها طائرات النقل اتصل بقائد المطار السوداني وأبلغه انه أرسل سربين من طائرات ميج ٢١ وعدد من طائرات النقل والهليوكبتر للنزول عنده ، وطلب منه أن لا يسمح لها بالطيران بدون اذن شخصي منه . وبعد ذلك أمر أبو العز أفراد قاعدة أسوان بأن ينزلوا الى الملاجىء ، جميع المعدات المهمة، وحاول الاتصال مع القاهرة .

النهاية

٥ يونيو ١٩٦٧ ــ الساعة ٤٥ر٧ حتى الساعة ٥٥ر٧

(بتوقيت اسرائيل)

ان طائرة الخطوط الجوية التركية التي كان من المقرر أن تغادر مطار القاهرة الدولي ــ القاهرة شرق ــ في الساعة ٤٣ر٨ كانت لا تزال تقف على أرض المطار ، جاهزة للحركة ، ولكن الأمر بالحركة لم يصدر لها بعد · وركابها ، ومعظمهم من بقايا السواح والمواطنين الغربيين ، أظهروا امتعاضهم من تأخر اقلاع الطائرة · كانوا جميعا يريدون الهرب من المدينة بسرعة ، ولما أشارت الساعة الكبيرة المعلقة في صدر الطائرات من الداخل الى فوات الوقت المحدد للاقلاع قال رجل أميركي يجلس على المقعد الأمامي لجاره :

ماذا يجري هنا ؟

لا أعرف : قال جاره وكان رجلا يدل مظهره على أنه شرقي يرتدي بدلة سوداء أنيقة ، ورد الأميركي غاضبا :

« ان هؤلاء الأتراك لا يعملون حسب الوقت بدقة » وقال جاره : لماذا الأتراك ، تقول عنهم ، فأنا مثلا تركي ، ولكنني لم أتأخر ، فقال الأميركي ·· أو ــ أكسيوزمي ، أوريالي سودي (أرجو المعذرة ، وآسف جدا) · لم أقصد الاشارة اليك ·

وشوهد موظف المطار باللباس الرسمي يعطي اشارة الحركة للطائرة ، وراح المؤشر يعطي الاشارة لقائد الطائرة التي تحركت على المدرج ، ثم انطلقت في الجو باتجاه الشمال ، مخلفة المنازل وراءها ، وسارت فوق مجرى النيل ·

وعاد الأميركي يسأل جاره :

ماذا هناك ؟ ما هذا ؟

ونظر اليه الرجل ذو البدلة السوداء ، ثم حول نظره الى الجهة التي كان الأميركي يشير اليها ، وكان مطار القاهرة غرب العسكري · ومن فوق المطار شوهدت طائرتين سريعتين تقصفان المطار وتزرعان فيه الخراب والدمار · واختفت الطائرتان وأعقبتهما طائرتان أخريان · وكان الرجل ذو البدلة السوداء ينظر الى هذا المشهد كأنه لا علاقة له به ، ثم هز رأسه كمن يؤيد ما يجري ·

وعاد الأميركي يسأل بانفعال ·· ما هذا ؟

ولكن طائرة الركاب ارتفعت أكثر فأكثر ، فأخفى الضباب عن الأعين المطار العسكري المشتعل ، ولم يرد الرجل ذو البدلة السوداء · وانما جذب مسند مقعده وأرخاه الى الخلف وتمدد عليه باسترخاء · وقال للاميركي ·· أرجو معذرتك ، أحب أن أنام قليلا ·

وبعيدا من تحتهم ، مرت الطائرات الأربعة مسرعة في طريق عودتها بالاتجاه الشمالي الشرقي ، نحو بلد صغير ملاصق لشاطىء البحر ·

الفهرس

صفحة